دكتور جابر قميحة
أستاذ الأدب العربى

# الإمام الشهيد حسن البنا
# بين
# السهام السوداء..
# وعطاء الرسائل

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار التـــوزيع والنشـــر الإســـلامـــيـــة

٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢ ص ب ١٦٣٦

## مقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن والاه إلى يوم الدين. .

**وبعد:**

فإنى أقدم للقارئ هذا الكتاب «**الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل**» ذاكرا بين يديه أنّ أصله حلقات سبع نشرت لى فى مجلة «المجتمع» الكويتية بعنوان «قراءة جديدة فى رسائل الإمام حسن البنا»[1]، وقد عالجت «رسائله فى التنظير لفكر الجماعة» فى حلقة واحدة، بينما كان حظ «رسائله إلى الملوك والرؤساء والوزراء» أربع حلقات، وفى حلقتين جاء حديثى عن «رسائله الشخصية إلى والده» الشيخ أحمد عبد الرحمن - رحمه الله.

وبعد انتهاء نشر الحلقات السبع فى «المجتمع» تلقيت عددا من الرسائل أغلبها من طلاب جامعيين فى مصر والبلاد العربية، وبعضها من أوروبا والولايات المتحدة، وكلها تطلب نشر هذه الحلقات فى كتاب، والتقت

---

(١) نشرت فى الأعداد ١٢٤١ - ١٢٤٧.

وذلك من الثلاثاء ٢ من ذى القعدة ١٤١٧ إلى ٢٢ من ذى الحجة ١٤١٧ (١١ من مارس - ٢٩ من إبريل ١٩٩٧).

هذه الرغبة من هؤلاء الإخوة بمثيلةٍ سابقة لها عندى، فشرعت فى إعداد هذه الحلقات السبع لنشرها فى كتاب. وقد اقتضى ذلك إجراء بعض التنقيحات والإضافات الجديدة، وكانت هذه التنقيحات وتلك الإضافات نتيجة طبيعية لأمرين:

الأول: ما وقع فى يدى من مراجع جديدة لم تتيسر لى وأنا أكتب المقالات التى نشرت فى المجتمع.

والثانى: ما يتطلبه نشر «المادة المقالية» فى كتاب من توفيق أو تعديل فى بعض جوانب المسار خصوصا الجانب الشكلى، مع الإبقاء شبه الكامل على أساسيات الموضوع وأغلب تفصيلاته.

ثم خطر لى خاطر خلاصته أن أجعل الكتاب - لاعن رسائل الإمام فحسب - ولكن عن «الإمام ورسائله»، وفى ذلك - ولاشك - تكامل يحقق مزيدا من الفائدة والمعرفة، ويصحح كثيرا من المفاهيم الغالطة عن الإمام ودعوته فى وقت يشن فيه أعداء الإسلام وأدعياؤه حربا ضروسا على دعوة الإخوان ومنهجهم وقياداتهم. فأصبح عنوان الكتاب - بعد هذا التكامل (الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل).. بعد أن كان عنوان «المشروع» الأول (قراءة جديدة فى رسائل الإمام الشهيد حسن البنا) وهو عنوان سلسلة المقالات التى نشرت «بالمجتمع».

* * *

وقد جاء القسم الأول من هذا الكتاب عرضا موجزا لحياة الإمام

الشهيد، وقد صدرته بفصل عنوانه «حسن البنا فى ذاكرة طفولتى» أتحدث فيه بعفوية وترسّل عن لقائى الأول والأخير بالإمام الشهيد وأنا تلميذ بالمرحلة الابتدائية، وصورت - بعفوية أيضا - الانطباع الذى تركته فى نفسى - رؤيتى له و«لجنوده» من جوالة «الإخوان المسلمين» بمدينة «المنزلة» مسقط رأسى[1].

وفى هذا القسم عرضت الافتراءات والأكاذيب التى كان يُحارب بها الإمام الشهيد هو وفكره وإخوانه، وآمل أن أكون قد وفقت فى تفنيدها والكشف عما فيها من عوار وهشاشة وسقوط وفساد.

ومن هذه الأباطيل اتهامه واتهام الجماعة بالنزعة الإرهابية بدليل وجود ما سموه «بالجهاز السرى»، والانحراف بالدين إلى السياسة، وإدارته الجماعة بدكتاتورية وفردية مطلقة، وكذلك التوارى وراء غموض الأفكار والمبادئ.

وقد أفرزت المطابع فى السنوات الأخيرة عشرات من الكتب والبحوث المشبوهة، وكلها لا همّ لها إلا تجريح مؤسس الجماعة وإخوانه وقادة الجماعة من بعده ومنظومة الفكر الإخوانى. والمضحك المؤسف أن يشترك فى هذه الهجمات الضارية «كبار جدا» من قيادات الأمن السابقين، وذلك بكتب ضخمة مطبوعة طباعة فاخرة جدا، مع أن الواحد من هؤلاء قد يعجز عن كتابة سطر واحد مستقيم الكلمات، وهم لايمانعون من قيام «صحفيين» بعملية «الصياغة». ورحم الله الشاعرالذى قال:

---

(١) وهو أصلا مقال نشر فى (المجتمع) العدد ١٢٣٠ (٧ من شعبان ١٤١٧ - ١٧ ديسمبر ١٩٩٧).

لقد هزُلتْ حـتى بدا مِنْ هُزالها   كُلاها، وحتى سامها كلُّ مُفْلِسِ

* * *

وجاء تعـاملى مع رسائل الإمـام الشهـيد - فى القسم الثـانى من هذا الكتاب - معتمدا على عرض المضمون الفكرى لكل رسالة مع تطعيم هذا العرض «بشـرائح نصية» من الرسالـة حتى يحيط القارىء بالمحـتوى دون الانفـصـال عن النص. ثم كـان الخـلوص - بعـد ذلك - إلى الدلالات الموضوعية والفكرية والنفسية والفنية للرسائل.

ولكن هناك رسائل رأيت من الخير تسجيلها بنصها دون حذف شىء أو استبدال عرض المضمون بأجزاء منها، وهذه الرسائل هى:

١ - رسالته إلى حاخام وكبار الطائفة الإسرائيلية بمصر.

٢ - رسالته إلى الملك فاروق عن الفساد الذى يضرب أطنابه فى مصر.

٣ - رسالته إلـى رئيس مجلس الأمن والسكرتير العام للأمم المـتحدة من أجل القضية الوطنية.

٤ - رسالة عتاب شديد إلى أعضاء مكتب الإرشاد.

٥ - رسالة الوداع إلى الإخوان عامة وبعدها الشهادة.

٦ - الرسائل الموجزة التى جـاءت فى شكل برقيات: برقيـته إلى سكرتير نادى الضـباط - برقـيـته إلى الـبابا يوسـاب الثـانى بطريرك الكرازة المرقسية - برقيـته إلى الرئيس الباكستانى محمـد على جناح - برقيته إلى سلطان مراكش والرئيس الفرنسى.

* * *

وقد قصدت نشر هذه الرسائل بنصها كاملة لعدم وجودها فى «مذكرات الدعوة والداعية» المصدر الأساسى لرسائل الإمام، ونشرها فى كتب ودوريات قد يصعب حصول القارئ عليها، ولأن تلخيص بعض مضامينها لايعطى من الدلالات الكاملة ما حَرَصت على تحقيقه، وخصوصا أنها تنقض فى قوة ما أشيع كذبا عن المرشد العام والإخوان من أكاذيب ومفتريات منها «أن المرشد العام والإخوان عملاء للقصر متعاطفون معه حريصون على إرضاء الملك وكسب وده بالحق والباطل». وهذا ما تنقضه الرسالة الشديدة اللاهبة إلى الملك فاروق، وهى تصور السقوط اللاأخلاقى للأمة فى عهده.

واستيفاء للفائدة ذيلت الكتاب بملحق ضم صورة خطية لبعض رسائل الإمام الشهيد فى شبابه إلى والده، وصفحات من كتاب الدكتور محمد حسين هيكل «مذكرات فى السياسة المصرية».

وآمل أن أكون قد وفقت فيما قدمت، وأدعو الله - جل وعلا - أن ينير أبصارنا وبصائرنا، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه. إنه نعم المولى ونعم النصير.

**د. جابر قميحة**

**الظهران - ذو القعدة ١٤١٨هـ**

# القسم الأول

# مسيرة الحياة

# الفصل الأول

## حسن البنا في ذاكرة طفولتي

من الذكريات مـا يطويه الزمن، ويسدل عليه سـتائر النسيان إلى غـير رجعة.

ومن الذكريات ما يطوّف بالإنسان فى فترات متباعدة من حياته، ولكن فى صورة شـبحـية غائمـة، لاتثيـر فى النفس من المشاعـر إلا هوامشـها الطافية، ومساحاتها السطحية.

ومن الذكريات ما يتغلغل فى نفس الإنسان حتى تتشربه روحه، وتغدو هذه الذكريات كـأنها عضـو حى من أعضـائه، بل أشدها وأقواها نبـضا وحياة.

أقول هذا بعـد مضىّ نصف قرن من الزمـان على واقع عظيم لذيذ.. عشتـه لساعات، وأنا تلميذ بالمرحلة الابتـدائية، وذلك فى مدينة «المنْزَلة» -بلدى ومسقـط رأسى- وهى مدينة ساحلية تقع على بحـيرة المنزلة، فى أقصى شمال دلتا النيل، بعيدا عن القاهرة بقرابة مائة وخمسين ميلا.

## أنا رأيتُهم... عِشْتُهم...

كان ذلك فى شارع (البحر المرْدوم) - أوسع شوارع «المنزلة» وأطولها، فبعد صـلاة الظهر - فى يوم شديد الحرارة - رأيت مسيرة من خـمسمائة رجل - على الأقل - ما بين شاب فى العشرين، وشيخ جاوز الخمسين.. أزياؤهم واحدة: لونها «كاكى»؛ والزى الواحد يتكون من «بنطلون» قصير (شورت)، وجورب طويل، وقميص وطربوش، ومنديل أخضر كبير يُلفّ على العنق، ويُرخَى قرابة نصفه على منطقة التقاء العنق بالظهر على شكل مثلث، ويتدلى طرفاه على الصدر محبوسَيْن بحابس من الجلد.

عرفت بعد ذلك أن هذا الزى يسمى «زىّ الجوالة»، وأن هؤلاء جميعا -من شباب وكهول وشيوخ- اسمهم «جوالة الإخوان المسلمين»، وأنهم جميعا من أهل «المنزلة» والقرى التى تحيط بها. وقد جمعَتْ هذه المسيرة -الموحدة الزىّ- فلاحين وعمالا وأطباء ومدرسين ووعاظا وتجارا.

ياه!! أنا لم أشهد مثل هذه المسيرة من قبل: لافى الواقع، ولا فى الخيال والأحلام... صدّقونى..

رأيتهم يسيرون على دقات طبول منتظمة، يتخللها أصوات قوية نفاذة من «النفير» أو «البروجى»، وكان النافخون فى هذه «الآلة النحاسية» لايقلون عن أربعين جوالا موزعين على ثلاث مجموعات: فى المقدمة والوسط والمؤخرة. ومن عجب أن النافخين كانوا ينفخون كل مرة قرابة خمس دقائق دون نشاز، ودون أن يسبق نافخ زميله، أو يتأخر عنه للحظة واحدة على تباعد أماكنهم.

ثم يصدر الأمر من قائد المسيرة الأستاذ محمد قاسم صقر - رحمه الله - بالتوقف ليهتف كل مَنْ فى المسيرة - وراء حامل المصحف الكبير: «الله أكبر ولله الحمد».. «الله غايتنا والقرآن دستورنا والرسول زعيمنا، والجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا».

وفى نهاية الشارع الطويل تطول وقفة المسيرة - بأمر القائد - لعشر دقائق ليكون بعد الهتاف السابق نشيد ما زلت أذكر مطلعه وكلماته:

هُوَ الحقُّ يحشدُ أجْناده ويعتدُّ للموقفِ الفاصلِ
فَصُفّوا الكتائبَ آسادَهُ ودُكّوا بِهِ دولةَ الباطلِ

سبحان الله!!.. ما شاء الله!! من عَلَّم هؤلاء - الذين أراهم لأول مرة - كلَّ هذه الآداب.. الطاعةَ.. والنظامَ... والإنشادَ والانضباط، وكلهم على قدم المساواة استجابة، وتنفيذاً، مع اختلاف ثقافاتهم، وأنماطهم الفكرية، ومراكزهم الاجتماعية. بل إن كثيرين منهم أميون لايعرفون القراءة والكتابة؟!!

وأرانى أربط ربطا قويا بين هذه الخاطرة، وبين حقيقة تاريخية قرأتُها بعد ذلك بسنوات، وخلاصتها أن «رستم» - قائد جيوش الفرس - كان إذا سمع تكبير المسلمين للصلاة - فى خط المواجهة الفارسى - بكى، واستبدّ به الحزن، وصرخ «أَكَلَ عمرُ بنُ الخطاب كبدى» - أى قتلنى عمر - فيسأله من بحضرته: كيفَ أكلَ كبدَك وأنت حيّ بيننا؟!!. فيجيب: «لأنه يُعلِّم هؤلاء الأَعْرَاب الآداب».

* * *

وأعود لخاطرتى، وأقول: بمثل هذه «الآداب» استطاعَ أصحابُ هذه «المسيرة الإسلامية» أن يأكلوا أكبادَ اليهود فى فلسطين أواخر الأربعينيات، ويأكلوا أكباد الانجليز فى خط قناة السويس أوائل الخمسينيات.

وأعود إلى «المسيرة الإخوانية» فى مدينتى - المنزلة - وأرانى - أنا ابن العاشرة - أكاد أطيرُ من الفرح.. إنهم يسيرون، وخطواتى الضيقة لاتتمكن من مسايرة خطواتهم الواسعة إلا بشىء من الجرْى بين الفينة والفينة، وكأننى أخشى أن يتخطوا مجال رؤيتى، فيقفز قلبى من بين جنبيَّ.. ويواصل المسيرة المنتظمة معهم، ويحثنى أن أغذّ السير، حتى

أدركه، ويسكن صـدرى من جديد.. ومع فـرحى الغامـر كان شيء من الحزن يخامرنى مخافة أن ينتهى العرض الحلو الجليل.

ياه .. ليتـه يستـمر ساعـات.. بل أياما متـواصلة. إن تيار الشـعور المتدفق فى نفسى لم يستطع، ولن تستطيع اللغة أن تعبر عنه بكماله، إنها حقيقة أؤكـدها بصدق وأمانة، وأستحضرها، وأنا أقرأ فـيما بعد قول أبى تمام فى حديثه عن فتح عمورية على يد المعتصم:

فـتحُ الفـتوح تعـالَى أن يُحـيطَ به    نظمٌ من الشـعرِ أو نثـر منَ الخُطَبِ

فمن المواقف والمشاعر ما يكـون له من الأبعاد والدلالات والإشعاعات والظلال ما تعجز اللغة - أية لغة - عن الإحاطة بكل أقطاره.

* * *

ولكن ما شأن هذا «العرض»، أو هذه المسيرة؟ ولماذا خَرَجَتْ ظهر هذا اليوم بالذات؟.

وأسأل «عم مسعد» الخضراتى صديق والدى، فيأتينى جوابه:

- دُول رِجّالة الشيخ حسن البنا.. لأنه سـيحضر الليلة، ويخطب فى الصـوان (السـرادق) الكبيـر.. راجل فصيح قـوى.. سمعـته مـرة فـى بور سعيد.. و.. و...

- حسن البنا؟! حسن البنا؟! إنه اسم لم أسمع به من قبل.

## ورأيت المرشد الجليل

وبعد صلاة العشاء كنت أنا ووالدى نأخذ مكانينا فى السرادق الكبير، أما «جوالة» الظهيرة فقد انتشروا داخل السرادق وخارجه لإقرار النظام. وبعد نصف ساعة ارتج المكان بالهتاف «الله أكبر ولله الحمد» .. وشعرت بأننى كبير جدا وأنا أردد مع هؤلاء الناس بصوتى «النحيف» .. الله أكبر ولله الحمد.. لقد حضر المرشد .. رأيته وعلى فمه ابتسامة عريضة، وهو يشق طريقه إلى المنصة بين صفين من الجوالة على هيئة «كردون» وهم متشابكو الأيدى، واستطاعوا بصعوبة بالغة أن يمنعوا «بظهورهم» تدفق الجمهور المتدافع من الجانبين لمصافحة المرشد العظيم.

* * *

وعلى مدى ثلاث ساعات كان الناس يستمعون إليه كأن على رءوسهم الطير، لقد سمعته يقدم لونا جديدا من الكلام.. كلاما يختلف تماما عما نسمعه فى خطب الجمعة، واحتفالات المولد النبوى، ومن المشهور عن بلدى (المنزلة) أنها بلد الصيد والفن والبحارة (نقل الركاب والبضائع بالسفن الشراعية فى بحيرة المنزلة). ومن هذا الواقع البيئى - الذى لايجهله واحد من الحاضرين صغارهم وكبارهم - انطلق حسن البنا فى حديثه فشبه الأمة بسفينة: جسمها الشعب وشراعها الإيمان ودفتها الحكومة، وقد تعوزنى الدقة فى هذا التجزِْىء التشبيهى. ولكن الذى أذكره - وقد مضى نصف قرن على ما سمعت - أن السفينة كانت مشبَّهًا به، وأنه - رحمه الله - دخل نفوس الناس من الدقائق الأولى، وهو

يشرح مقولته مكثرا من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، ووقائع من السيرة النبوية وحياة السلف الصالح[1].

كنت - على صغر سنِّى - أفهم - بل أعيش - كل كلمة يقولها الرجل العظيم، ولكن الأهم من ذلك هو إحساسى القوى - وأنا مأخوذ بما يقول- بأنه يوجه نظراته وكلماته إلىّ دون غيرى. وأخفيت هذا الخاطر عن والدى إلى أن سمعته يقول لأحد جيراننا فى اليوم التالى «لقد شدّنى الشيخ - الله يكرمه - كنت أشعر أنه يخصنى بهذا الكلام الجميل...». فآمنت بأن الرجل قد بلغ مقاما من «البلاغة الإيمانية» لايرقى إلى مثله إلا أقل الأقلين على مدار التاريخ الإنسانى كله.

## وقالت مشاعرى...

إنها الذكرى التى لاتنسى، وكانت - وما زالت مغروسة فى القلب،

---

(١) وعن هذا الملمح كتب «جاكسون» عن الإمام الشهيد «كان قديرا على أن يحدث كُلاً بلغته وفى ميدانه وعلى طريقته، وفى حدود هواه، وعلى الوتر الذى يحس به، وعلى الجرح الذى يثيره. ويعرف لغات الأزهريين والأطباء والمهندسين والصوفية وأهل السنة، ويعرف لهجات الأقاليم فى الدلتا وفى الصحراء وفى مصر الوسطى والعليا وتقاليدها، بل إنه يعرف لهجات الجزارين والفتوات، وأهالى بعض أحياء القاهرة الذين تتمثل فيهم صفات معينة بارزة..

وهو يستمد موضوع حديثه - أثناء سياحاته فى الأقاليم وفى كل بلد من مشاكلها ووقائعها وخلافاتها، ويربطه - فى لباقة - مع دعوته ومعالمها الكبرى، فيجىء كلامه عجباً يأخذ بالألباب. كأن يقول للفلاحين فى الريف «عندنا زرعتان.. إحداهما سريعة النماء كالقثاء. والأخرى طويلة كالقطن...» روبير جاكسون: حسن البنا الرجل القرآنى ٢٠-٢١. ترجمة أنور الجندى (المختار الإسلامى. القاهرة. ط(١) ١٣٩٧-١٩٧٧).

دافقة فى الدم: ذكرى أول مرة.. وآخر مرة.. رأيت فيها الإمام العظيم. وكان من بداياتى الشعرية - أو المتشاعرة- ما عكستْه هذه الذكرى من كلمات سجلتُها بعد استشهاده بعامين، وأنا طالب فى المرحلة الثانوية، بعد أن استمعت فى مدينة المنصورة إلى أحد تلاميذه يخطب، وفى نبراته وطريقته بعض من سمات الإمام الشهيد. وأنقل - دون تعديل - هذه الكلمات التى سجلتُها فى أوراقى سنة ١٩٥١:

رأيتُهُ...

أمامَهُ من القلوبِ ألفُ ألفِ تَسْمَعُ

رأيتُه كأنما يلحن الضياءَ والشفقْ

ويرسلُ النشيدَ من نياطِ قلبِه الكبيرْ

ترتيلةً من الذهبْ

قلْ يا إمامُ قُلْ....

وحينما سمعتُه يقولْ

«الله غايةُ الغاياتِ ياصحابْ»

رأيتُ فجرَ النورِ فى الأفقْ

وألفَ ألفِ محرابٍ يُسبِّحُ

وكلَّ عينٍ فى الضياء تَسْبَحُ

والأرضَ - يا للأرضِ - أصبحتْ سماءْ

والليلَ فجراً مائجا بأقدسِ الأسماءْ

وبحرَ سرٍّ الله . . لايُحَدْ
الحىُّ، والقيومُ والجبارُ
والسميعُ والعليمُ والغفورُ والأحدْ . .

* * *

قلْ يا إمامنا حَسَنْ
فكلُّ ما تقوله حَسَنْ
«زعيمنا محمدٌ . . . له الولاءْ
وغيرُهُ فى عصرنا ادّعاءْ
وحبه فريضةٌ مؤكَّدةْ
صلى عليه اللهُ والملائكةْ»
وعندها . . رأيتُهُ . . . محمدا
وراية «العُقابِ» تمخرُ
وتحتها جنودُه - إذ يزحفون.
نحو بدر.
وكلهم يفْديه بالعيونِ والقلوبِ والوَلَدْ
وكلهم أسدْ
يقينه بالله لايحدّه أمدْ

رأيتهم فى كرّهمْ وكرهمْ
والكافرين في انكسارِهم وفَرّهمْ
وعندها . . رأيتها «العقاب»
فى ازدهائها العظيم تَبتسِمْ
«قد جاء نصر الله فاسجدوا
وهللوا . . وكبروه. . واحمدوا. .»

* * *

قل يا إمامنا حسنْ
فكل ما تقوله حسنْ
وإنك البنَّاءُ فى السرّاء والمحنْ
«الموتُ فى سبيل الله. .
أسمى الأمنيات والمنَنْ
قد خاب قوم طلقوا الجهادَ والجِلاَدَ
واستجابوا للوهنْ»

* * *

ونلْتَ يا إمامنا العظيمَ ما اشتَهَيْتْ
إلى السماء سيدى قد ارتقيْت
إلى جوار الله سيدى . . لقد علوْتْ

* * *

## سائحٌ يطلبُ الحقيقة...

إنها كلمات قد يعوزها - فى ميزان النظرة الحاضرة والتقييم الآنى - غير قليل من الفن، ولكن يكفينى أننى أطلقتها بعفوية ومصداقية ووفاء وحب وتقدير لرجل قال عنه - أحد ألد أعدائه - إنه لو عاش لتغير وجه المنطقة، وربما وجه التاريخ. فهو لم يكن رجلا ممن تصنعه الأحداث، ولكنه كان رجلاً ممن يصنعون الأحداث، ويربون تلاميذهم على الإيمان والصبر والثبات والقدرة على المواجهة والإيثار.

وعاش الإمام - كما صور نفسه بأمانة دون إسراف - حين سأله صحفى من أنت؟

«أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسانٌ يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطنٌ ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار والحياة الطبيعية فى ظل الإسلام الحنيف، أنا متجرد أدرك سر وجوده فنادى «إنّ صلاتى ونسكى ومحيايَ ومماتِى لله رب العالمين، لاشريكَ له، وبذلك أمِرْتُ وأنا من المسلمين».

## وانتصرَتْ «الله أكبر ولله الحمد»

لذلك كان أعداؤه صادقين.. صادقين مع أنفسهم، ومع شياطينهم، حين رأوا أن الميدان يجب أن يخلو من هذا الرجل حتى تستمر مسيرة الضلال والصهيونية والصليبية والإباحية.

وسقط الرجل - آسف: بل علا - شهيدا فى سبيل الله. ولكن مسيرة الحق - التى رأيتُ مثلها فى طفولتى - صارت مسيرات تظللها راية «إياك نعبد وإياك نستعين».. مسيرات.. ومسيرات انطلقت من «هنا» إلى

«هناك» لتحقق - لا فتحا واحدا - ولكن فتوحات لاتُحصَى. ووضع جنود حسن البنا أقدامهم بثبات وإيمان فى كل قارات المعمورة ينشرون «الرسالة العظمى» التى انفتحت لها ملايين القلوب، وانتقلت «الله أكبر ولله الحمد» تهز أقطار أوروبا وأمريكا، وصدق الله وعده فهو القائل: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [النور: ٥٥].

* * *

كانت هذه هى صورة حسن البنا فى ذاكرة طفولتى، تلك الصورة التى انطبعت فيها من نصف قرن، عبّرتُ عنها بصدق وأمانة دون بهرج أو تزيين أو إسراف، وكان هذا هو الصدى الذى بَعثتْه فى نفسى هذه الصورة الجليلة العظيمة التى أودعتها رحاب وجدانى بلا تصنع أو افتعال. وكانت هذه هى كلمة عاطفتى وقلبى.

وبتقدمى - انطلاقا من الطفولة - فى مسار العمر شبابا وكهولة وشيخوخة، تدعمت رؤية «القلب المحب المستجيب» برؤية «العقل الدارس الواعى»، وفى حوزتها ثروة من المشاهد والفكر والأدلة والأسانيد، وكلها تشهد للرجل شهادة حق بالقدرة والعظمة والألمعية وسلامة الدين، والتفوق فى تربية الشباب على جادة الحق والرجولة والخلق والتقوى والجهاد. ومن تمام الفائدة - بين يدى بحثنا - أن نفتح ذاكرة التاريخ لنلتقط منها الخطوط العريضة لمسيرة الإمام الشهيد العظيم.

# الفصل الثانى

## حسن البنا فى ذاكرة التاريخ

## سنوات الطفولة والصبا

ولد حسن البنا ضحى يوم الأحد ٢٥ من شعبان ١٣٢٤ (١٤ من أكتوبر ١٩٠٦) فى مدينة المحمودية بمحافظة البحيرة وكان هو باكورة الأبناء من أبيه الشيخ أحمد عبد الرحمن الذى عاش يهوى العلوم الشرعية، أما عمله فكان إمامًا ومأذونًا بالمحمودية، كما كان يملك دكانا يزاول فيه هوايته فى تصليح الساعات، وزيادة على ذلك احترف تجليد الكتب، واشتغل بعلوم السنة، وقدم فى هذا المجال مصنفه الشهير«**الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى**» وقد أنتهى منه فى شهر شوال سنة ١٣٥٢هـ.

وتلقى الطفل حسن البنا دروسه الأولى بمدرسة الرشاد الدينية، ثم المدرسة الابتدائية بالمحمودية، كما تعلم فى صغره من والده صناعة الساعات، وقد أغرم بها، وأخذ يزاولها بعد الانصراف من المدرسة إلى أن تحل صلاة العشاء.

* * *

وظهرت تطلعاته وطوابعه الدينية والأخلاقية الإصلاحية فى صغره، فكان عضوًا، ثم رئيسًا لجمعية سميت باسم «**جمعية الأخلاق الأدبية**» وكان لها لائحة مكتوبة تنص على فرض غرامات مالية محددة على من يخالف

قواعد الأخلاق والآداب الاجتماعية[1].

ثم اشترك فى جمعية أوسع دائرة من السابقة باسم «**جمعية منع المحرمات**» كانت مهمتها توجيه رسائل مكتوبة إلى من يرتكبون المعاصى والآثام، أو يقصرون فى الصلاة والفرائض تأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر.

ثم تعرف على الطريقة الحصافية وهو فى الثانية عشرة من عمره، وقرأ كتاب «المنهل الصافى فى مناقب حسنين الحصافى» وهو الشيخ الأول للطريقة، وأعجبه من سيرة الشيخ حرصه على نشر دعوة الإسلام على القواعد السليمة، والغيرة العظيمة على محارم الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»[2] وقادته هذه النزعة الصوفية فى صورتها الروحانية العملية إلى أن يؤسس مع بعض إخوانه - وأهمهم صديقه الحميم أحمد السكرى جمعية باسم «جمعية الحصافية الخيرية»، وقد وزعت جهادها على ميدانين:

**الميدان الأول:** نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية كالخمر والقمار وبدع المآتم.

**والميدان الثانى:** مقاومة الإرسالية الإنجيلية التبشيرية التى هبطت البلد واستقرت فيه.

---

(١) انظر التفصيل (١٧- ١٨) من كتاب الإمام الشهيد: مذكرات الدعوة والداعية. (دار الزهراء للإعلام العربى - القاهرة ١٩٩٠).

(٢) السابق ٢٥.

## فى القاهرة طالبًا

وبعد أن أنهى حسن البنا دراسته بدار المعلمين بدمنهور انتقل إلى القاهرة، والتحق بدار العلوم، وتخرج فيها سنة ١٩٢٧، وكان ترتيبه الأول.

وأثناء سنوات الطلب فى دار العلوم رأى فى القاهرة من مظاهر الفساد والانحلال الكثير والكثير، واكتشف أن إلقاء المواعظ فى المساجد لم يعد يكفى لمواجهة هذه التحديات اللا أخلاقية، فاتفق مع عدد من إخوانه فى دار العلوم والأزهر على أن يتجهوا بوعظهم إلى المقاهى، ونجحت التجربة نجاحًا باهرًا، ويصور ذلك حسن البنا فى مذكراته بقوله «. . .كان شعور السامعين عجيبًا، وكانوا ينصتون فى إصغاء، ويستمعون فى شوق، وكان أصحاب المقاهى ينظرون بغرابة أول القول، ثم يطلبون المزيد منه بعد ذلك، وكان هؤلاء يقسمون بعد الخطبة أننا لابد أن نشرب شيئًا، أو نطلب طلبات، فكنا نعتذر لهم بضيق الوقت، وبأننا نذرنا هذا الوقت لله، فلا نريد أن نضيعه فى شىء. وكان هذا المعنى يؤثر فى نفوسهم كثيرًا، ولا عجب فإن الله لم يرسل نبيًا ولا رسولاً إلا كان شعاره «قل لا أسألكم عليه أجرًا» لما لهذه الناحية العفيفة من أثر جميل فى نفوس المدعوين. . »[1].

* * *

وبعد إلغاء الخلافة الإسلامية فى تركيا بدأ تيار العلمانية والإلحادية

(١) المذكرات ٦٢.

والمروق من القيم يندفع، ويهدد كيان الوطن، وفى ذلك يقول الإمام الشهيد فى مذكراته:

«فهأنذا أرى أن الأمة المصرية العزيزة تتأرجح حياتها الاجتماعية بين إسلامها الغالى العزيز الذى ورثته وحمته، وألفَتْه وعاشت به، واعتزَّ بها أربعة عشر قرنًا كاملة، وبين هذا الغزو الغربى العنيف المسلح المجهز بكل الأسلحة الماضية الفتاكة من المال والجاه والمظهر والمنعة والقوة ووسائل الدعاية»[1].

وبإيمان قوى وشعور فياض بدأ حسن البنا يتصل بذوى الحماسة الإسلامية والغيرة على الدين من العلماء والكتاب مثل الشيخ يوسف الدجوى ومحمد الخضر حسين ومحب الدين الخطيب. وكان من ثمرات هذا الاتصال وتلك اللقاءات إنشاء مجلة «الفتح» التى كانت - كما يقول حسن البنا - «مشعل الهداية والنور لهذا الجيل من شباب الإسلام المثقف الغيور»[2]. ثم كان من الثمرات كذلك فيما بعد إنشاء جمعية «الشبان المسلمين».

* * *

ولاشك أن كل هذه المشاعر والسلوكيات كانت إرهاصات وتمهيدات طبيعية لإنشاء جماعة «**الإخوان المسلمين**»، يدل على ذلك ما كتبه حسن البنا فى الموضوع التعبيرى الأخير بالسنة النهائية بدار العلوم، وكان عن

---

(١) المذكرات ٦٦.

(٢) المذكرات ٧١.

**«آمال الطالب بعد أن يتم دراسته»**، وفيه يقول إن أمله العام «أن يكون مرشدًا معلمًا: إذا قضى فى تعليم الأبناء سحابة النهار قضى ليله فى تعليم الآباء هدف دينهم؛ ومنابع سعادتهم، ومسرات حياتهم، تارة بالخطابة والمحاورة، وأخرى بالتأليف والكتابة، وثالثة بالتجول والسياحة»[1].

ويعلن أنه يرصد لنشر هذه الدعوة«. . نفسًا باعها لله صفقة رابحة، وتجارة بمشيئته منجية، راجيا منه قبولها. . »[2].

## فى الإسماعيلية مدرسًا ومؤسسًا

ويحقق الله أمله، ويعين مدرسًا فى مدينة الإسماعيلية فى سبتمبر ١٩٢٧. وفى ذى القعدة سنة ١٣٤٧هـ (مارس سنة ١٩٢٨) كوّن مع ستة من أهلها أول شعبة للإخوان المسلمين.

وكانت السنوات الخمس التى قضاها فى الإسماعيلية - مدرسًا ومرشدًا - سنوات خير وبركة، فقد استطاع أن يوفق بنجاح فائق بين وظيفته الحكومية - مدرسًا مثاليًا بالمرحلة الابتدائية - ومرشدًا يدعو إلى الله على هدى وبصيرة فى المدينة والقرى. . فى المساجد والمحافل والمقاهى.

وفى الإسماعيلية بنى الإخوان دارًا ومسجدًا ومدرسة سموها «**معهد حراء**»[3].

---

(١) المذكرات ٧٤.

(٢) المذكرات: نفس الصفحة.

(٣) المذكرات ١٢٢.

وأنشأ الإخوان كذلك مدرسة للبنات باسم «مدرسة أمهات المؤمنين». كما أنشأ الإخوان قسمًا خاصًا «للأخوات المسلمات» يتألف من زوجات الإخوان وقريباتهم.

ومن الإسماعيلية انطلقت الدعوة واتسع نطاقها، وأنشئت شعب للإخوان فى عدد من القرى والمدن مثل: أبو صوير وبور سعيد والسويس وشبراخيت والمنزلة وجديدة المنزلة والمطرية وميت خضير والبصراط وميت سلسيل وبرِمْبَال القديمة وميت عاصم وغيرها.. وكلها مدن وقرى فى شمال دلتا النيل.

وتزوج حسن البنا فتاة من أسرة صالحة هى أسرة الصولى. وتطلع إلى الانتقال والعمل بالقاهرة، وطلب رسميًا نقله إليها، فحقق الله له ما أراد فى أكتوبر سنة ١٩٣٢.

### فى القاهرة.. الانطلاقات الكبرى

وفى القاهرة اتسع نشاط الإخوان لينتظم الأنواع الآتية:

١- المحاضرات والدروس فى الدور والمساجد، وتأسيس درس الثلاثاء.

٢- إصدار رسالة المرشد العام عددين فقط، ثم مجلة «الإخوان المسلمين» الأسبوعية، وفى أثناء ذلك مجلة «النذير».

٣- إصدار عدد من الرسائل والنشرات.

٤- إنشاء الشعب فى القاهرة، وزيادة شعب الأقاليم، ونشر الشعب فى الخارج.

٥- تنظيم التشكيلات الكشفية والرياضية.

٦- تركيز الدعوة فى الجامعة والمدارس، وإنشاء قسم الطلاب، والانتفاع بجهود الأزهر الشريف: علمائه وطلابه.

٧- إقامة عدة مؤتمرات دورية للإخوان فى القاهرة والأقاليم.

٨- المساهمة فى إحياء الاحتفالات الإسلامية والذكريات المجيدة فى القاهرة والأقاليم كذلك.

٩- المساهمة فى مناصرة القضايا الإسلامية الوطنية، وبخاصة قضية فلسطين.

١٠- تناول الناحية الإصلاحية السياسية والاجتماعية بالبيان والإيضاح والتوجيه، وكتابة المذكرات والمقالات والرسائل بهذا الخصوص.

١١- المساهمة فى الحركات الإسلامية كحركة مقاومة التبشير، وحركة تشجيع التعليم الدينى.

١٢- مهاجمة الحكومات المقصرة إسلاميًا، ومهاجمة الحزبية، والدعوة فى وضوح إلى المنهاج الإسلامى، وتأليف اللجان لدراسات فنية فى هذه النواحى[1].

* * *

وفى القاهرة صدرت مجلة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية، وقد استمر صدورها أربع سنوات، وتلتها فى الصدور مجلات أخرى مثل: النذير

(١) المذكرات ١٨٠ - ١٨١.

والمنار، ثم صحيفة «الإخوان المسلمون» اليومية التى ظلت تصدر إلى أن حلت الجماعة عام ١٩٤٨. كما أصدر الإمام البنا سنة ١٩٤٧ مجلة شهرية للدراسات الإسلامية باسم «الشهاب».

وفى القاهرة كان «المركز العام» للجماعة كلها، ووضع النظام الأساسى للجماعة فهناك المرشد العام، ومكتب الإرشاد، ثم الهيئة التأسيسية والمكاتب الإدارية والمناطق والشُّعَب التى تجاوز عددها ألف شعبة فى مصر كلها.

وأخذت الدعوة طريقها إلى البلاد العربية، فأُنشئت شعب فى الأردن وفلسطين والشام، وانفتحت الدعوة على كل فئات الشعب فأنشأ مكتب الإرشاد الأقسام الآتية:

١ - قسم نشر الدعوة.

٢ - قسم العمال.

٣ - قسم الفلاحين.

٤ - قسم الأسر.

٥ - قسم الطلبة.

٦ - قسم الاتصال بالعالم الإسلامى.

٧ - قسم التربية البدنية.

٨ - قسم الصحافة.

٩ - قسم المهن.

١٠- قسم الأخوات المسلمات.

وحدد لكل قسم من الأقسام السابقة مهامه واختصاصاته.

وانتشرت الدعوة بين الطلبة على نطاق واسع، وأصبح للإخوان ثقل واضح فى الجامعات المصرية، كما كان لهم تأثيرهم الفعال فى توجيه المسارات السياسية.

وتوالى صدور رسائل الإمام البنا تحمل فكر الجماعة، وتشرح أهدافها ووسائلها وأساليبها، ومن هذه الرسائل ما وجهه الإمام البنا إلى الملكين فؤاد وفاروق، ورؤساء الوزارات، وذوى المراكز المرموقة، وكلها تتناول القضايا الإسلامية والعربية والاجتماعية، وموقف الإخوان منها، ورؤيتهم الخاصة لها، والحلول التى يرونها، وهى حلول تنطلق من الفهم العملى الشامل لمبادىء الدين الحنيف.

## المرشد وخوض الانتخابات النيابية

وتفاعلاً مع الحياة السياسية المصرية بهدف الإصلاح رشح المرشد نفسه عن دائرة الإسماعيلية مرتين: المرة الأولى سنة ١٩٤٢. ولكنه تنازل عن ترشيح نفسه بعد لقاء مع النحاس باشا رئيس الوزراء صارحه فيه بأن الإنجليز - وهم الذين يصرفون أمور مصر وسياستها - يضغطون على الحكومة ضغطًا رهيبًا بضرورة تنازل المرشد عن ترشيح نفسه. والرفض - فى ظروف الحرب العصبية - قد يؤدى إلى نكبة على مصر، وفى استطاعة الإنجليز - على حد قول النحاس «أن يدمروا البلد فى ساعتين»[1]. فآثر

(١) فريد عبد الخالق: الإخوان المسلمون فى ميزان الحق ٣٥. (دار الصحوة: القاهرة ١٤٠٨ - ١٩٨٧)

المرشد مصلحة مصر، وتنازل عن الترشيح، على الرغم من معارضة مكتب الإرشاد فى أول الأمر.

وجاءت وزارة أحمد ماهر (الأولى) فى ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٤، وأعلنت عن عزمها إجراء انتخابات نيابية «نزيهة» وقرر الإخوان خوض هذه الانتخابات، ورشح المرشد نفسه فى دائرة الإسماعيلية. وأرسلت السفارة الإنجليزية خطابًا سريًا إلى أحمد ماهر لمنع المرشد من ترشيح نفسه، والتقى أحمد ماهر بالمرشد وطلب منه التنازل، وألح فى الطلب، ولكن الإمام البنا رفض طلب رئيس الوزراء رفضًا قاطعًا.

وفى يوم الانتخاب واجه المرشد والإخوان حربًا حقيقية، فكان الذى يشرف على الانتخاب هو الحكمدار الإنجليزى لمدينة الإسماعيلية، وتدخل الجيش البريطانى فى الانتخابات تدخلاً سافرًا، وأحضروا آلافًا من عمال المعسكرات الإنجليزية، وتم تزوير الانتخابات، وظهرت النتائج بإعادة الانتخابات بين المرشد ومرشح آخر.

وفى الإعادة تكثفت وتضاعفت جهود الحكومة المصرية والحكمدار الإنجليزى والقوات البريطانية وعشرات الآلاف من عمال الجيش البريطانى، وزورت الانتخابات على نحو أفدح، وكانت النتيجة معروفة مقدمًا وهى سقوط المرشد[1].

---

(١) انظر: محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ ١/٣٢٦ ط١ (دار الدعوة - الإسكندرية).

وكذلك: فريد عبد الخالق: السابق ٤٥ - ٤٦.

وريتشارد ب. ميتشل : الإخوان المسلمون. ترجمة الدكتور محمود أبو السعود =

واهتم الإخوان اهتمامًا بالغًا بقضايا العالم الإسلامى، وفتحوا صدورهم للمضطهدين والمجاهدين الذين أخذ المستعمرون وأعداء الإسلام يطاردونهم فى كل مكان.

ووجهوا أكبر اهتمام إلى القضية الفلسطينية، وقدموا من أجلها التضحيات بالجهد والوقت والمال والدم، وتقدمت كتائب الإخوان، وسجلت على اليهود انتصارات باهرة فى معارك طاحنة مازال بعضها يدرس فى الأكاديميات العسكرية فى العالم(1).

وكان دخول الجيوش العربية أرض فلسطين سقطة كبرى، ولم تستمع الحكومات العربية لمقولة الإمام الشهيد «إنّ دولة الباطل قامت على أكتاف عصابات صهيونية، ولا ينهى وجودها إلا عصابات إسلامية».

وتوالت السقوطات الفادحة، فبينما كان الإخوان يسجلون أروع الانتصارات، ويتأهبون لاحتلال القدس الجديدة فوجئوا بقبول الحكومات العربية الهدنة الأولى فى ١١ من يونيو ١٩٤٨، وكانت فرصة لليهود لالتقاط الأنفاس وتكريس القوة، واستيراد أنواع متطورة من الأسلحة واستأنفوا القتال، وتقهقر الجيش المصرى، وحوصرت بعض قواته فى

= هامش ص ١١٢ من تعليقات الأستاذ صالح أبو رقيق. (دار الوفاء - مصر ط١ ١٣٩٩ - ١٩٧٩)

(١) ارجع فى تفصيل ذلك إلى كتاب: كامل الشريف: الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين وخصوصًا الصفحات ٥٧ - ٧٦. والصفحات ١٤٢ - ١٤٩.
(مكتبة المنار - الأردن. دار الوفاء: المنصورة. مصر. ط٣ ١٤٠٤ - ١٩٨٤).

الفالوجة، وارتكب اليهود مذابح وحشية كان أشهرها مذبحة «دير ياسين» فى ٩/ ٤/ ١٩٤٨.

وأصبحت كتائب الإخوان هى القوة الفاعلة الوحيدة فى فلسطين، فلا عجب أن تتكالب الصهيونية العالمية والقوى الاستعمارية، والساسة والحكام الخونة على ضرب الإخوان وإيقاف قوتهم العسكرية المنتصرة فى فلسطين.

## حل الجماعة

ووقع فى القاهرة بعض حوادث العنف والنسف الفردية نسبت إلى أفراد من الإخوان. وفى ١٠ من نوفمبر سنة ١٩٤٨ اجتمع ممثلو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة فى فايد - وهى قاعدة بريطانية تقع على قناة السويس والبحيرات المرة، وأجمعوا على ضرورة حل جمعية «الإخوان المسلمين» وتقدمت السفارة البريطانية بهذا الطلب، بل هذا الأمر لرئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى الذى أصدر فى ٨ من ديسمبر ١٩٤٨ الأمر العسكرى رقم ٦٣ «بحل جماعة الإخوان وشعبها أينما وجدت، وبغلق الأماكن المخصصة لنشاطها، وبضبط جميع الأوراق والوثائق والمجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال، وكافة الأشياء المملوكة للجمعية»[(١)].

(١) انظر: محمد شوقى زكى: الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى ٢٣ - ٢٤ وميتشل: الإخوان المسلمون ١٧١.

وفريد عبد الخالق: الإخوان المسلمون فى ميزان الحق ٥٣. وقد نشرت مجلة «الدعوة» فى عددها الأول الصادر يوم الثلاثاء ٢٢ من ربيع الآخر ١٣٧٠-٣٠ من يناير ١٩٥١=

وقد علل الإمام الشهيد اندفاع النقراشى إلى حل الإخوان بتعليلات حقيقية خلاصتها:

١- الضغوط الأجنبية على حكومة النقراشى بضرورة حل الإخوان، وذلك بعد اجتماع فايد في ١٠/١١/١٩٤٨، واستجابة لهذا الأمر صدر قرار الحل في ٨/١٢/١٩٤٨. وقد أقر وكيل وزارة الداخلية عبد الرحمن عمار بذلك.

ولم يكن هذا جديدًا على القوى الاستعمارية: ففى سنة ١٩٤٢- والحرب العالمية على أشدها- طلب السفير البريطانى من رئيس الوزراء مصطفى النحاس حل الإخوان ولكنه رفض، واكتفى بإغلاق الشُعب مع بقاء المركز العام إلى حين.

٢- اقتراب موعد الانتخابات التى زعمت حكومة السعديين أنها ستكون فى أكتوبر سنة ١٩٤٩. وتصفية الإخوان، وتشويه سمعتهم تفسح المجال للسعديين للحصول على الأغلبية كما كانوا يعتقدون.

٣- رغبة الحكومات العربية فى إنهاء قضية فلسطين بالصورة التى يريدها المستعمرون ومواليهم وكان الإخوان هم القوة الوحيدة الضاربة التى تقف فى وجه الحلول الاستسلامية والتفريط فى الحق الفلسطينى.

* * *

= تحقيقًا مدعمًا بالوثائق والصور للتسلسل التاريخى لحل الإخوان ابتداء من ١٠ نوفمبر وانتهاء بقرار الحل الصادر فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨.

وراجع فى تفاصيل هذا المخطط: ١٣٢ - ١٣٧ من كتاب: لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا. لعبد المتعال الجبرى (دار الاعتصام - القاهرة - ط٢ - ١٣٩٨ - ١٩٧٨).

وأكدت الأيام صـدق ما استنتجـه الإمام البنا، فبـعد أن اغتيل مـساء ١٢/٢/١٩٤٩، وقـعت اتفاقـية الهـدنة بين مصـر وإسرائيل فى جـزيرة رودس فى ٢٤/٢/١٩٤٩، وسحب الجيش المصـرى من فلسطين، وعشنا بعد ذلك «حـياة من التنازلات» المؤسفـة المخزية على ما هو مـشاهد على الساحة العربية حاليًا[١].

**الاغتيال.. الشهادة..**

واستكمالاً لحلقات المؤامرة دبرت جريمة اغـتيال المرشد فى الخامسة من مسـاء السبت ١٢ من فـبراير سنة ١٩٤٩، وكـان التدبيـر دقيـقًا، فـقبل الاغتيال اتخذت الحكومة من الخطوات والأعمال التمهيدية ما يأتى:

١- سحبت من المرشد سلاحه المرخص، وهو وسيلته الوحيدة للدفاع عن نفسه.

٢- رفضت الحكومة طلبًا تقدم به لكى يُعتقل مع أصحابه ومريديه.

٣- رفضت الحكومة كذلك طلبه بأن ينزل ضيفًا مقيمًا بعزبة أحد الإخوان بالريف. وألقت القبض على صاحب العزبة.

٤- منعتـه الحكومة من السفر إلى الخـارج، أو التنقل من مكان إلى مكان داخل القطر بغير إذن من الحكومة.

---

(١) انظر: فريد عبد الخالق: السابق ٥٣- ٥٥.
ومحمد شوقى زكى: السابق ٢٩ - ٣١.
وللتوسع راجع: موسـوعة السياسة: د. عبـد الوهاب الكيالى وآخرون ٤/ ٥٨١. ط٢ ١٩٩٠. وكذلك ٧/ ١٠٣ - ١٠٦ط١ ١٩٩٤- المؤسـسة العربية للدراسـات والنشر - بيروت

وأمـام جمـعيـة الشبـان المسلمين فى شـارع الملكة نازلى أطلق عليـه الرصاص، واستقل الجناة سيارة سوداء ثبت بعد ذلك أنها سيارة القائمقام محمود عبد المجيد مـدير إدارة المباحث الجنائية بوزارة الداخلية، وقد قُدم - بعـد قيام الـثورة - للمـحاكـمة هو وعـدد من كبـار الضبـاط ورجال المباحث.

وبعـد إطلاق الرصـاص تحامل الإمـام البنا على نفـسـه، وذهب إلى الإسعاف، ويقال إن أوامر مشددة صدرت إلى الأطباء بتركه ينزف إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة، ليلحق بركب النبـيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا[1].

* * *

## صورة نفسية

إننا لو أردنا أن نرسم صورة نفـسية لحسن البنا مـا اتسع لذلك ضعف هذا الكتاب الـذى نقدمه للقـارىء، وما هذه الكلمـات التى نكتبـها عن مسـيرة حيـاته وأبعاد شـخصيـته إلا مدخـلاً وتوطئة للمـوضوع الأصلى للكتاب وهو: وقـفة نقدية تقيـيمية مع رسائله، وخصوصًـا رسائله إلى «الكبـار» من رجال السـياسـة والمجتـمع، وكذلك رسـائله إلى والده فى شبابه.

---

(١) ارجع إلى كتـاب عباس السـيسى «فى قافلة الإخـوان المسلمون» ١/ ٢٨٣ - ٢٨٤. (دار الطباعة والنشر والصوتيات - الاسكندرية. ط٢ ١٤٠٧ - ١٩٨٧).

ولكننا لا نغلو إذا قلنا: إنه كان يمثل فى حـياة العالم الإسلامى «الرجل الأمّة» فقد عـاش ثقيل الميزان، عالمًا، خطـيبًا قوى البيـان، مؤمنًا بالله إلى أقصى حدود الإيمان، ذكيًا خارق الذكـاء، بعيد النظر فى أعماق النفوس، وآماد الأحداث، يتمتع بأعظم الحـظوظ من روح الأبوة والسماحة والقدرة على تطويع النفـوس وتوجيهـها وتربيتـها، وساعـده على كل أولئك **قوة الذاكرة** بصورة لم يسـمع أحد، ولم يشـاهد أحد لها مـثيلاً فى عـصره، وربما فى عصور سابقـات. وفى ذلك يقول تلميذه **عمر التلمسانى** - وهو المرشد الثالث للجماعة بعد الإمامين حسن البنا وحسن الهضيبى:

كانت له ذاكرة غير مألوفة فى قوتها: إذا سأل أخًا عن اسمه مرة وابنه وأبيه وعـمله ثم التقى به بعـد أشهر طوال حـيَّاه باسمـه وسأله عن والده فلان وابنه فلان، وكـان ذلك مثار العجب عند الجـميع. ولو علمت عدد شعب الإخوان أيام حياته، ولكل شعبة مسئول ثم هو بعد ذلك يعرف كل مـسئـول عن كل شعـبة، وهو الذى يـعرّف الآخـرين بهم لأذهلتك هذه الذاكرة الجبارة التـى ما ضاقت يومًا عن اسم، أو غاب عنها حـدث مهما طال به الزمن.

كانت هذه الذاكرة تواتيه بالوقائع على وجهها الصحيح إذا أراد مجادل أن يحاور أو يكابر فيرده إلى الواقعة بزمانها ومكانها وأفرادها وملابساتها، كأنما يقرأ من كـتاب، بلا تحد ولا محاولة إحـراج، ولكنه الإقناع المترفق حتى ليظن العائد إلى الحق أنه هو الحق.

كما كـانت هذه الذاكرة المتوقدة سـببًا فى إزالة الكثيـر من المشاكل بين الإخوان إذا مـا رجعوا إليـه، وإذا ما دعا الأمـر إلى سرد أحداث مـعينة سردها كأنما تسمعها من شريط مسجل[1].

وأغرب الوقائع التى تدل على قوة ذاكرة الإمام البنا - رحمه الله - ما كان بينه وبين كـتاب «مستـقبل الثقافة فـى مصر» الذى كتبـه طه حسين، ودعا فيه إلى «تغـريب» التعليم والثقافة ووسائل العـيش والحياة. ويحكى الإمام البنا قصتـه مع هذا الكتاب للأستاذ محمود عبـد الحليم، فيذكر أن المسئولين فى جمعية الشـبان المسلمين أصروا على سماع رأى الإخوان فى هذا الكتاب، وخصـوصًا بعد أن أعلن طه حسين بوصفه «مـستشار وزارة المعـارف» إصراره على وضع آرائه مـوضع التنفيـذ، وطبع المسئـولون فى جمعية الشـبان المسلمين الدعوات لحضور محاضرة يلقيـها الأستاذ المرشد عن كتاب «مستـقبل الثقافة فى مصر» بعد خـمسة أيام، ولم يكن الأستاذ البنا قد قرأ الكتاب، ولم يجد وقتًا يخصصه لقراءة الكتاب إلا فترة ركوبه الترام فى الصباح إلى مدرسته، وفتـرة رجوعه منها، وكان يضع علامات بالقلم الرصـاص على فـقـرات معـينة، ولم تمض الأيام الخـمـسة حـتى استوعب الكتاب كله.

يقول الأستاذ البنا: وفى الموعد المحـدد ذهبت إلى دار الشبان فوجدتها

---

(١) عمـر التلمسـانى: الملهم الموهوب حسن البنا أسـتاذ الجـيل ٢٨. (دار نصر للطبـاعة. القاهرة. د. ت).

- على غير عادتها - غاصة، والحاضرون هم رجال العلم والأدب والتربية في مصر... ووقفت على المنصة، واستفتحت بحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبجانبى الدكتور يحيى الدرديرى السكرتير العام للشبان المسلمين، ورأيت الكتاب كله منطبعًا فى خاطرى بعلاماتى التى كنت علمتها بالقلم الرصاص.

وبدأت أول ما بدأت فقلت إننى لن أنقد هذا الكتاب بكلام من عندى، وإنما سأنقد بعضه ببعضه، وأخذت - ملتزمًا بهذا الشرط - أذكر العبارة من الكتاب، وأعارضها بعبارة أخرى من نفس الكتاب. ولاحظ الدكتور الدرديرى أننى فى كل مرة أقول: «يقول الدكتور طه حسين فى الكتاب فى صفحة كذا.. واقرأ العبارة بنصها أيضًا من خاطرى. ثم أقول: ويناقض الدكتور طه نفسه فيقول فى صفحة كذا.. وأقرأ العبارة بنصها أيضًا من خاطرى. فاستوقفنى الدكتور الدرديرى، وطلب إلى أن أمهله حتى يحضر نسخة من الكتاب ليراجع معى النصوص والصفحات، لأنه قرأ الكتاب، ولم يلاحظ فيه هذا التناقض» وكأنه لم يقرأ العبارات التى يسمعها الآن.

وأُحضر له الكتاب، وظل يتابعنى، فيجد العبارات لا تنقص حرفًا، ولا تزيد حرفًا، ويجد الصفحات كما أحددها تمامًا، فكاد الدكتور الدرديرى يجن، كما ساد الحاضرين جو من الدهشة والذهول، والكل يتجه - كلما قرأت من خاطرى عبارتين متناقضتين - إلى الدكتور الدرديرى كأنهم يسألونه: أحقًا هذه العبارات فى الكتاب؟ فيقول الدكتور الدرديرى فى كل مرة: «تمامًا بالنصوص والصفحات».

وظللت على هذه الوتيرة حتى أنهيت الكتاب كله، وأنهيت المحاضرة، فقام الجميع - وفى مقدمتهم الدكتور الدرديرى - بين معانق ومقبل(١).

ويسقط أدعياء الزعامة من المتشيئين والمتعملقين، ويهيل عليهم التاريخ تلالاً من الطين والبصاق، ويبقى حسن البنا فى ذاكرة التاريخ إشراقة متوهجة لا تخبو ولا تذبل ولا تموت. وتبقى مسيرة حياته وفكره مداداً ومدداً لحملة الأقلام الشريفة الأصيلة، من شرقيين أوفياء مؤمنين، وغربيين عدول منصفين، ومن هؤلاء الكاتب الأمريكى روبير جاكسون فى كلمات تتدفق بشعور يمتزج فيه الإعجاب والعجب بالحزن واللوعة والأسى:

- هذا الشرق لا يستطيع أن يحتفظ طويلاً بالكنز الذى يقع فى يده.
- إنه رجل لا ضريب له فى هذا العصر.. لقد مرَّ فى تاريخ مصر مرور الطيف العابر الذى لا يتكرر.
- كان لابد أن يموت هذا الرجل - الذى صنع التاريخ وحول مجرى الطريق - شهيداً كما مات عمر وعلى والحسين.
- كان لابد أن يموت باكراً، فقد كان غريباً عن طبيعة المجتمع.. يبدو كأنه الكلمة التى سبقت وقتها، أو لم يأت وقتها بعد(٢).

---

(١) الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ ١/ ٢٤٠ - ٢٤١. وبعد ذلك بمدة ألقى الإمام الشهيد - بطلب منه - محاضرة قوية عن الكتاب فى جامعة القاهرة مبينا خطورة الكتاب على العقيدة. واستمرت المحاضرة عدة ساعات (انظر عمر التلمسانى: ذكريات لا مذكرات ٤٩- دار الاعتصام - القاهرة ١٩٨٥).

(٢) من كتاب: روبير جاكسون: حسن البنا الرجل القرآنى: ٥، ١٥، ١٩.

# الفصل الثالث

## السهام السوداء..

## (شبهات وأكاذيب)

## فى مطلع الدعوة

يقال إن أحـد «الكبار» قال للفيلـسوف الإيرلندى الشهيـر برنارد شو: «إننى أؤدي عملى فى نجاح كامل لأنه لا عدو لى» فقال شو: فمتى تكون عظيما إذن؟!!

وردّ «شـو» يضع أيدينا على حقيـقة تكاد تكون قـاعدة اجـتمـاعيـة وخلاصتها أنه بقدر نجاح الشخص - وخصوصا فى مجال الحياة العامة - تتفتح عليه العيون، وتكثر حوله الأحـقاد. وكان الإمام الشهيد واحدا من هؤلاء، فلاحقتـه إساءات الحاقدين، وأكاذيب المفتـرين، بعد أن بدأ يشد إليه الأنظار، ويحقق النجـاح تلو النجاح من أول يوم أنشأ فيه أول شـعبة للإخوان فى مدينة الإسماعيلية.

ومن مظاهر حرب الأحقاد ضد الإمام البنا المواقف والتصرفات الآتية:

(١) كتب بـعضهم عـريضة بتـوقيع لفـيف من أهالى الإسـماعيلـية إلى إسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء آنذاك تضمنت أمورا غريبة منها:

- أن هذا المدرس شيـوعى متـصل بموسكو، ويستمـد المال من هناك لأنه يبنى مسجدا ودارا، ويصرف على جـمعية ودعوة، ولا يكلف الناس مالا، فمن أين له هذا؟

- ومنها أن هذا المدرس وفدى، ويعمل ضد النظام الحاضر، ويقول: إن الانتخـابات - بهذه الصورة - باطلة، وأن دسـتور سنة ١٩٣٠ باطل كـذلك، وأنه سافـر إلى «البحـيرة» لعـمل دعاية ضـد هذا النظام.

- ومنهـا أنه يتفوه ضـد الملك فؤاد والى النعـم بألفاظ يُستـحى من ذكرها.

- ومنها - وقـد نسى الكاتبون البند الأول - أن هـذا المدرس يجمع من الأهلين أموالا لينفقها فى مـشروعات لمدارس ومساجد لاندرى أين يذهب بـهـا، مع أن القـانـون المالى يمنع الموظفين مـن جـمع المال[1].

(٢) ومن هذه العرائض واحدة بتوقيع «مسـيحى» جاء فيها أن هذا المدرس المتعصب الذى يرأس جمعية متعصبة اسمها (الإخوان المسلمون) يفرق بين أبناء العنصرين فى الفصل، فـيتعمد إهانة التلاميـذ من المسيحيين وإهمـالهـم، وعـدم العناية بهـم، ويُؤْثر الطلاب من المسلـمين بكل اهتمـامه وأسئلته وتوجـيهاته، وأن ذلك سـيُحدث فتنة كـبرى لو لم تتداركها الوزارة بنقل هذا المدرس[2].

(٣) وحينما تـبرع «البارون دى بنوا» مديرشـركة قناة السويس بخمـسمائة جنيه مسـاهمة من الشركة فى بناء مـسجد الإخوان فى الإسمـاعيلية ثارت ثائرة المغرضين، وأطلقوا الإشاعات بأن الإخوان المسلمين يبنون المسجـد بمال الخواجـات، وآزرتها الفـتاوى البـاطلة ممن يعلم، وممن لايعلم: كيف تصح الصلاة فى هذا المسجد وهو سيبنى بهذا المال؟

يقول الإمام المرشد «. . . وأخذنا نقنع الجمـهور بأن هذه خرافة، فهذا مالنا لا مـال الخواجات، والقناة قناتنا، والبحـر بحرنا، والأرض أرضنا، وهؤلاء غاصبون فى غفلة من الزمن».

---

(١) راجع: مذكرات الدعوة والداعية ١١٢ - ١١٥.

(٢) المذكرات ١١٧.

وأراد الله أن يكون المسجد قد تمّ والحمد لله، فلم توضع فيه أموال الخواجات، ووضعت فى «دار الإخوان المسلمين» بالذات، وبذلك سكنت الثائرة، وانطفأت الفائرة»[1].

* * *

وظلت الدعايات المغرضة والأحكام الغالطة المتناقضة تلاحق الإخوان ودعوتهم فى الشرق والغرب. . فى الداخل والخارج، فى الإذاعات والصحف والمقالات والكتب. والمتصفح لكتابات هؤلاء وأمثالهم عن الإخوان يخرج بحصيلة تدعو إلى العجب، بل كثيرا ما تبعث فى النفس الرثاء إن لم يكن السخرية، فبينما يعتبرهم اليساريون من الرجعيين الذين رفعوا شعار العودة إلى الماضى، ترى الرأسماليين يرمونهم باليسارية والثورية، وبينما يرى فريق من كتاب الغرب أنهم فئة تقدمية خطرة على المذاهب الغربية تجد فريقا آخر يرميهم بالتزمت والعنف والتنظيم العسكرى (أو الفاشى) . . . وهكذا دواليك.

فالإخوان فى نظر الشيوعيين عملاء للإنجليز المستعمرين، والإخوان فى نظر المنحازين للديموقراطية الرأسمالية اشتراكيون مقنعون أو فاشيون إرهابيون.

والإخوان فى نظر الأوربيين دعاة إلى عودة الإمبراطورية الإسلامية البغيضة التى تحاول أن تكره الناس حتى يكونوا مسلمين مؤمنين.

أما أغرب الإتهامات مارواه أحد كبار موظفى القصر فى عهد الملك

---

(1) المذكرات ١٢١.

فاروق أن الملك كان يعتقد أن الإخوان يحصلون على مدد مالى سخى من اليابان[1].

* * *

**الجهاز الخاص .. والإرهاب!!**

ومن أهم الافتراءات وأشهرها اتهام الإخوان بالإرهاب والتخريب والدموية حرصا على الوثوب على الحكم معتمدين فى ذلك على تشكيل سرى يسمى «النظام الخاص» أو «الجهاز السرى».

والواقع التاريخى الثابت يقرر أن هذا النظام الخاص - كوحدة منظمة - قد بدأ حوالى سنة ١٩٤٣، وكان أول رئيس له الأستاذ صالح عشماوى نائب المرشد العام فى ذلك الوقت، وكان طبيعيا أن يظل الأمر سرا مكتوما، إذ كانت الدعوة معرضة لأخطار كثيرة. **ومن أهم الدواعى إلى قيام النظام الخاص:**

[١] الاحتلال البريطانى، والاستعمار بوجه عام - لمعظم البلاد الإسلامية، وفشل المساعى السلمية للتخلص من الأجنبى المستعمر.

[٢] استعمال هذا الجهاز كقوة لمواجهة الصهاينة فى فلسطين.

[٣] كبت الحريات فى مصر، وغياب القانون.

---

(١) من تقديم الدكتور محمود أبو السعود لكتاب ميتشل (الإخوان المسلمون) ١٨-١٩. وقد ذكر أن الذى نقل له ذلك عن الملك فاروق هو اللواء طيار حسن عاكف، وهو صاحب تاريخ بطولى فى حرب فلسطين، وإن غاب ذكره عن الكثيرين. وانظر هامش ص١٩ من الكتاب المذكور.

وكل هذه الدوافع من مبررات الجهاد ودواعيه. وفكرة (النظام الخاص) تمثل جزءا من التصور الإخوانى ومنهج الدعوة: فالجهاد شعار من شعارات الإخوان المسلمين. والجهاد لايتحقق إلا بإعداد الرجال ماديا وروحيا وخصوصا فى وقت تعرض فيه الإخوان للإعنات والاضطهاد والمحن.

ومن الناحية التاريخية صاحب تكوين الإخوان إنشاء فرق الرياضة ثم الجوالة التى كانت مسجلة رسميا فى حركة الكشافة المصرية. وكان الأعضاء المنتمون إلى هذه الفرق يتدربون فى معسكرات خاصة علنية على إطلاق النار ونوع من الحياة العسكرية.

وحينما نشبت الحرب العالمية الثانية، وتعرضت البلاد للأحكام العسكرية، وبدأت الحكومات تضيق الخناق على الحريات بعامة وعلى نشاط الإخوان بخاصة، كان من المنطقى أن يتخذ هذا النشاط لنفسه مظهرا غير جوهره. وقبيل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) تطوع بعض الإخوان ليقفوا مع ثوار فلسطين مجاهدين ضد البريطانيين والصهاينة. وكان لزاما أن يتدربوا على بعض الأعمال الفدائية التى لاغنى عنها فى مثل هذه المعارك[1].

---

(١) صالح أبو رقيق: من تعليقاته الهامشية على كتاب ريتشارد ب. ميتشل (الإخوان المسلمون) ص١٠٨. وإن أردت التوسع فارجع إلى كتاب أحمد عادل كمال: النقط فوق الحروف: الإخوان المسلمون والنظام الخاص (الزهراء للإعلام العربى - القاهرة). وكذلك كتاب محمود الصباغ: حقيقة التنظيم الخاص ودوره فى دعوة الإخوان المسلمين. وخصوصا الصفحات (٣١٧ - ٤٢٠ (دار الاعتصام. القاهرة ١٩٨٩).

**الانحراف بالدين إلى السياسة!!**

ومن هذه الافتراءات أن الإخوان سيّسُوا الدين أى انحرفوا بدعوتهم من دعوة دينية أخلاقية إلى الاشتغال بالسياسة كالأحزاب الأخرى.

والقائلون بذلك يقعون - بقصد أو غير قصد - فى الأخطاء الآتية:

(١) فهمهم الناقص المشوّه للإسلام على أنه دعوة دينية روحية محصورة فى العبادات والتحلى بالأخلاقيات دون الاشتغال بالحياة العامة فى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدولية.

ولسنا فى حاجة إلى تقديم الأدلة النصّية من القرآن والسنة والأدلة الفعلية العملية من حياة الرسول - ﷺ - وحياة الخلفاء الراشدين فهى أكثر من أن تحصى، ولكننا نشير هنا إلى بعض شهادات المنصفين من المستشرقين فى هذا المقام:

- يقول فتزجرالد: «ليس الإسلام دينا فحسب، ولكنه نظام سياسى أيضاً».

- ويقول نللينو: «لقد أسس محمد فى وقت واحد دينا ودولة، وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته».

- ويقول ستروثمان: «الإسلام ظاهرة دينية سياسية، إذ أن مؤسسه كان نبيا، وكان سياسيا حكيما، أو رجل دولة».

- ويقول توماس أرنولد: «كان النبى فى نفس الوقت رئيسا للدين، ورئيسا للدولة»[1].

---

(١) عن كتاب «النظريات السياسية الإسلامية» للدكتور محمد ضياء الدين الريس ٢٨-٢٩ (ط٦ - دار التراث - القاهرة ١٩٧٦).

(٢) وهذا الفهم الصحيح للإسلام بأبعاده الروحية والسياسية والاقتصادية والتربوية كان - من بداية نشأة الإخوان، وما زال حتى الآن - من ثوابت دعوتهم، وكان الإمام الشهيد فى كل خطبه ورسائله يكرره ويلح عليه. **ومن كلماته فى رسالة (دعوتنا):**

دعوتنا دعوة أجمع ما توصف به أنها (إسلامية). ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذى يفهمه الناس، فإنا نعتقد أن الإسلام معنى شامل ينتظم شئون الحياة جميعا، ويفتى فى كل شأن منها، ويضع له نظاما محكما دقيقا، ولا يقف مكتوفا أمام المشكلات الحيوية والنظم التى لابد منها لإصلاح الناس. فهم بعض الناس خطأ أن الإسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية، وحصروا أنفسهم وأفهامهم فى هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور»[١].

ويقول المرشد العام فى رسالته (الإخوان المسلمون تحت راية القرآن): «أما مهمتنا - فى بعض تفاصيلها - فهى أن يكون فى مصر أولا بحكم أنها فى المقدمة من دول الإسلام وشعوبه، ثم فى غيرها كذلك:

- نظام داخلى للحكم يتحقق به قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ [المائدة: ٤٩] .

- ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً**

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ٢٣. وانظر تحديده لموقف الإخوان من الوطنية والحزبية القومية ٢٣-٣١. وهو موقف ينطلق من هذا الفهم للإسلام بأبعاده الشمولية (دار الدعوة - الأسكندرية ١٤١٠-١٩٨٩).

وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

[البقرة: ١٤٣]

- ونظام عملى للقضاء يستمد من الآية الكريمة: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

- ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٤١].

- ونظام اقتصادى استقلالى للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قوله تعالى: ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء: ٥].

- ونظام للثقافة والتعليم يقضى على الجهالة والظلام، ويطابق جلال الوحى فى أول آية من كتاب الله ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١].

- ونظام للأسرة والبيت ينشىء الصبى المسلم والفتاة المسلمة والرجل المسلم، ويحقق قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

- ونظام للفرد فى سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩].

- وروح عام يهيمن على كل فرد فى الأمة من حاكم أومحكوم قوامه قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٧٧].

نحن نريد الفرد المسلم، والبيت المسلم، والشعب المسلم، والحكومة المسلمة، والدولة التى تقود الدول الإسلامية، وتضم شتات المسلمين، وتستعيد مجدهم، وترد عليهم أرضهم المفقودة، وأوطانهم المسلوبة، وبلادهم المغصوبة، ثم تحمل علم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله، حتى تسعد العالم بتعاليم الإسلام[1].

* * *

وفى رسالة (**بين الأمس واليوم**) يُجمل الإمام الشهيد أهداف الإخوان فى اثنين هما:

١ - تحرير الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى، وذلك حق طبيعى لكل إنسان لاينكره إلا ظالم أو جائر أو مستبد قاهر.

٢ - أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام، وتطبق نظامه الاجتماعي، وتعلن مبادئه القويمة، وتبلغ دعوته الحكيمة للناس. وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعا آثمون مسئولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم فى إقامتها وقعودهم عن إيجادها.

نريد تحقيق هذين الهدفين فى وادى النيل، وفى بلاد العروبة، وفى كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام: دين وجنسية توحد بين جميع المسلمين[2].

---

(١) مجموعة الرسائل ١١٥ - ١١٦.

(٢) مجموعة الرسائل ١٦٠.

وتصديقا لهـذا الفهم الشامل للإسلام يصف الإمـام المرشد (فى المؤتمر الدورى الخامس فى ١٣ من ذى الحـجة ١٣٥٧) دعوة الإخـوان المسلمين بأنها دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية[١].

وتمثل فهم الإخوان للإسلام بهذه الصورة الشاملة المتكاملة فى شخصية الأخ المسلم الذى كان استـجابة عملية لهذا الـتكامل وهذا الشمول. **وفى ذلك يقول الإمام الشهيد:**

. . . من هنا كـان كثـير من مظاهر أعـمال الإخـوان يبدو أمـام الناس مـتناقضـا، وما هـو بمتناقض، فقـد يرى الناس الأخ المسلم فى المحـراب خاشعًا متبتلا يبكى ويتذلل، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظا مدرسا يقرع الآذان بزواجر الوعظ، وبعد قليل تراه نفسه رياضيًا، وبعد فترة يكون هو بعينه فى متجره أو معمله يزاول صناعته فى أمانة وإخلاص.

هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض، ولو علموا أنها جميعا يجمعها الإسلام، ويأمر بها ويحض عليها لتحققوا فيها مظاهر الالتئام، ومعانى الانسجام. ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحى من المآخذ ومواطن النقد والتقـصير، كما اجتنبوا التـعصب للألقـاب، إذ جمـعـهم الإسلام الجـامع حول لقب واحـد هو الإخوان المسلمون[٢].

* * *

(١) انظر الشرح والتفصيل فى مجموعة الرسائل ١٧٤ - ١٧٥.
(٢) السابق ١٧٥-١٧٦.

وفى وضوح كـامل وصراحة جليّة - من سـتين عاما مـضت - يحدد الإمـام الشهـيد - فى مـؤتمر الإخـوان الخامس سنة ١٣٥٧هـ - مـوقف الإخوان من الحكم وطلب السلطة، فيقول بالحرف الواحد:

الإخوان المسلمون يسيرون فى جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدى الإسلام الحنيف كما فهـموه، وهو يجعل الحكومة ركنا من أركانه، ويعتمد على التنفيذ، كما يعـتمد على الإرشاد.. فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هـوقانون وقضاء.. لا ينفك واحد منها عن الآخر[1].

وقـد يكون مفـهـوما أن يقنع المصـلحون الإسـلاميـون برتبـة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصـغاء لأوامر الله وتنفيذا لأحكامه، وإيصالا لآياته وأحاديث نبيه.

وأما والحـال كما نرى: الـتشريع الإسـلامى فى واد والتشريـع الفعلى والتنفيذى فى واد آخر فإن قعـود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامـية لا يكفرها إلا النهوض واستخـلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.

وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة مَن يسـتعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمـانة، والحكم بمنهاج إسلامى قـرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجـدوا فالحكم من منهاجهـم، وسيعملون لاستـخلاصه من أيدى كل حكومة لا تـنفذ أوامر الله[2].

---

(١) السابق ١٩٠.

(٢) السابق ١٩١.

وليس هذا عيبا يعاب على الإخوان، بل هى محمدة يجب أن يحمدها لهم كل مسلم لأن الشيوعى يعمل على اغتصاب الحكم، ويومها يكون الشعب ومصيره ومقاليد أمره وثروته غنيمة لروسيا.

والعلمانيون يعملون على اغتصاب الحكم لتكون الأهواء والعواطف هى المسيطرة على مقاليد الأمور، فإذا ما سعى الإخوان لطلب الحكم بعد أن لم يجدوا أمينا على شرع الله فلا عيب فى سعيهم إلا أنه سعى مشكور. والفارق بينهم وبين غيرهم فى السعى إلى الحكم أن غيرهم يجعل الحكم تبعا لهواه هو، أما هم فسيجعلونه لله ولرسوله ولسعادة المسلمين وغيرهم على السواء[1].

* * *

ويفصل الإمام البنا القول فى موقف الإخوان من الدستور والقانون والوحدة القومية والعربية والإسلامية والأحزاب والهيئات[2]. وبعد ذلك ازدادت رسائل الإمام الشهيد قربا بل توغلا فى الواقع السياسى والاجتماعى والاقتصادى مفصلة رؤية الإخوان فى هذه الأوضاع، فشخّصت الأدواء التى تضعف الأمة فى هذه المجالات، وقدمت الحلول العملية من وجهة نظر الإسلام[3].

---

(١) د. رءوف شلبى: الشيخ حسن البنا ومدرسته الإخوان المسلمون ٣٤٠. (دار الأنصار. القاهرة ١٩٧٨).

(٢) وقد أكد الإمام البنا هذه الآراء فى مؤتمر الإخوان السادس المنعقد فى يناير ١٩٤٣. (انظر مجموعة الرسائل ٣٢٥ - ٣٤٦).

(٣) انظر مجموعة الرسائل ٣٠٩ - ٣٨٥.

والاشتغال بالسياسة - بالمفهوم السابق لم يكن بدْعا من الإمام البنا، بل كان قاعدة من قواعد «قانون النظام الأساسى للإخوان»، فالمادة الثانية منه تنص على الآتى:

الإخوان المسلمون هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام الحنيف، وما يتصل بهذه الأغراض. وهى:

أ - شرح دعوة القرآن الكريم شرحا دقيقا يوضحها.

ب - جمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية.

جـ - تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها والعمل على رفع مستوى المعيشة.

د - تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى...

هـ - تحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعا والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى.

و - قيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا، وتحرسها فى الداخل، وتبلغها فى الخارج.

ز - مناصرة التعاون العالمى مناصرة صادقة فى ظل المثل العليا الفاضلة التى تصون الحريات، وتحفظ الحقوق، والمشاركة فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة.

* * *

ولم يقف اشتغال الإخوان بالسياسة عند التنظير والتقعيد وعرض الرؤى الخاصة فى المواقف، بل أخذوا أنفسهم عمليا بما عرضوا وما نظَّروا انطلاقا من المفهـوم الشامل المتكامل للإسـلام، فلم يغيبـوا عن مشكلات الوطن والأمة الإسلامـية، وسنرى فى رسائل الإمام الشـهيد إلى الملوك والوزراء وكبار السـاسة ما يقطع بذلك، ومنها رسـالة إلى الملك فؤاد سنة ١٩٣٣، ورسالته العنيفة الملتهبة إلى الملك فاروق سنة ١٩٣٨، وكذلك رسائله إلى مصطفى النحاس وإسماعيل صدقى وعلى مـاهر ومحمود فهمى النقراشى والأمير عمر طوسون والأنبايونس متى والسفير البريطانى، وحاخام اليهود فى مصر.

والمعـروف أن الإمـام البنا تقـدم للتـرشـيح لمجـلس النواب عن دائرة الإسماعيلية مرتين: مرة سنة ١٩٤٢، وإن انسحب لأسباب تتعلق بمصلحة الوطن، والثـانية سنة ١٩٤٤ فى وزارة أحمـد ماهر، وتكاتفـت الحكومة وقوى الاستعمار الإنجليزى على تزوير الانتخابات حتى سقط المرشد.

وكان للإخوان صحفهم ومؤتمراتهم ومظاهراتهم فى الجامعة وغيرها مما كان له تأثـير بالغ على الرأى العـام المصرى، كمـا ترتب على كل أولئك تعديل واضح لكثير من المسارات الخاطئة.

وغير رسائل الإمام الشهيد أصـدرت المكتبة الإخوانية مئات من الكتب فى مجـال السياسة والاجـتماع والاقـتصاد، وقدمـوا كثيرا من الخـدمات والمشروعات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والصحية[1].

---

(١) راجع الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى لمحمد شوقى زكى ١٢٧ - ٢٠٨.

وتأسيسا على ما عرضناه آنفا نرفض، ويرفض الواقع الصادق الفرية التى تزعم أن الإخوان انحرفوا من الدين إلى السياسة، فالذين تبنوا هذه الأكذوبة كانوا واقعين تحت سيطرة قوتين:

**الأولى**: سيطرة الفهم المشوه أو المنقوص للإسلام بدعوى أنه دين «تعبدى» يقف عند تنظيم العلاقة الروحية بين العبد وخالقه.

**والثانية**: انعدام الدراسة الواعية للمسيرة الإخوانية، بل المسيرة الطبيعية لكل الدعوات الإصلاحية على مدار التاريخ الإنسانى كله. وقد اعتمدت مسيرة الإخوان على قاعدة شرعية - بل كونية هى «قاعدة التدرج» انطلاقا من مرتكز أساسى اعتمد عليه الإخوان من أول نشأة الدعوة سنة ١٩٢٨، وهى الإيمان المطلق بشمولية الإسلام: دينا ودولة، ومصحفا وسيفا، وعبادة وسياسة، وقيادة وجندية.

وكان هذا المفهوم هو «ثابتة الثوابت» التى لم تتغير وحدد الإخوان وسائل لتحقيق هذا المفهوم، ومتعلقات مفصلة ترتبط به، ولكن كان من الطبيعى أن تزداد هذه التفصيلات - بتقدم الزمن اتساعا، وتنضم إلى منظومة الفكر الإخوانى مستجدات لا تنال من هذه الثابتة، فتتغير بعض الوسائل، وتتطور بعض التفصيلات تبعا لمعطيات الواقع، ومواضعات السياسة، ونتائج التجريب.

ومن الأمثلة التى توضح ما ذهبت إليه آنفا أن الإخوان فى عهد الإمام البنا - قرابة عشرين عاما - كانوا ينكرون الحزبية ونظام الأحزاب، ويطالبون بحلها، ويدعون إلى نظام الحزب الواحد، فهم يعتقدون أن

الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها فى حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر.

ويعتقدون كذلك أن النظام النيابى - بل حتى البرلمانى - فى غنى عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة فى مصر . . . كما طلبوا من الملك فاروق حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعا فى هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام[1].

ومن المعروض السابق نرى الإمام البنا:

١ - لا يؤمن بالتعددية الحزبية، ويدعو صراحة لحل الأحزاب المصرية، وكان أهمها - على الساحة المصرية - حزب الوفد وحزب السعديين وحزب الأحرار الدستوريين.

٢ - أنه يؤمن بنظام الحزب الواحد، أو التجمع الشعبى الواحد القائم على قواعد الإسلام والعامل لصالح الأمة.

* * *

وفى مقام تقييم هذا الرأى نقرر ابتداء أن النظرة الآنية إليه فى ضوء الواقع الذى تعيشه مصر ودول الشرق العربى تنكره، بل ترفضه تماما. ولكننا نرى أنه من الظلم الفادح أن نحكِّم قواعد تقييم جديدة فى مقولات أو معروضات قديمة، وخصوصا إذا أغفلنا الظروف التى كانت محيطة بالرأى القديم وملابسة له.

(١) رسالة المؤتمر الخامس الذى عقد فى ذى الحجة ١٣٥٧ - ١٩٣٨م.

والأحزاب التى كانت قـائمة آنذاك كانت واقعة تحت سيطرة المسـتعمر الإنجليزى والقوى الاستعمارية، ومن المواقف التى تدل على ذلك:

١ - إجبـار الإنجليز الملـك فاروق على إقالـة وزارة حسين سـرى وإسناد الوزارة إلى حزب الـوفد برياسة مـصطفى النحاس بـاشا، وتم ذلك بحـصار الدبابـات الإنجليزية لقـصـر عابدين فى ٤ مـن فيـراير سنة ١٩٤٢.

٢ - استـجابة النحاس لضغط الإنجليـز وتهديداتهم حتى ينسـحب الإمام البنا من ترشيح نفسه نائبا عن دائرة الإسماعيلية سنة ١٩٤٢.

٣ - ضغط الإنجليز على رئيس الوزراء وزعيم الحزب السعدى أحمد ماهر باشـا سنة ١٩٤٤ لكى يـسحـب الإمام الـبنا ترشـيحـه فى الدائرة المذكورة. وألح أحمـد ماهر على الإمام المرشد فى شـدة أن ينسحب من التـرشـيح، ولكنه رفض، فـحـورب فى هذه الدائرة وزورت الانتخابات بشكل مفضوح، ومن ثم لم يكتب له النجاح فى دائرته.

٤ - فى سنة ١٩٤١ ضغط الإنجليز على رئيس الوزراء حـسين سرى باشا لإيقاف نشاط الإخوان، لأن حـسن البنا - على حد قولهم - «يعمل فى أوساط جماعته لحساب إيطاليا».

ولم يجد حسين سرى مخرجا من هذا الضغط إلا نقل المرشد - الذى كان يعمل مدرسا بالقاهرة - إلى «قنا» بأقصى صعيد مصر، وتم ذلك فى ١٩٤١/٢/٢٢.

٥ - تم حل جماعة الإخوان - كما ذكرنا آنفا - فى ٨ من ديسمبر ١٩٤٨

بأمر من السفير البريطانى بعد اجتماع «فايد» بين سفراء بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. وقد ثبت ذلك بوثائق رسمية نشرت فيما بعد.

* * *

وكل هذه الوقائع تدل على عمالة الأحزاب المصرية وتضامنها مع المستعمر ضد المصالح الوطنية والشرفاء من أبناء هذا الوطن. ومن ثم يكون للإمام البنا العذر فى الإلحاح على ضرورة حل هذه الأحزاب والتوحد فى حزب أو تجمع واحد أو «هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام»[1].

ولما قامت الثورة سنة ١٩٥٢- بعد اغتيال الإمام البنا بثلاث سنوات، وجربت الأمة المصرية دكتاتورية الحزب الواحد بزعامة القائد «الفرد» جمال عبد الناصر الذى نجح نجاحا باهراً فى إلغاء الشخصية المصرية، وملأ السجون المصرية بآلاف من الإخوان وأصحاب الرأى فى غيبة العدل والقانون، وحقق من الهزائم ١٩٥٦، ١٩٦٧ ما لم تعرفه مصر من قبل.... لما رأى الإخوان كل هذه المآسى التى صنعها «الحزب الواحد» و«القائد الواحد» أصبحوا يؤمنون بالتعددية الحزبية حرصا على تحقيق العدل والأمن والتقدم.

(١) مجموعة الرسائل ٢٠١. وانظر كذلك: رسالة الإمام البنا إلى الطلاب (سنة ١٣٥٧ - ١٩٣٧) فى مجموعة الرسائل ٣١٨ - ٣٢١. وعلينا أن نلاحظ أن ما دعا إليه الإمام البنا هو تكوين «هيئة شعبية واحدة ملتزمة بالقيم الخلقية والوطنية» لا حزب واحد تسلطى ولا ترد له كلمة ولا مشيئة.

فهذا الشاهد يدل على سعة الأفق ومرونة تفكير الإخوان فى التعامل مع الأوضاع السياسية والاجتماعية فى نطاق الوسائل والمواقف والتوجهات «القابلة» للتغيير دون خدش للثوابت التى تمثل نخاع دعوة الإخوان، وهى - فى حقيقتها وواقعها - ترتكز على القيم والقواعد الإسلامية فى مفهومها الشامل الرحيب.

**الإخوان متعصبون دينيا!!**

ويتهم الإخوان ظلما وبهتانا بالتعصب الدينى ضد النصارى بصفة خاصة، مع أنهم عاشوا فى سيرتهم الطويلة يتحلون بالتسامح مع الأقليات غير المسلمة وخصوصاً أقباط مصر انطلاقا من إيمانهم الصحيح بالإسلام «فإن الإسلام الذى وضعه الحكيم الخبير الذى يعلم ماضى الأمم وحاضرها ومستقبلها.. لم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذى لايحتمل لبسا ولاغموضاً فى حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: ٨]

وإن الإسلام الذى قدس الوحدة الإنسانية العامة فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾

[الحجرات: ١٣]

ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، فقضى على التعصب، وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعا فى قوله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ**

وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٦ - ١٣٨].

ثم بعد ذلك قدس الوحدة الدينية الخاصة فى غير صلف ولاعدوان، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، هذا الإسلام الذى بنى على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لايمكن أن يكون أتباعه سبباً فى تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدنى فقط.[1]

كان هذا هو التوجه الإسلامى فى التعامل مع ذوى الأديان الأخرى، وكان الإمام البنا يعرض هذا التوجه كثيرا فى رسائله وخطبه ومقالاته، ويجابه به كل من يتهم الإسلام بالتعصب.

وكان السلوك العملى للإمام البنا والإخوان المسلمين ينم على التسامح والمودة وحسن التعامل مع المواطنين من الأقباط الذين عاشوا يبادلون المرشد والإخوان نفس الشعور على الرغم من محاولة المغرضين وذوى النوايا السيئة تعكير الصفو، وإفساد هذه العلاقة الطيبة.

وأكتفى فيما يأتى ببعض الوقائع شاهدا على طبيعة هذه العلاقة:

١- أراد بعضهم أن يحدث فتنة بين الإخوان والمسيحيين فى مطلع الدعوة

(١) من رسالة (نحو النور)- مجموعة الرسائل ٨٣-٨٤.

والإمام البنا مدرس بالإسماعيلية، فكتب أحدهم عريضة بتوقيع «مسيحى» يذكر فيها أن «المدرس المتعصب» حسن البنا يرأس جماعة متعصبة اسمها «الإخوان المسلمون» وأنه يهين ويضطهد التلاميذ المسيحيين، ويفضل التلاميذ المسلمين عليهم. ويرى كاتب العريضة ضرورة نقل هذا المدرس من الإسماعيلية حتى لاتكون فتنة، وحولت هذه العريضة على ناظر المدرسة فاستاء المسيحيون منها جدا، وجاء وفد عظيم منهم إلى المدرسة معلنا استنكاره، وعلى رأس هذا الوفد راعى الكنيسة الأرثوذكسية.

وكتب كثير من أعيان الأقباط وكذلك الكنيسة بختمها وتوقيع راعيها عرائض وخطابات استنكار أرفقها الناظر بتقريره الذى ختمه بقوله: أرجو وزارة المعارف ألا ترهقنا بمثل هذه المجهولات، وأن تحقق فيها بمعرفتها بعد أن ثبت أنها جميعا أمور كيدية لايراد من ورائها خير.[1]

٢- وحينما نقل حسن البنا سنة ١٩٤١ من القاهرة إلى «قنا» نتيجة ضغط الإنجليز على حسين سرى باشا رئيس الوزراء تسابق كثير من المنافقين ودعاة الفتنة إلى نشر إشاعة بين الأقباط فى قنا تصور حسن البنا والإخوان مبغضين للأقباط عاملين على الإضرار بهم. فكيف قضى الإمام البنا على هذه الفرية؟

إن الجواب نجده فى السطور الآتية من رسالة بعث بها حسن البنا من قنا إلى أبيه فى القاهرة:

(١) المذكرات ١١٨.

«... الجمعية- جمعية الإخوان بقنا- تسير بخطى موفقة، وكانت عندنا بالأمس حفلة كبيرة دعونا إليها كل الطائفة القبطية وعلى رأسها المطران، وأقبلوا جميعا لم يتخلف منهم أحد، وكانت صفعة قوية لمنافقى المسلمين الذين يتزلفون إلى هؤلاء بالفتنة، ولقد كنت صريحا جداً فى لباقة فى بسط فكرة الإخوان بصورة حازت إعجاب الجميع، والحمد لله، وكل شىء على مايرام»(١).

٣- وقد أراد الأستاذ البنا أن يضرب المثل فى سماحة الإسلام، وأن الإخوان لايفهمون دينهم على أنه تعصب، فحينما رشح نفسه فى الانتخابات النيابية سنة ١٩٤٤ فى عهد وزارة أحمد ماهر باشا عن دائرة الإسماعيلية كان وكيله فى لجنة الطور يونانى مسيحى متمصر يدعى «الخواجة باولوخريستو»، وكانت تلك اللفتة الذكية محل تعليق وسخرية من أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى قطبى الحزب السعدى الحاكم(٢).

٤- وكان المسيحيون- على مستوى مصر كلها- يشعرون بروح الود والسماحة المتبادلة بينهم وبين الإخوان، فكانوا يتبادلون الزيارات وخصوصا فى المناسبات الدينية، وكان الإخوان ينشرون فى صحفهم أخبار هذه الزيارات، ومثال ذلك الخبر التالى المنشور فى صحيفتهم:

زار نيافة مطران الشرقية والمحافظات دار الإخوان المسلمين بالزقازيق يوم

---

(١) من «خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه» ١٣٦. جمع جمال البنا (دار الفكر الإسلامى- القاهرة. د.ت).

(٢) انظر: أحمد عادل كمال: النقط فوق الحروف ٩١

العيد ومعه أعيان المسيحيين بالشرقية يهنئون الإخوان بعيد الأضحى المبارك وأذاع نيافته نشرة مطولة بعنوان (هدية العيد) تدور حول معنى (الاتحاد رمز الانتصار)، وقال فى آخرها: أشكر جمعية الإخوان، لأنهم إخوان فى الشعور، إخوان فى التضامن، إخوان فى العمل[1].

٥- ولكن هذا التسامح لم يَشُبْه شىء من التهاون والتفريط فى قيمة من القيم الدينية أو الوطنية، فحينما رأى الإخوان أحد كبار رجال الدين المسيحى وهو «القمص سرجيوس» يتصرف بما يسىء إلى الدين والوطنية هاجموه بشدة فى صحيفة الإخوان، ومما جاء فى الصحيفة:

علمنا أن القمص سرجيوس يجتمع بمواطنينا الأقباط فى «التل الكبير» وأن هذا الاجتماع يتم فى كنيسة داخل أحد المعسكرات البريطانية، فماذا وراء هذه الاجتماعات؟

وهل هناك تدبير مبيت للاعتداء على كنيسة أخرى مثل كنيسة الزقازيق؟ إن إصبع المستعمر فى إثارة الفتنة بادية وملموسة، وإن كان للإنجليز أن يطبقوا سياستهم التى استعمروا بها العالم- وهى التفريق بين أبناء الوطن- فكيف يسمح رجل من رجال الدين لنفسه أن يكون مطية لأعداء الوطن والدين؟[2]

ويظهر أن «سرجيوس» بتصرفاته هذه، وبمقالات نشرها ينال فيها من

---

(١) صحيفة «الإخوان المسلمون» العدد ١٥٨ السنة الأولى ١٦ من ذى الحجة ١٣٦٥ (١٠ من نوفمبر ١٩٤٦). عن كتاب السيسى (فى قافلة الإخوان المسلمون) ١/١٢٨

(٢) صحيفة الإخوان العدد ٣١٥ السنة الثانية: ٢٢ من جمادى الثانية ١٣٦٦ (١٣ من مايو ١٩٤٧) عن السيسى: السابق ١/١٢٨

المرشد العام ودعوة الإخوان قد أساء إلى شعور عقلاء المسيحيين، فكتب أحدهم (واسمه أمين برسوم):

إخوانى فى الوطن: مما يأسف له جميع الأقباط ما اطلعنا عليه من مقالات القمص سرجيوس المخزية التى لايصح أن تصدر من رجال الدين الأطهار الذين هم فخرنا، وهى تحوم حول المرشد العام للإخوان المسلمين.

إننا نستنكر تلك المقالات لأننا نشعر بالأخوة التى بيننا وبين إخواننا المسلمين لأن الوطن للجميع والدين للديان، وإن القمص سرجيوس معروف بأنه صاحب اللسان اللاذع.[1].

٦-وتنم على التسامح الدينى- كما سنرى- الرسائل التى أرسلها الإمام الشهيد إلى القيادات الدينية القبطية مثل: الأنبا يونس- بطريرك الأقباط الأرثوذكس فى مصر. والأنبايوساب الثانى بابا وبطريرك الكرازة المرقسية، وكذلك رسالته إلى حاخام الطائفة الإسرائيلية فى مصر.

٧- لقد كان المرشد -رحمه الله- مطبوعا على الطيبة والتسامح وسعة الأفق والبعد عن التعصب والتزمت. ومما جاء فى مذكراته هذه الصورة العفوية الدالة، وهى غنية عن كل تعليق.[2].

---

(١) عن السيسى : السابق ١ /١٤٣

(٢) مذكرات الدعوة والداعية ٩٢ (وحسن البنا تخرج فى دار العلوم فى يونيو ١٩٢٧ وسافر إلى الاسماعيلية فى ١٩٢٧/٩/١٦ ليتسلم العمل بها مدرسا. وأنشأ أول شعبة للإخوان بالمدينة فى مارس ١٩٢٨.)

.. ومن الطرائف أننا بعد أربعين يوما من نزولنا إلى الإسماعيلية لم نسترح فى الإقامة فى البنسيونات، فعولنا على استئجار منزل خاص، فكانت المصادفة أن نجد دورا أعلى فى منزل، استؤجر دوره الأوسط مجتمعا لمجموعة من المواطنين المسيحيين اتخذوا منه ناديا وكنيسة، ودوره الأسفل مجتمعا لمجموعة من اليهود اتخذوا منه ناديا وكنيسة وكنا نحن بالدور الأعلى نقيم الصلاة، ونتخذ من هذا المسكن مصلى، فكأنما هذا المنزل يمثل **الأديان الثلاثة**. ولست أنسى «أم شالوم» -سادنة الكنيسة، وهى تدعونا كل ليلة سبت لنضىء لها النور، ونساعدها فى «توليع وابور الجاز». وكنا نداعبها بقولنا: إلى متى تستخدمون هذه الحيل التى لاتنطلى على الله؟!! وإذا كان الله قد حرم عليكم النور والنار يوم السبت- كما تدعون- فهل حرم عليكم الانتفاع أو الرؤية؟ فتعتذر وتنتهى المناقشة بسلام.

**حسن البنا.. دكتاتور..!!**

ومن هذه الافتراءات القول بأن حسن البنا اعتمد على الفردية والدكتاتورية فى قيادة الجماعة وتسيير أمورها، فيدعى أحد الباحثين أن المرشد العام حسن البنا استأثر بإصدار القرارات رغم وجود عدة مستويات تنظيمية للجماعة كانت لها اختصاصات محددة- ولو من الناحية النظرية- فى إدارة الجماعة وتوجيه سياستها لأن المرشد العام كان الموجه لهذه المستويات، والمحدد لاختصاصاتها، علاوة على تحكمه فى اختيار أعضائها، حيث كان يتولى اختيار أعضاء الجمعية التأسيسية بشكل نخبوى لا ديمقراطى.

فقد كان للمرشد العام اليد الطولى فى اختيار أعضاء الجمعية التأسيسية التى كانت تنتخب أعضاءمكتب الإرشاد من بين أعضائها والذين جاءوا ممن يعرفهم المرشد العام معرفة شخصية، ويستطيع إقناعهم دونما عناء بإصدار قرارات الجماعة بالإجماع.

وصياغة حسن البنا لمثل هذا البناء التنظيمى كان انعكاسا لاتجاه البنا منذ تأسيس الجماعة بالإسماعيلية إلى ربط الجماعة بشخصه، والإمساك بكل خيوطها، ويؤكد هذا خروج بعض أعضائها عليها وهى لاتزال فى الإسماعيلية بدعوى افتقادها لحرية الرأى، وعدم التزامها بنظام الشورى، بعد أن أصبح مجلس إدارتها وجمعيتها العمومية لاتخالف للمرشد العام أمرا، وتطيعه طاعة عمياء.

وبعد أن نقلت الجماعة نشاطها إلى القاهرة وازداد عدد أعضائها بازدياد شُعبها فى أنحاء البلاد اتجه المرشد العام إلى تركيز السلطة بيده حتى يتمكن من تحقيق الترابط للجماعة وضمان انضباط أعضائها وقد جاء هذا التركيز على حساب مبدأ الشورى أحد المبادىء الأساسية للجماعة- الذى عطل العمل به بعد أن رأى أنه لاشورى فى الدعوة التى يجب أن ينهض بها فرد واحد له أن يأمر، وعلى الجميع الطاعة، وأن الشورى فيها ليست ملزمة، للمرشد أن يأخذ برأى مكتب الإرشاد، كما يجوز له مخالفته.

كذلك اعتبر المرشد العام أن مجرد مناقشة أعضاء الجماعة- وبخاصة فى المستوى القيادى- لأمورها تحت شعار الديمقراطية والحرية الشخصية يعد مظهرا جديدا وغريبا عليها، وبدعة يترتب عليها تفكيك الجماعة. . . ولذا فإن دور الأعضاء يجب أن ينحسر فى الثقة بالقائد والإخلاص

والسمع والطاعة فى العسر واليسر، والمنشط والمكره.

وانطلاقا من هذا عمل البنا على الحيلولة بين أعضاءالجماعة الذين يمكن أن ينافسوه على قيادتها، وبين منطقة اختصاصه، وكان على رأس هؤلاء نائبه صالح عشماوى الذى تجاوزه عندما كان يقوم باختيار أحد أعضاء الجماعة المقربين إليه للقيام بمهامه عند مغادرته القاهرة إلى الأقاليم لفترة حتى فى حالة وجود نائبه بالقاهرة. هذا علاوة على تصفية كل تجمع معارض له بالجماعة، وكذلك إقصاء كل عضو ينمو نفوذه، أو تستطيل هامته حتى تشارف هامة المرشد، أو ينذر بأن يكون قطبا ثانيا جاذبا لأى اتجاه معارض[1].

* * *

وقبل تفنيد هذه المزاعم، ودفع الخلط الذى وقع فيه هذا الباحث أرى من اللازم أن أذكِّر القارىء بملمح من أهم ملامح الإمام الشهيد حسن البنا- رحمه الله- وهو «قوة الأسر وشدة التأثير» فى مريديه وإخوانه، وإجماعهم على حبه والاستجابة له، وهو ملمح نفسى لم ينبع من فراغ، فقد كان الرجل ذكيا واعيا، قوى الشخصية، عالما وخطيبا متدفقا يخاطب كل جمع بلغته، وينادى مريديه بأسمائهم، ويذكرهم بأحداث ووقائع وخصوصيات مضى عليها من الزمن سنوات مديدة، مما يشعر الإخوان بأنه يعيشهم واحدا واحدا، فبادلوه بذلك حبا غامراً عميقاً مبنيا على الثقة

(١) د. أحمد الشربينى ١٢٢-١٢٣ من كتاب (الأحزاب المصرية من سنة ١٩٢٢- سنة ١٩٥٣)- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام- القاهرة ١٩٩٥.

الصادقة. وفى ذلك يقول الإمام الشهيد فى «رسالة التعاليم»:

«والقائد جزء من الدعوة، ولا دعوة بغير قيادة، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها، ونجاحها فى الوصول إلى غايتها وتغلبها على مايعترضها من عقبات وصعاب ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠-٢١](١).

فهى إذن طاعة مبصرة لاطاعة عمياء، طاعة اقتناع لاطاعة إجبار وإذعان. والقيادة الإخوانية حينما كانت توجه وتخطط -كانت تتدرع -كما يقول الإمام البنا- بما لها من «حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة»(٢).

والمرشد البنا - رحمه الله - كان مثلا للقيادة فى صورتها النموذجية وهى القيادة التى تجمع «بين الشخصية القوية، والخبرة الواسعة بالتاريخ والحياة والمجتمع، والمعرفة بنفسية الأمة، والخبرة بإمكاناتها وطاقاتها، والاضطلاع بالقضايا الكبرى التى تغير مسيرة الأمة، وتخطو بها خطوات واسعة نحو التقدم والمجد والرفاهية.»(٣)

وهذا النوع من القيادة القوية المؤثرة الآسرة يسميه بعضهم «القيادة

---

(١) مجموعة الرسائل ٢٩٩.

(٢) السابق: نفس الصفحة.

(٣) محمد على الفتيت: الزعيم: العبقرية والزعامة السياسية ٢٣٢ (ط(٢)- يناير ١٩٧٥- مؤسسة دار الشعب- القاهرة.

الكاريزمية»[1] فلاعجب إذن أن يجنح الإخوان -بمجالسهم ولجانهم فى اتخاذ قراراتهم- إلى رؤية الإمام الشهيد، وخصوصاً فى السنوات الأولى من عمر الدعوة. وهى استجابة ومسايرة طبيعية لرجل رصد عمره كله للجهاد، والعمل الدائب لإعلاء كلمة الله. وهذا التوافق، أو هذا الانسجام بين رؤية القائد ورؤية الجنود والمريدين هو ما فهمه الكاتب -الذى عرضنا له- فهما مغلوطا، وفسره بأنه «استئثار المرشد العام للإخوان بإصدار القرارات، وتركيز السلطة بيده»[2].

وبناء على هذه الرؤية المغلوطة يقول هذا الكاتب: «فإن دور الأعضاء يجب أن ينحسر (كذا) فى الثقة بالقائد والإخلاص والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره لأن القائد تسلم الراية من رسول الله، وليس لأحد أن يحاسبه أو يراقبه»!!

والكاتب هنا يلجأ إلى طريقة تتعارض مع أبسط قواعد المنهج العلمى وهى: اقتطاع النصوص من سياقها بصورة تخدم هدفه، مع عزل النص عن الجو العام الذى هيمن عليه: فمسألة «السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره..» ساقها الإمام الشهيد «سمة» من سمات

---

(١) تقرير الحالة الدينية فى مصر ١٦٦ (ط(٣) ١٩٩٥- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام- القاهرة.)

ومصطلح «الكاريزمية مأخوذ من الكلمة الانجليزية CHARISMA أو CHARISM ومن معانيها فى الانجليزية القدرة الخارقة، وسحر الشخصية والجاذبية.

THE AMERICAN HERITAGE DICTIONARY P. 260 (Second College Edition - Boston. U.S.A).

(٢) الشربينى: مرجع سبق ١٢٢

«العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد» وهى مرحلة من مراحل دعوة الإخوان سماها «مرحلة التكوين» وهى مرحلة تأتى وسطا بين «مرحلة التعريف» و«مرحلة التنفيذ»، ويذكر أن نظام الدعوة فى مرحلة التكوين هذه: صوفى بحت من الناحية الروحية، عسكرى بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائمًا «أمر وطاعة» من غير تردد ولا مراجعة، ولاشك ولاحرج. وتمثل الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتمثلها رسالة المنهج سابقا، وهذه الرسالة الآن»[1].

والرسالة التى يشير إليها الإمام البنا هى رسالة «التعاليم» وهذه الرسالة بخاصة- كما قال الإمام البنا فى تصديرها موجهة إلى «الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم، وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها، أو يموتوا فى سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط: أوجه هذه الكلمات، وهى ليست دروسا تحفظ، ولكنها تعليمات تنفذ.... أما غير هؤلاء، فلهم دروس ومواعظ وكتب ومقالات...».

فالحديث إذن موجه إلى فئة من الإخوان هم الذين أُعِدّوا ويُعَدّون إعدادا عسكريا للجهاد. ومن البدهيات أن «السمع والطاعة» أهم قواعد الحياة العسكرية على مستوى العالم كله.

بل إن الإمام الشهيد كان يغرس فى نفوس الإخوان روح الشورى والأخذ برأى الجماعة من مطلع بداية الدعوة فى الإسماعيلية فلم يقطع أمرا مهما دون استشارة وأخذ برأى الأغلبية. **ومن المواقف**

(1) من رسالة التعاليم: مجموعة الرسائل ٣٩٧.

التي تدل على ذلك:

١- حينما رأى الإمام البنا أن يرشح عالما جليلا هو «الشيخ على الجداوي» نائبا عنه، وهو من أفضل الإخوان خلقا ودينا.. حسن التلاوة لكتاب الله، جيد المشاركة فى البحث، دائم الدرس والقراءة، ومن أقرب الناس إلى قلوب الإخوان، وأحبهم إليهم»(١).

وكان من الممكن أن يصدر الإمام البنا قرارا بتعيينه بناء على هذه المسوغات، ولكنه دعا إلى اجتماع شامل، وعرض على المجتمعين رأيه فى ترشيح الشيخ على نائبا «فوافقوا عليه بالإجماع فى فرح شامل وسرور عجيب بهذا الاختيار»(٢).

٢- كان هناك أربعة فسدت طويتهم، فادعوا أن هذا «الاختيار» لم يكن قانونيا لعدم اكتمال الجمعية العمومية ومفاجأة المجتمعين بهذا الترشيح. وحتى لاتكون فتنة دعا الإمام البنا إلى الاجتماع من جديد «واجتمع الإخوان، وظهرت نتيجة الانتخاب، فإذا هى إجماع رائع- عدا أصوات هؤلاء الأربعة- على اختيار الشيخ على»(٣).

٣- وهناك موقف للمرشد البنا قد يراه بعضهم فيه منفردا مستبدا برأيه، خارجا على الإجماع، ولكن لننظر إلى هذا الموقف نظرة متأنية:

اتخذ الإخوان قرارا بترشيح المرشد العام عن دائرة الإسماعيلية فى الانتخابات التى أعلنت حكومة الوفد إجراءها سنة ١٩٤٢.

---

(١) المذكرات ١٥٠

(٢) السابق: نفس الصفحة.

(٣) السابق ١٥٤.

وبعـد بضعـة أيام تلقى المرشـد دعوة بمقـابلة رئيس الوزراء مـصطفى النحـاس، وتمت المقـابلة، وطلب منه النحـاس أن يتنازل عن التـرشـيح لمصلحة مصـر ومصلحة الجماعـة بسبب ضغوط الانجليز عليـه، وإلا فهو مضطر إلى حل الجماعة ونفـى زعمائها خارج مصر تحقيـقا لرغبة الإنجليز الذين كانوا يمرون بظروف عصيبـة جداً فى حربهم مع الألمان، والإنجليز- كما قال النحاس للمرشـد - يقدرون على كل شىء، وفى استطاعتهم أن يدمروا البلد فى ساعتين»[1].

وعرض المرشد الأمر على هيئة مكتب الإرشاد فلم توافق الأغلبية على التنازل، ولكنه رأى أن الخير فى التنازل لاخـوفا من النفى، ولكن حرصا على مصلحة الجماعة وحماية لها من الحل من ناحية، ومن ناحية أخرى: حرصا على مصلحة مصر التى كان الإنجليز يتحكمون فى مجريات أمورها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية:

- فهـم الذين أجبـروا الملك على إقالة وزارة على مـاهر لأنه أعلن حـياد مصر خلافا لرغبة الإنجليز فى أن تعلـن مصر انضمامها إلى الحلفاء فى حربهم ضد المحور، وتم لهم ما أرادوا.
- وهم الذين أرغـموا الملك على الإتيـان بوزارة مصطفى النحـاس فى ٤ فبراير ١٩٤٢ بعد أن حاصروا قصر عابدين بالدبابات.

وهنا وافق مجلس الإرشـاد على تنازل الإمام البنا. وأثبـتت الأيام بعد نظره:

---

(١) فريد عبد الخالق: مرجع سبق ٣٥.

أ- فنجاحه كان مشكوكا فيه لأن الحكومة والانجليز كانوا سيحاربونه بكل الوسائل.

ب- وتركت الحكومة الإخوان- مقابل هذا التنازل- ينطلقون من باب مفتوح لبث دعوتهم فى أنحاء القطر، فازداد عدد الشُعب بشكل ملحوظ.

جـ- وكذلك استجاب رئيس الحكومة -مقابل ذلك- لعدد من الطلبات التى تقدم بها الإخوان: مثل إحياء الأعياد الإسلامية، وجعل المولد النبوى عيدا رسميا للدولة، وإلغاء البغاء، وإصدار قانون بوجوب استعمال اللغة العربية فى تعامل جميع الشركات والمؤسسات، وفى مراسلاتها[1].

بعد هذا العرض نذكر القارىء بالحقائق الآتية:

١- رأى الإمام البنا- بناء على ما اقتنع به من مسوغات- أن يسحب ترشيحه لنيابة الإسماعيلية، ولكن غالبية أعضاء مجلس الإرشاد رأت نقيض ذلك، ثم أجاز المكتب رأى المرشد بعد أن شرح وجهة نظره، ومن ثم يسقط الزعم بأن المرشد استبد برأيه، وخرج على الإجماع.

٢- ومع أن هذا الانسحاب كان صدمة لمشاعر جماهير الإخوان فقد حقق من الفوائد الكثير والكثير، وتفادى أضرارا جسيمة كانت ستلحق بالأمة والإخوان على أيدى الانجليز.

٣- والقوة الاستعمارية - وقد كانت تمر بأحرج المواقف فى الحرب-

---

(١) فريد عبد الخالق: السابق ٣٦. وانظر كذلك عباس السيسى: فى قافلة الإخوان المسلمون ١/ ٩٣ -٩٥.

كانت ستستخدم كل ضغوطها وإمكاناتها، ومعها الحكومة المصرية- لإسقاط المرشد، كما حدث فى الدائرة نفسها فيما بعد.. سنة ١٩٤٤.

ولم يثبت فى مسيرة الدعوة أن الإمام البنا قد خرج على إجماع، أو انفرد برأى، بل كانت الآراء تتخذ وتنفذ بالأغلبية المطلقة (أى بما يزيد على عدد النصف ولو بصوت واحد)[1].

وفى ٢ من شوال سنة ١٣٦٤ (٨ من سبتمبر ١٩٤٥) وافقت الجمعية العمومية للإخوان على قانون النظام الأساسى للإخوان، وأصبح نافذاً من هذا التاريخ.

وأمام تطورات الدعوة واتساع ميادين نشاطها، وأمام التجارب التى مرت بها الجماعة رأى المرشد العام للإخوان أن يقترح على الهيئة التأسيسية المنعقدة فى المحرم ١٣٦٧ إدخال بعض التعديلات، فوافقت الهيئة على مبدأ التعديل، وأقرت تأليف لجنة من المرشد وثلاثة آخرين لإجراء هذا التعديل طبقا للتوجيهات والرغبات التى أبدتها الهيئة.

وقد اجتمعت اللجنة عدة اجتماعات، وانتهت بهذا المشروع الذى عرض على الهيئة التأسيسية بجلسة يوم الخميس ٢٧ من جمادى الآخرة ١٣٦٧- الموافق ٦ من مايو ١٩٤٨، حيث قرئ القراءة الأولى، وأجريت بعض الرغبات والتعديلات، وأرجأت الهيئة اعتماده حتى ينظر للمرة

(١) وقد انعقد مجلس الشورى العام- وهو مكون من نواب شعب الإخوان بالقطر المصرى- بمدينة الإسماعيلية فى ٢٢ صفر ١٣٥٢ (يونيو ١٩٣٣). وبناء على قراراته تألفت هيئة مكتب الإرشاد العام للإخوان من عشرة أعضاء. (انظر المذكرات ١٩٤,٢٠٣-٢٠٤، ٢٠٩-٢١٠).

الثانيـة فى جلسة الهيئـة التى حدد لها يوم الجمـعة ١٢ من رجب ١٣٦٧ (الموافق ٢١ من مـايو سنة ١٩٤٨). وفى هذا الاجـتمـاع أعـيدت قـراءة التعـديـل، وأقرته الهيـئة بالإجمـاع، وصار نافـذا منذ هذا التاريخ طبـقا للمادة ٦٤[١].

ومما سـبق نرى أن اقتـراح المرشد العـام بتعـديل بعض مواد القـانون الأسـاسى للجمـاعة لـم يأخذ طريقـه، ولم ينفـذ إلا من خلال الهـيئـة التأسيسية بعد دراسة بل دراسات وافية استغرقت عدة أشهر[٢].

وقانـون النظام الأساسى للجـماعـة لم يمنح المرشد العـام أية سلطات استثنائية[٣] وتنص المادة ١٦ علـى أن «المرشـد العـام إذا أخلّ بواجبـات منصبه، أو فقد الأهلية اللازمة لهذا المنصب فعليه أن يتخلى عنه، كما أن للهيـئة التـأسيسـية أن تقرر إعـفاءه فى اجتـماع يحـضره أربعة أخـماس الأعضاء، ويجب أن يكون هذا الإعفاء بموافقة ثلاثة أرباع الحاضرين.

* * *

ويتحدث الإمـام البنا عن الشورى حديث من يؤمن بإلزامـها للحاكم، فهو يرى أن «من حق الأمة أن تراقب الحاكم أدق مـراقبة، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير، وعليه أن يشـاورها ويحترم إرادتها، وأن يأخذ بالصالح من آرائها، وقـد أمر الله الحاكمين بذلك فـقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾،

(١) عبدالرءوف شلبى: مرجع سبق ٢٦٣- ٢٦٤.
(٢) تنص المادة ٦٣ من قانون النظام الأساسى بأنه لا يجوز تعديله إلا بناء على اقتراح يتقدم به المرشد العام، أو مكتب الإرشاد، أو عشرون من أعضاء الهيئة التأسيسية. ولا يكون التعـديل نافذا إلا إذا وافقت عليـه الهيئـة التأسيـسية فى اجـتماع يحـضره ثلاثة أرباع أعضائها بالأغلبية المطلقة للحاضرين.
(٣) انظر المواد ١٠- ١٨ من القانون المذكور.

وأثنى به على المؤمنين خيراً فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

ونصت على ذلك سنة رسول الله -ﷺ- والخلفاء الراشدين المهديين من بعده: إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأى من المسلمين، واستشاروهم، ونزلوا عند الصواب من آرائهم، بل إنهم ليندبونهم إلى ذلك، ويحثونهم عليه، فيقول أبو بكر -رضى الله عنه-: فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى، أو قومونى. ويقول عمر ابن الخطاب: «من رأى فى اعوجاجا فليقومه»[1].

* * *

وكان -رحمه الله- حريصا على أن يغرس الإيمان بهذا المبدأ العظيم -مبدأ الشوى- فى نفوس أبنائه ومريديه فى كل المناسبات حتى فى رسائله الخاصة، ففى رسالة جوابية منه إلى أحد الإخوان «.... أما ما ذكرت من نصيحتك الغالية- والدين النصيحة يا بنى، والعهد الذى بيننا إنما هو التفاهم فى دين الله- فلا عليك أن تتقدم بالنصيحة مشكورا، وتسوق الرأى الحق مأجورا، وقد أوجب الله على القائد أن ينزل عند الحق، وإن جاءه على يد أصغر جنده، بل إن رآه عند أجنبى عنه، والحكمة ضالة المؤمن، فإن وجدها فهو أحق الناس بها. وهذا سيد خلق الله وأكملهم عقلا وأسدهم رأيا رسول الله -ﷺ- يأخذ برأى الحباب فى شأن من أهم شئون الدعوة فى القتال والغزو، فمرحبا بنصحك، ووفقنا الله وإياك على الأخذ بسبل الخير...»[2].

(١) مجموعة الرسائل ٢٣٥.

(٢) عن كتاب ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية: جمع وتعليق: د.عبدالعظيم المطعنى: ١٢- ١٣ (دار الأنصار- القاهرة. د.ت).

## الغموض وضبابية الفكر!!

ويذهب بعضهم إلى أن الجماعة -فى دور التأسيس بخاصة- «قد أحاطت فكرها بقدر كبير من العموميات مما جعله يتسم بالغموض»[1].

ويستند أصحاب هذا الرأى إلى بعض مقولات المرشد مثل:

١ - دعوتنا إسلامية بكل ما تحتمل الكلمة من معان، فافهم منها ما شئت بعد ذلك، وأنت فى فهمك هذا مقيد بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة السلف الصالح من المسلمين..».

٢ - «أيها الإخوان: أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزبا سياسيا، ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد يسرى فى قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن.. وصوت داو يعلو مرددا دعوة الرسول -ﷺ- ومن الحق الذى لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس»[2].

٣ - «.. دعوة الإخوان فكرة جامعة تضم كل المعانى الإصلاحية: فهى دعوة سلفية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية..»[3].

٤ - «... سننتقل من حيز الدعوة الخاصة إلى الدعوة العامة أيضا، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال،

---

(١) تقرير الحالة الدينية ١٦٨.

(٢) السابق. نفس الصفحة.

(٣) السابق ١٧٠ (وقد أحال الكاتب على مجلة (الإخوان المسلمين) العدد ٣٠- الصادر فى ٢٩ من نوفمبر ١٩٣٤).

ولسنا بذلك نخالف خطتنا أو ننحرف عن طريقنا- بالتدخل فى السياسة- كما يقول الذين لا يعلمون- ولكننا ننتقل بذلك خطوة ثانية فى طريقتنا الإسلامية، وخطتنا المحمدية، ومنهاجنا القرآنى، ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءا من الدين، وأن يشمل الإسلام الحاكمين، كما يشمل المحكومين. .»[1].

ويرى هؤلاء أن الجماعة تعمد لوضع إطار فضفاض لفكرها العام يمكنها من التعامل مع السلطة ومع القوى السياسية الأخرى بقدر كبير من حرية الحركة، وبما لا يجعلها تخضع لقوانين ونظم محددة كسائر القوى السياسية، وفى الوقت نفسه يساعدها فى جذب الكثيرين من الأعضاء لها فى ظل شعارات عريضة غير محددة المعانى»[2].

* * *

ولعل أبرز الأخطاء التى وقع فيها أصحاب هذه الوجهة ربطهم الحاد بين ما سموه «بالعموميات» وبين «الغموض»، مع أنه لا تلازم ضروريا بين الأمرين، فهذه «العموميات» -فى مرحلة نشأة الدعوة بخاصة- كانت ومازالت تعنى التمثيل الكلى الطبعى «لثوابت» الدعوة، والأبعاد الرئيسية لشخصية الجماعة، وبعد ذلك -وهو وضع طبعى أيضا- جاء التفصيل على مدى عشرين عاما، هى عمر الدعوة فى حياة الإمام الشهيد.

* * *

(١) السابق نفس الصفحة (وقد أحال الكاتب على العدد الأول من مجلة «النذير»- ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧).

(٢) تقرير الحالة الدينية ١٧٠.

وأين الغموض فيما ذكره الإمام البنا من أن الإخوان يعتنقون ويعرضون الإسلام «بمفهومه الشمولى»؟. ثم نرى الإمام البنا يعرف «هوية» الجماعة تعريفا مانعا جامعا -كما يقول المناطقة- وذلك من ناحيتين: سلبية وإيجابية: فنفى عنها محدودية الطابع، وانحصارية المجال، فهى ليست جمعية خيرية، ولا حزبا سياسيا، ولا هيئة موضعية محدودة المقاصد... إلخ. ولو كانت كذلك لما كانت الساحة العربية أو المصرية فى حاجة إليها، لوجود الأحزاب والجماعات المحصورة فى نطاق هذه المحدودات.

وإيجابا أثبت الإمام المرشد لها «المواصفات» التى لم تجتمع لحزب أو جمعية قائمة آنذاك. وهذه المواصفات تمثل الطوابع والأبعاد الحية للإسلام، وهى طوابع سلفية، وروحية، ورياضية (عسكرية)، وثقافية، وعلمية، وسياسية. وكلها تعكس حقيقة الإسلام بمفهومه الشمولى.

ودأب الإمام الشهيد على تفصيل هذه «العموميات» وشرحها فى خطبه وأحاديثه ورسائله. وانطلق علماء الإخوان ومفكروهم من تلاميذ حسن البنا ومريديه فكتبوا عشرات -بل مئات- من الكتب والدراسات ارتكازا على هذه الأصول و«العموميات».

إن مقولات حسن البنا لا يستعصى فهمها على نصف المتعلم، بل على الرجل الأمى، ولو كانت هذه «العموميات» غامضة مستعصية على الأفهام ما استطاع الإمام البنا أن يجمع حوله مئات الألوف من الشباب والكهول والشيوخ منهم نسبة عالية حدا من الفلاحين والعمال كانوا يفهمون هذه الكلمات، ويتدارسونها فى «الأسر»، وينشرونها بين الناس على نطاق واسع.

* * *

وهذه «الشمولية القاعدية» لم يكن الهدف منها -كما قيل- «الانفلات» من الأنظمة والقوانين، فتاريخ الجماعة مع نظم الحكم معروفة، ولم تتعرض جماعة للاضطهاد والظلم والقتل والسجن والتشريد -فى مصر والشرق العربى- كما تعرضت جماعة الإخوان وذلك باسم «قوانين ونظم» وضعت على مدى أربعة عهود -ابتداء من عهد الملك فاروق حتى الآن.

وقد ثبت -ابتداء من عشرينيات هذا القرن- أن القوانين فى مجال العمل السياسى والحزبى لا يرتبط تطبيقها بعموميات وخصوصيات فى منظومة مبادىء الأحزاب والجماعات، ولكن تطبيقها وإعمالها يرتبط -فى كل الحالات- بمشيئة الحاكم، وبعضها- كما رأينا فى العقد الأخير - يشرع وينفذ «بالمنهج الترزى»، أى «يقص» و«يفصل»، و«يحاك» على قدّ معين لا يتعداه، وذلك تبعا لمشيئة سيادية عليا تملك من الإمكانات والآليات ما يمكنها من إخراس أى لسان.. بل قطعه.

* * *

ويرتبط بفرية «الغموض» اتهام الإخوان بأنهم «يخوضون الحياة السياسية دون أن يكون لهم برنامج محدد». وأقول: إننا فى مصر والشرق العربى لا ينقصنا اللوائح والبرامج والقوانين بقدر ما ينقصنا النوايا الطيبة والعزم الصادق والتنفيذ الأمين.

ولعل مثل هذا الحال هو ما دفع المفكر «الكسيس كاريل» إلى قوله: «إن البرنامج قد يخفى التجربة الحية خلف درع صلبة، إنه سيمنع انبثاق

غير المتنبأ به، ويحبس المستقبل داخل حدود عقلنا»[1].

وما أكثر البرامج التى طرحتها الأحزاب المصرية ابتداء من حزب الوفد ومرورا بأحزاب الثورة: الاتحاد القومى وهيئة التحرير والاتحاد الاشتراكى وحزب مصر والحزب الوطنى، وكانت الحصيلة التى تعود على الوطن ضئيلة... ضئيلة جداً، ولا أريد أن أعرض فى هذه الصفحات لمظاهر التخلف والانكسارات التى جرتنا إليها هذه الأحزاب والحكومات التى تمثلها على الرغم من «مثالية» برامجها، وذلك لافتقارها لما ذكرته من النوايا الطيبة وصدق العزم، وأمانة التنفيذ[2].

* * *

(١) الكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول ٣٥٩ (تعريب شفيق أسعد فريد- مكتبة المعارف- بيروت. ط (٣) ١٩٨٠.

(٢) ومن أغرب متعلقات «البرنامج» ما أعلنه الرئيس السابق محمد أنور السادات فجأة من قيام حزب جديد هو «الحزب الوطنى الديمقراطى» يرأسه السادات، مع أن «حزب مصر» وهو الحزب الحاكم آنذاك كان قائما. وبعد دقائق من هذا الإعلان الساداتى انتقل أغلب أعضاء مجلس الشعب من حزب مصر إلى الحزب الجديد: الحزب الوطنى الديمقراطى. (وهذا ما كان السادات حريصا عليه).

وفى صحيفة «الأخبار» الصادرة فى ١٩٧٨/٨/١٥ كتب مصطفى أمين تحت «فكرة» «كنت أتمنى لو أن أعضاء مجلس الشعب لم يهرولوا إلى الانضمام إلى حزب الرئيس السادات، بل انتظروا حتى يعلن السادات «برنامج الحزب»، ويبحثوه، ويدرسوه، ثم يقتنعوا به، وبعد ذلك يقررون الانضمام....».

وعوقب مصطفى أمين على هذه «الفكرة»، فأصدر وزير الإعلام: عبدالمنعم الصاوى قرارا بمنع مصطفى أمين من «الكتابة السياسية»، واختفت «فكرة» من صحيفة الأخبار ابتداء من ١٩٧٨/٨/١٨.

وفى صحيفة الأخبار بتاريخ ١٩٧٨/٨/١٧ ينشر المخرج السينمائى حسام الدين =

ومع ذلك أقول: إذا كان المقصود بالبرنامج تحديد هوية الحزب أو التجمع السياسى وخطة عمله: وسائل وأهدافا، فإن لهذا كله وجوده المسجل فى لوائح الإخوان وقانونهم الأساسى وكتبهم، وهى تعد بالمئات، بل إنهم -جماعة وأفرادا- يأخذون أنفسهم عمليا وسلوكيا بما كتبوا ونظروا، وكان وجودهم الغالب فى النقابات المهنية كنقابة المحامين ونقابة المهندسين ونقابة الأطباء، وما حققوه من كسوب -لا سابقة لها- لأعضاء هذه النقابات.. تطبيقا عمليا لبعض برنامج الجماعة فى نطاق هذه القطاعات.

* * *

وأصحاب الفقه السياسى عرفوا «البرنامج الحزبى» «Party Platform» بأنه بيان علنى يصدره حزب من الأحزاب حول خطة الحزب وسياسته وأهدافه والوسائل التى يتوخى استخدامها لتحقيقها فى حال تسلمه زمام

---

= مصطفى مقالا بعنوان «لا يا أستاذ مصطفى.. نضال السادات هو البرنامج» وفيه يقول«.. إن هرولة أعضاء مجلس الشعب للانضمام إلى الحزب الجديد هو أمر طبيعى، وتصرف تلقائى صادق، إنهم لم ينتظروا إعلان برنامج الحزب لأن السادات نفسه هو البرنامج.. وهو برنامج يختلف عن برامج الأحزاب فى العالم، فكلها برامج مكتوبة، أما حزب السادات فبرنامجه حى، بل هو متدفق الحيوية، وبرنامج نعيشه أقوى ألف مرة من برنامج نقرؤه..».

عن مقال لنا بعنوان «عندما يكون النفاق ظاهرة صحية» - مجلة «المجتمع» الكويتية العدد ١٢١٩- ١٨ من جمادى الأولى ١٤١٧- ١ من أكتوبر ١٩٩٦.

وما ذكرته آنفا -على سبيل الاستطراد- يعد ردا ميدانيا على «المفترين» ويبين عن حقيقة «البرنامج»، ومكانته فى واقعنا الحزبى وطبيعة النظر إليه، ومدى الالتزام به.

الحكم، أو إبان تسلمه الحكومة، أو من خلال وجوده فى المعارضة وخارج الحكم[1].

ولكنهم ذكروا كذلك أنه «بالنسبة للأحزاب العقائدية فإن البرنامج يشكل جزءا من نضال طويل ثابت الأهداف، متغير الشعارات[2]، والمقصود بتغير الشعارات تطوير الوسائل والآليات وما يقبل التطوير من المبادىء دون النيل من الثوابت والأساسيات، وسنرى فى الصفحات القادمات من هذا البحث مصداقية ذلك بالنسبة لرسائل الإمام الشهيد ومؤتمرات الإخوان وطروحاتهم الفكرية، وذلك يؤكد أن اتهام هذا المعروض بالغموض مسألة تتعلق «بالمتلقى» لا بالعارض الداعية، ولا بالمعروض الفكرى والعقدى فى ذاته. وتعليل هذه «الظاهرة» يتلخص فيما يأتى:

١ - سوء النية، والحرص على تشويه منظومة الفكر الإخوانى لأسباب ودوافع مصلحية خاصة أو حزبية أو سلطوية أو غيرها.

٢ - سطحية القراءة وضعف الاستيعاب، والاكتفاء بقراءة جزئيات مبتورة من سياقاتها، وبناءأحكام عليها تحمل فى طياتها نوعا من إيهام الآخرين بدقتها وحسمها، وعدم قابليتها للمراجعة.

---

(١) موسوعة السياسة: عبدالوهاب الكيالى وآخرون ١/٥٢٦.

(٢) السابق: نفس الصفحة.

وانظر كذلك ٢١٤- ٢١٦ من: المعجم الدستورى: أو ليفيه دوهاميل- أيف مينى.
ترجمة منصور القاضى ط(١) ١٤١٦- ١٩٩٦.
(المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت).

ومن فضول القول أن أقرر هنا أن الحكم لا يأخذ صورة الحسم العلمى الدقيق إلا بعـد قراءة شـاملة متعـمقة لمطروحـات المرشد العـام ومفكرى الجماعة فى المجالات السياسية والاجتماعية والعقدية. ومعالجة كل أولئك بفكر مفتوح ومنهج علمى، بعيدا عن التحيز والتعصب والأثرة.

٣ - التشكيـك فى قدرة الإسلامـيين على الحكم، فـالمعروف أن جمـاعة الإخوان هى كـبرى الحركـات الإسلامية فى القـرن العشرين - كـما وصفها بحق الدكتور إسحاق مـوسى الحسينى فى كتابه الموسوم بهذا العنوان - والمعروف أن الإخـوان المسلمين يدعـون إلى إقامة خـلافة إسلامية وحكم إسلامى على أساس من القرآن والسنة مع الإفادة من التـجـارب والمعطيـات والآليـات والأسـاليب المعـاصـرة. وتشـويه الطروحات الإخـوانية وإنكار قدرة الإخوان على تولى الحكـم وقيادة مسيرة الشعب ينسحب - من باب أولى - على الجماعات والحركات الإسلامـية الأخرى، لا فى مصـر فقط، ولكن على مستـوى العالم العربى والعالم الإسلامى.

## ولـم تتوقف مسيرة الأكاذيب

لقد بدأت دعوة الإخوان من سبعين عاما، ومضى على استشهاد الإمام البنا قرابة نصف قرن، ومع ذلك مازال المرشـد ودعوته هدفا لسهام الإفك والكذب والاتهامات الباطلة، والذين يتولون كِبْر هذه الحملات يستغلون ضعف ذاكـرة شعـبنا الطيب، وبُعد العـهد بين الشبـاب المعاصـر ودعوة الإخوان فى مطالعـها، فيـبسطون القول والاتهـامات كمـا يشاءون، وفى الصحف والمجالات القـومية متسع رحيـب لمثل هذه الاتهامات فى شكل

مذكرات أو ذكريات، أو فصول تاريخية بعيدة كل البعد عن الإنصاف.

ولعل الجديد فى هذا المجال نزول رجال السلطة من قادة المباحث وأمن الدولة ميدان التأليف، ومن هؤلاء اللواء فؤاد علام مسئول أمن الدولة الكبير الذى كان يتولى أمر الإخوان فى المعتقلات فقد كتب الرجل «مذكراته» فى مجلة «روزاليوسف»، ثم جمعها بعد ذلك فى كتاب ضخم مطبوع طباعة فاخرة[١].

والكتاب غاص بالأكاذيب والمفتريات والمخالفات الصارخة لكثير جدًا من الحقائق التاريخية، مع أن كثيرا منها ثابت فى وثائق رسمية وأحكام قضائية نهائية.

ويطول بنا المسار لو رحنا نفند تفصيليا ماجاء فى هذا الكتاب لهشاشته وضعفه الصارخ، ثم لأن هذا التفنيد ورد فى تضاعيف بحثنا هذا بأماكن متفرقة، ولكن هذا لا يمنعنا من نقض بعض الأكاذيب الصارخة، ونكتفى بنماذج قليلة تبين عن منهج الكتاب وطبيعة مضامينه:

فالبنا فى نظر فؤاد علام «كان يهوى الزعامة والسلطة، ويسعى إليهما مهما كان الثمن، وعشق العمل السرى، واتخذ منه أسلوبا لتحقيق أهدافه، وكان حلمه الذى لم يتحقق هو أن يصبح خليفة للمسلمين»[٢].

وأحمد السكرى - كما يقول حسن علام - «هو المؤسس الحقيقى

---

(١) وعنوان الكتاب «الإخوان وأنا» وشارك فى صياغته صحفى بمؤسسة روزاليوسف يدعى كرم جبر. والكتاب تقترب صفحاته من الستمائة صفحة [المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر - القاهرة ط١، ١٩٦٦].

(٢) علام: السابق ٣٢.

لجماعة الإخوان المسلمين فى المحمودية سنة ١٩٢٠، وحسن البنا ليس المؤسس الحقيقى لها، بل سرقها من السكرى، وبعد أن استولى عليها طرد السكرى من الجماعة، وتنكر له، بسبب خلافه مع ذئب النساء، وهاتك الأعراض عبد الحكيم عابدين»[١].

والكلام السابق يقطع بالجهل المطبق أو التجاهل الفادح لحقائق التاريخ، وهو يشهد أن التاريخ المذكور هو تاريخ إنشاء جمعية إصلاحية فى المحمودية، باسم «الجمعية الحصافية الخيرية» وانتخب أحمد السكرى رئيسا لها، وحسن البنا سكرتيرا، وكان أحمد السكرى أكبر من حسن البنا بقرابة خمس سنين، وكان السكرى تاجرا مستقرا بالمحمودية أما حسن البنا فكان آنذاك طالبا بمدرسة المعلمين. وكانت هذه الجمعية ذات طابع محلى إصلاحى محصور محدد، وقد ذكرنا ذلك من قبل.

أما أول جمعية «للإخوان المسلمين» فقد نشأت على يد حسن البنا بمدينة الإسماعيلية فى ذى القعدة ١٣٤٧ - مارس ١٣٢٨، وكان المؤسسون ستة من أهل المدينة، ولم يكن السكرى واحدا من هؤلاء المؤسسين الذين قصدوا حسن البنا وبايعوه[٢].

ومن عجب أن ينقض علام بعد ذلك ما قاله سابقا فيقول بالحرف

---

(١) علام السابق ٣٣. ولا أريد الخوض فى مسألة احمد السكرى فحكايته أو حكاياته مع الإخوان معروفة للجميع وقد فصل من الجماعة بعد إدانته بوقائع صارخة. ولمعرفة التفاصيل ارجع إلى كتاب السيسى «فى قافلة الإخوان المسلمون» ١/ ١٥٠ - ١٦٥، وكتاب محمود عبد الحليم (الإخوان المسلمون..) ١/ ٤٥٧-٤٦٤. وتعليق صالح أبو رقيق ص ٤٠ (هامش) من كتاب ميتشل «الإخوان المسلمون».

(٢) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ٩٥-٩٦.

الواحد: «وأسس حسن البنا معهم (العمال) أول فرع لشعبة الإخوان فى مدينة الإسماعيلية سنة ١٩٢٨»[١].

* * *

ولكن دعك من هذا واقرأ معى العبارات التالية من كتاب «علام»، وأقسم لك بأغلظ الأيمان أننى أنقلها حرفيا، فصدقنى وصدق عينيك (والكتاب موجود بلا أخطاء مطبعية).

**يقول علام:**

«الإخوان وحرب فلسطين من الأكاذيب الكبرى التى اخترعها حسن البنا والذين معه. نسجوا قصص بطولات تتحدث عن تضحياتهم وشهدائهم، والدماء التى أريقت على أرض فلسطين الحبيبة، وصوروا للبسطاء أنهم هم الذين خاضوا جميع المعارك على تلك الأرض المقدسة.

ولكن الحقيقة غير ذلك تماما، لم يقدموا شهيدا، ولم يطلقوا رصاصة، ولم يريقوا قطرة دماء واحدة، ولم يستطع واحد منهم أن يقدم أى دليل على صدق ما يقول...»[٢].

وما ادعاه علام ينقضه شهادات رجال وقادة عرفوا بصدقهم وأمانتهم وجهادهم وسمعتهم الطيبة على مستوى الشعب والدولة والوطن العربى مثل الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين وأحمد المواوى وفؤاد صادق قائدى الجيش المصرى فى فلسطين، والسيد طه (الضبع الأسود) قائد الفيلق

(١) فؤاد علام: مرجعه السابق ٥١.

(٢) علام السابق ٧٧.

المصرى الذى كان محاصرا فى «الفالوجا»، وكان لمعروف الحضرى - أحد ضباط الإخوان - الفضل الأكبر فى إمداد الفيلق المحاصر بالأغذية والمؤن. وهذه الشهادات - أو أغلبها - ثابتة فى سجلات ووثائق القضاء المصرى.

وما أدعاه «علام» ينقضه رجال من الإخوان أحياء كانوا جنودا فى فصائل الإخوان المجاهدين فى فلسطين.

وينقضه كذلك أبناء هؤلاء الشهداء، وهم ما زالوا أحياء.

بل ينقضه الصهاينة أنفسهم، ومنهم قادة كبار صرحوا إبان الحرب أنهم يتفادون مواجهة مقاتلى الإخوان لأنهم «يحاربون باستماتة وجنون طمعا فى عالم موهوم اسمه الجنة فيه خمر ونساء وأطايب الطعام..» على حد قولهم.

ولن أحيل «علام» على كتاب أحد قادة الإخوان المجاهدين وهو «الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين» لكامل الشريف ليقرأ بطولات الإخوان فى معارك «كفار ديروم» ودير البلح والعسلوج وبير سبع والتبة ٨٦، ويقرأ فى الكتاب القوائم التى تضم أسماء شهداء الإخوان.. لن أحيله على الكتاب المذكور، ولكن أحيله على ما كتبه الأمريكى ريتشارد . ب ميشيل فى أطروحته الأكاديمية الموثقة عن جهاد الإخوان وبطولاتهم فى فلسطين، وهو موضوع تناولته أطروحات جامعية فى الجامعات المصرية والعربية.

* * *

ويستكمل الكتاب منظومة الأكاذيب والأباطيل، فنقرأ فيه العبارات الآتية:

- لعب عمر التلمسانى المرشد العام السابق للإخوان المسلمين دور العميل المزدوج بين المباحث والإخوان، ولكنه ضحك على الاثنين معا[(١)].
- «دعاة ولسنا قضاة» (كذا)[(٢)] أخطر كتاب لحسن الهضيبى المرشد العام الأسبق للإخوان المسلمين لم يؤلفه الهضيبى، ولم يكتب حرفا واحدا فيه، وإنما صنعته مباحث أمن الدولة[(٣)].
- قررت الهيئة التأسيسية للإخوان (١٢٠ عضوا) فصل حسن الهضيبى لعجزه عن التفاهم مع الثورة. وبعد ذلك بأيام قليلة ارتكب أنصار الهضيبى حادث المنشية ردا على فصل الهضيبى من منصبه[(٤)].

والحقيقة أن حسن الهضيبى ظل مرشدا للإخوان إلى أن لقى ربه، فحمل أمانة المرشدية بعده عمر التلمسانى، والهيئة التأسيسية لم تفصل حسن الهضيبى على الرغم من محاولات عبد الناصر وحكومته شق الصف الإخوانى، وإشعال الفتن داخل الجماعة.

أما حادث إطلاق الرصاص على عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية فقد كشفت الأيام عن أنه كان مجرد تمثيلية قدمت لتحقيق هدفين:

---

(١) علام: السابق ٢٠٧.

(٢) الاسم الصحيح للكتاب «دعاة لا قضاة».

(٣) علام: السابق ٢١٩.

(٤) علام: السابق ٢٢٦.

**الأول**: ضرب الإخوان بوصفهم «جماعة إرهابية تسعى للتخريب والتدمير والاغتيال».

**والثانى**: جذب عواطف الشعب «الطيب» نحو عبد الناصر، وتلميع شخصيته، وإسقاط «محمد نجيب» القائد الحقيقى للثورة، وقد اتهمه عبد الناصر ورفاقه بعد ذلك بأنه ضليع فى مؤامرة المنشية[1].

* * *

وبعد هذه المسيرة التاريخية ننتقل إلى القسم الثانى من هذه الدراسة، وهو القسم الذى نقف فيه مع رسائل الإمام الشهيد - رحمه الله - بادئين برسائله فى التنظير لفكر جماعة الإخوان التى كان ميلادها على يديه فى مدينة الإسماعيلية سنة ١٩٢٨.

---

(١) عن «مسرحية المنشية» ارجع إلى مقالنا فى مجلة «المجتمع» العدد ١٢٢٣ (١٧ من جمادى الآخرة ١٤١٧ - ٢٨ من نوفمبر ١٩٩٦).

القسم الثانى

# مع رسائل الإمام الشهيد

# الفصل الأول

## رسائله فى التنظير لفكر الجماعة

لا يستطيع باحث منصف فى شخصية حسن البنا (١٩٠٦- ١٩٤٩) وفكره وآثاره إلا أن يقرر باقتناع أنه -رحمه الله- يعد أهم شخصية إسلامية فى الربع الثانى من القرن العشرين، فقد كان -كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوى- من الشخصيات التاريخية غير العادية التى يخلقها الله -تعالى- لقيادة حركة أو القيام بدعوة، أو إحداث ثورة إسلامية فى عهد من عهود التاريخ، ويهبهم للقيادة والإرشاد صلاحيات متنوعة فائقة، وعقلاً كبيراً واسعاً، وقلباً ولوعاً فائقاً بالحب والحنان، ولساناً فصيحاً بليغاً، وأخلاقاً طيبة كريمة، وشخصية حبيبة أثيرة. لقد كانت هذه هى العناصر التكوينية فى شخصية حسن البنا، وتتمثل شخصيته لعينى كأن «محمد إقبال» يقصده بقوله:

(نظرة عالية سامية، وكلمة رقيقة حانية، وقلب ولوع متألم، هذا هو زاد الطريق لأمير الركب، وقائد القافلة)[١].

## داعية.. ودعوة...

ويبقى حسن البنا -رحمه الله- واضع نظريات العمل الإسلامى فى هذا القرن: فهو الذى طرح فكراً قابلاً للاعتقاد، وقابلاً للتطبيق، قابلاً لأن يأخذ بيد المسلم من البداية إلى النهاية، وبيد المسلمين كذلك من البداية إلى النهاية بتوفيق الله -عز وجل-. وهذا يؤكد أن الأستاذ -رحمه

---

(١) أبو الحسن الندوى: فى مسيرة الحياة ٢٣٠ (دار القلم: دمشق. ط(١) ١٤٠٧- ١٩٨٧) وارجع إلى ما كتبه عن الإمام الشهيد من ص٥٤- ص٥٧ عن كتابه: مذكرات سائح فى الشرق العربى. (مؤسسة الرسالة بيروت ط(٣) ١٣٩٨- ١٩٧٨.) وتقديمه لمذكرات الدعوة والداعية للإمام الشهيد: ص٥- ١١.

الله- مجدد هذا العصر، كما أجمع على ذلك كل من تحدث عنه عن معرفة وإنصاف، ولعله -من خلال التجربة- يظهر أن أى فكر معاصر لا يغنى عن فكر الأستاذ البنا -رحمه الله[1].

ولئن كان الأستاذ البنا -بمجموع ما حباه الله عز وجل- هو المرشح الوحيد لأن يطرح نظريات العمل الإسلامى، فإن الدعوة التى أقامها تركيب ذو نِسَب معينة، فمتى اختلت هذه النِّسب حدث الفساد، فللسلفية، وللصوفية، وللفقه، وللفكر، وللعلم، وللجهاد، وللتربية، وللمال، وللقوة، ولغير ذلك فيها نِسَب، إذا اختل واحد منها وقع فى الدعوة منها خلل[2].

* * *

وعلى مدار عشرين عاما -هى عمر جهاده الدعوى الفعلى إلى أن لقى ربه شهيداً، وعلى الرغم من الصعوبات والمضايقات والحروب الخسيسة التى فُرضت عليه، وعلى تلاميذه بتواطؤ بغيض بين طغاة الخارج وعملاء الداخل من أعداء الإسلام- استطاع الرجل أن ينتج ثماراً طيبة نافعة للوطن والعرب والمسلمين، تمثلت فى مئات الآلاف من الشباب والكهول والشيوخ منهم الأطباء والأساتذة والطلاب، والعمال والفلاحون، وكلهم يستظلون تحت لواء «الإسلامية» بمفهوم شامل عملى دقيق، ولكل منهم

(١) سعيد حوى: فى آفاق التعاليم: دراسة فى آفاق دعوة الأستاذ البنا ونظريات الحركة فيها من خلال رسالة التعاليم. ص٢١- (الاتحاد العالمى للمنظمات الطلابية- الكويت ١٤٠٠- ١٩٨٠).

(٢) السابق ٢٤.

فى سلوكه العملى، وتعامله مع الآخرين، ما ينم على أنه «أخ مسلم» دون أن يعلن عن نفسه بالقول، حتى أن الواحد منهم كانت «تُستَهْول» منه «الهنَة» الصغيرة التى هى من قَبيل اللمَم، بينما لا يَستْهَول الناس «الكبيرة» التى يرتكبها الآخرون، للاختلاف البيِّن الكبير بين «معيارىْ» الحساب ما بين «مسلم ملتزم»، وآخر يعيش لنفسه ونفعه على هامش الحياة[1].

## .. ودماؤه قادت إلى النصر..

وصدق على الرجل قول رسول الله -ﷺ-: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمرَه كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابتْه سراءٌ شكر، فكان خيرا له، وإن أصابتْه ضرَّاء صبر فكان خيرا له»[2].

ولكن الخير لم يكن مقصورا على حسن البنا، بل انعكس على الدعوة كسبا ونصرا وانتشارا، فكان الاضطهاد والمضايقات التى فُرضت عليه تفتح للدعوة آفاقا لم تكن لها من قبل[3] واشتهر حسن البنا، وعرفه من لم

---

(١) انظر للإمام الشهيد كتابه: مذكرات الدعوة والداعية ٩٨- ١٠١. إذ سجل صورا شريفة رائعة لتعامل بعض الحرفيين- من إخوان الإسماعيلية- مع الأجانب، على الرغم من قوة المغريات المادية واللا أخلاقية التى تقود إلى الحرام.

(٢) رياض الصالحين: الحديث رقم ٢٧. ص٣٥. (ط (١) ١٤١١- ١٩٩١ دار الوراق- الرياض).

(٣) فى سنة ١٩٤١- والحرب العالمية الثانية على أشدها، ودعوة الإخوان تشق طريقها فى قوة وثبات- ضغط الإنجليز على رئيس الوزراء حسين سرى لإيقاف هذا التيار، فأمر بنقل الإمام البنا من القاهرة إلى قنا، وكانت فرصة لنشر الدعوة فى صعيد مصر على نطاق واسع.

يكن يعرفه، واقتنع بدعوته من كان يعبد الله على حرف، وتعلم منه تلاميذه العمل والصبر والصمود فى أشد الظروف وأقساها.

وكانت المحن التى نزلت بالجماعة فى عهده وبعد أن لاقى ربه شهيدا إيذانا بخروج دعوة الإخوان من مجال المحلية إلى نطاق العالمية، إذ حمل «المطارَدُون» من الإخوان هذا الفكر النير الساطع إلى أوروبا والأمريكتين، وصدق الشاعر القائل:

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ    ما كان يعرف طِيبُ عَرْفِ العود

* * *

وكان استشهاد حسن البنا هو السبب المباشر لجذب سيد قطب إلى دعوة الإخوان ليكون المنظِّر الثانى للمدرسة الإخوانية بعد حسن البنا، مع أن «سيد قطب» لم يلتقِ به فى حياته. فقد كان سيد فى أمريكا يوم اغتيال الإمام البنا فى ١٢ من فبراير سنة ١٩٤٩. وقد لاحظ سيد مظاهر الفرح والابتهاج والشماتة عند الأمريكيين لاغتيال المرشد حسن البنا، كما اطلع على سرور الصحفيين والمراقبين كما بدا فى تحليلاتهم وتعليقاتهم فى الصحف الأوروبية والأمريكية حيث اعتبروا حسن البنا أخطر رجل فى الشرق، كما اعتبروا جماعة الإخوان المسلمين أخطر جماعة وتنظيم فى بلاد المسلمين، ومن يومها بدأ سيد يوجه نظره، ويأخذ طريقه إلى مدرسة الإخوان المسلمين[١].

(١) انظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد للدكتور عبدالفتاح الخالدى ٣١٨ (دار القلم دمشق ط (١) ١٤١١- ١٩٩١). وراجع كذلك ص١٠٢ من كتاب: سيد قطب الأديب الناقد. لعبدالله الخباص. ط (١) مكتبة المنار -الزرقاء- الأردن- ١٩٨٣.

وعن فكر الإمام الشهيد ومبادىء المدرسة الإخوانية كُتبتْ ونُشرتْ مئات من الكتب والدراسات الجامعية، وكذلك آلاف من المقالات والبحوث فى الصحف والمجلات بكل لغات العالم.

## الرسالة.. لغةً وفنا..

وعلى هذه الصفحات نقدم دراسة متواضعة مبسطة عن رسائل الإمام الشهيد -رحمه الله- لا ندعى أنها تضيف جديداً إلى ما كتب عنه وعن فكره ومنهجه الدعْوىّ، ولكنها على أية حال قد تلقى إضاءة على بعض الجوانب التى لم يدركها طلابنا وأبناؤنا.

وقبل أن نحدد خطوط الدراسة وخطتها، وأىّ رسائل الإمام ستكون موضوع الدراسة. نرى من الوفاء للبحث أن نضع أيدينا أولا على «مفهوم الرسالة لغة وفنا».

فمما يتعلق بهذه المادة:

**جاء فى لسان العرب:** الإرسال: التوجيه، وقد أُرسل إليه، والاسم: الرسالة والرسول والرسيل. . . والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر، والرسول: الرسالة والمرسَل، وسمى الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أى ذو رسالة.

**وجاء فى المصباح المنير:** تراسل القوم أرسل بعضهم لبعض رسولا أو رسالة، وجمعها رسائل.

**وجاء فى أساس البلاغة:** راسله فى كذا، وبينهما مكاتبات ومراسلات، وتراسلوا، وأرسلْتُهُ برسالة وبرسول، وأرسلت إليه أن افعل كذا، وأرسل

الله فى الأمم رسلا.

وجاء فى مختار الصحاح: راسله مراسلة فهو مراسل ورسيل، وأرسله فى رسالة فهو مُرسَل ورسول. والجمع رسْل ورُسُل. والرسول أيضاً الرسالة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. ولم يقل «رسولا رب العالمين» لأن صيغتى «فعول وفعيل» يستوى فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل «عدو» و«صديق». ورسيل الرجل الذى يراسله فى نضال أو غيره.

* * *

ومن كلمات المعاجم العربية يمكن أن نستخلص مفهوما مركزا للرسالة وهو أنها تمثل موضوعا معينا يبلغه شخص ما إلى آخر أو آخرين بنفسه أو برسول، وقد تكون الرسالة مكتوبة، وقد تكون شفاهة كما نرى فى قول زهير بن أبى سلمى[1]:

ألا أبلغْ الأحلافَ عنىّ رسالةً وذبيانَ هلْ أقسمتُمُ كلَّ مُقْسَمِ

وكذلك قول كعب بن زهير بن أبى سلمى مخاطبا أخاه بجُيرا[2]

ألا أبلِغَا عني بُجَيْرًا رسالةً على أىِّ شىءٍ -وَيْبَ غيرِك- دَلَّكاَ؟

* * *

(١) شرح القصائد العشر للخطيب التبريزى ١١٨ (المطبعة المنيرية- القاهرة ١٣٦٩.

(٢) انظر الأغانى للأصفهانى ١٨/ ٦٣٦٤ (تحقيق إبراهيم الإبيارى. دار الشعب. القاهرة د.ت).

وانظر العمدة لابن رشيق ١/ ٢٤ (دار الجيل بيروت. ط (٤) ١٩٧٢).

وقد يطلق على «الرسالة» تسميات أخرى مثل الخطاب، والكتاب، والعهد، والصحيفة، والوصية، وإن لم تخلُ من ملامح فارقة بينها(١).

**والرسائل أنواع ثلاثة...**

قد تتعدد تعريفات الرسالة فى كتب الأدب بمفهومها الأوليّ المباشر، كما نرى فى التعريفين الآتيين:

- الرسالة هى الخطاب المكتوب فى غرض جزئى، يبعث به صاحبه إلى آخر(٢).

- الخطاب أو الرسالة: نص مكتوب ينقل من مُرسِل إلى مُرْسَل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهما(٣).

وواضح أن الخلاف بين التعريفين خلاف لفظى، كما أنه قريب جدا مما استخلصناه من المعاجم العربية. ونرى الخلاف لفظيا كذلك فى تعريف النقاد للرسالة بأنواعها الثلاثة وهى:

١- الرسالة الإخوانية. ٢- الرسالة الديوانية. ٣- الرسالة الأدبية.

١ - فالرسالة الإخوانية أو الشخصية أو الخاصة هى تلك التى تعبر عن مشاعر المرسل فى تعزية أو تهنئة أو توصية أو عتاب أو شوق أو تحذير ووعيد ونحو ذلك مما يصور العواطف والصلات الخاصة بين

---

(١) راجع فى ذلك: جابر قميحة: أدب الرسائل فى صدر الإسلام ٧- ١٣ (دار الفكر العربى- القاهرة ١٤٠٦- ١٩٨٦).

(٢) أحمد الشايب: الأسلوب ١١٣. مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ط (٨) ١٩٨٨.

(٣) د. مجدى وهبة: معجم مصطلحات الأدب ٢٨١- مكتبة لبنان- بيروت ١٩٧٤.

الأفـراد. وهى غـالبا لا تكون إلا بـين مَنْ تربط بينهم صلة دمـوية كـالآباء والأبناء والإخـوة، أو صلة إنسـانيـة كالـصداقـة والزمـالة والصحبة.

٢ - الرسالة الديوانية أو الإدارية أو الرسمية أو العامة، وهى التى تختص بتصريف شئـون الدولة وما يصدر عن دواوينها ووزاراتها ومـصالحها الحكومـية، أو يَرِد إليـها متـعلقـا بأمور الإدارة والسـياسة والقـانون والوظائف.

٣ - الرسالة الأدبيـة: وهى التى تتخـذ موضوعـها من القيم الإنسـانية، والأخلاقيات، والأدبيات، وتقديم وجهة النظر فى هذه الموضوعات. وتعتـبر الرسائل الأدبية -كـما يقول الدكـتور مجدى وهبـة- مرحلة تطوّر للرسائل الإخوانية، فبينما كان كاتب الرسالة الإخوانية يعبر عن وداده لصديق معين مـثلاً، مال كاتب الرسالة الأدبيـة إلى التجديد، فأصبح يكتب عن الوداد والأخوة بصفة عامة[1].

## ... ورسائل الإمام الشهيد

وبعد هذه التوطئة نرى للرسائل مكانا فسيحا رحيبا فى حياة حسن البنا ومسيرة دعوته، وهذه الرسائل يمكن انتظامها في ثلاثة أنواع هى:

---

(١) مجدى وهبة: السابق ٤٦٣. ومن أشهـر الرسائل الأدبية رسالة ابن القارح لأبى العلاء المعـرى يعرض فـيهـا رأيه فى بعض الشـعراء والقـضايا الأدبـية، ويطرح عليـه بعض الأسئلة، وكان رد أبى العلاء عليه برسالة طويلة جدا باسم «رسالة الغفران». ومما يدور فى هذا الفلك إطلاق اسم «الرسالة» على مـوضوع معالج بإسهـاب حتى لو لم يوجه إلى شخص معين أو أشخاص معينين كرسائل إخوان الصفا.

(١) الرسائل الدعوية الكتابية.

(٢) الرسائل العامة الموجهة.

(٣) الرسائل الشخصية أو الخاصة.

والنوع الأول يشبه ما ذكرناه آنفا باسم «**الرسائل الأدبية**»، وخصوصا تلك التى كتبت ابتداء- دون أن تكون موجهة لشخص معين أو جماعة معينين. وتتمثل هذه الرسائل فى كتب صغيرة، وهى تحمل فكر الجماعة، وتعد المصدر الأصيل لهذا الفكر، وبعد استشهاد الإمام البنا جمعت هذه الرسائل فى مجلد ضخم جاء فى خمسمائة صفحة، ويضم بين دفتيه عشرين رسالة.

* * *

يقول الإمام: كان أول ما طبع من الرسائل «القانون الأساسى للإخوان المسلمين واللائحة الداخلية»، ثم صدرت «رسالة المرشد» وظهر منها عددان فقط، وكانت الرسالة الأولى بتاريخ ٥ من رمضان سنة ١٣٤٩هـ الموافق ٢ من يناير سنة ١٩٣١، والثانية بتاريخ ٢٠ من شعبان سنة ١٣٥١ تقريبا، وهو الموافق ١٩ من ديسمبر ١٩٣٢[١].

وتوالت بعد ذلك رسائل ونشرات فى هذا الصدد منها ما هو للإشارة إلى أعمال الإخوان الاجتماعية، ومنها ما هو شرح لأهداف دعوتهم،

---

(١) لم يقدر لنا الاطلاع على هاتين الرسالتين، ولم يضمهما مجلد (رسائل الإمام الشهيد)، وربما نشرتا بعد ذلك باسم آخر غير (رسالة المرشد).

ومنها ما هو توجيه للحكومات إلى الأخذ بتعاليم الإسلام[1].

**أنواع الرسائل الدعوية الكتابية..**

وهذه الرسائل العشرون يمكن تقسيمها- على أساس **صورة إعدادها، وآلية أدائها** إلى:

**أولا: رسائل مقالية:**

أى نشرت فى شكل مقالات ثم جمعت بعد ذلك فى رسالة واحدة مثل:

(١) رسالة (بين الأمس واليوم) ص١٤٣. وقد نشرت تباعا فى جريدة «الإخوان المسلمين» ابتداء من عدد ٤ صفر ١٣٥٣.

(٢) رسالة: «هل نحن قوم عمليون» ص٣٤٧. وقد نشرت تباعا بجريدة الإخوان ابتداء من العدد (١٤) بتاريخ ٢٨ من ربيع الثانى سنة ١٣٥٣ ثم الأعداد ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧.

**ثانيا: رسائل خطابية:**

أى تمثلت فى خطب ومحاضرات، ثم بعد ذلك طبعت فى رسائل. وهى:

(١) رسالة إلى الشباب ص٩٥.

(٢) رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن ص١٠٧.

---

(١) الإمام البنا: مذكرات الدعوة والداعية: ١٨٥.

وهو نص خطاب ألقاه المرشد فى جمع حاشد من الإخوان بدار الإخوان بالقاهرة يوم الثلاثاء ١٤ من صفر ١٣٥٨- الموافق ٤ من أبريل ١٩٣٩.

(٣) رسالة المؤتمر الخامس ص١٦٦.

(٤) رسالة «إلى الطلاب» ص٣٠٧.

نص خطبة ألقيت فى مؤتمر الإخوان سنة ١٣٥٧.

(٥) رسالة المؤتمر السادس ص٣٢٣.

خطاب ألقى فى المؤتمر المنعقد فى يناير ١٩٤١.

**ثالثا: رسائل عامة مكتوبة موجهة إلى معروفين محددين:**

- رسالة نحو النور ص٦٧.

**رابعا: رسائل معدة مكتوبة:**

وهى التى ألفت ابتداء، ولا تدخل فى نطاق الأنواع السابقة. وهى:

(١) دعوتنا ص١٥.

(٢) إلى أى شىء ندعو الناس ص٣٩.

(٣) دعوتنا فى طور جديد ص١٢٢.

(٤) مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى ص٢٠٩[1].

---

(١) جاء فى ديباجة هذه الرسالة «إلى رئيس الحكومة باعتباره المسئول الأول، وإلى أعضاء الهيئات النيابية -على اختلافها- باعتبارهم الدعاة الرسميين لنظام الإسلام، وإلى =

(٥) مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى:

نظام الحكم ص٢٣١.

(٦) مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى:

النظام الاقتصادى ص٢٥٣.

(٧) رسالة الجهاد ص٢٧١.

(٨) المرأة المسلمة ص٢٩٣.

(٩) رسالة التعاليم ص٣٨٧.

(١٠) نظام الأسر ص٤٠٧.

(١١) العقائد ص٤١٣.

(١٢) المأثورات ص٣٥٥.

**طبيعة هذه الرسائل..**

ومن قراءة هذه الرسائل نخرج بعدة حقائق أهمها:

(١) أن هذه الرسائل- وقد أشرنا إلى ذلك من قبل- تمثل أصول الفكر

---

= رؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية باعتبارهم قادة الفكر وموجهى الجماهير، وإلى كل محب لخير العالم وسيادة بنى الإنسان: أوجه هذه الكلمات أداء للأمانة، وقياما بحق الدعوة. ألا قد بلغت، اللهم فاشهد. (مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص٢١٠)- دار الدعوة الإسكندرية- ١٤١٠- ١٩٨٩.

ولكنا أدخلنا هذه الرسالة ضمن الرسائل الدعوية الكتابية، لأنها لم توجه إلى معينين محددين بالأسماء، حتى تندرج تحت ما أطلقنا عليه (الرسائل العامة الموجهة).

الإخـوانى، وبرامج الإخوان، ومنهـاجـهم التربوى والإصـلاحى فى نطاق الفرد والأسرة والمجتمع.

(٢) ومن ثم تعددت المحاور الموضوعية لهذه الرسائل:

أ - فمنها العقدى الروحانى: كالعقائد والمأثورات.

ب - ومنها التنظيمى الداخلى للجماعة: كنظام الأسر ورسالة التعاليم.

جـ - ومنها مـا هو تنظيمى عام للجمـاعة، وهو أوسع وأرحب من النوع السـابق، كرسـائله الخطابية الموجـهة للإخـوان، مثل: رسـالة إلى الشباب، ورسالة المؤتمر الخامس، ورسالة: إلى المؤتمر السادس.

د - ومنها مـا يمثل عرْضـا لمبادىء الإخوان ومنهـجهم الإصـلاحى مثل: رسالة دعوتنا، ورسالة إلى أى شىء ندعو الناس.

هـ - ومنهـا ما هو إسلامى- بالمفـهوم العـام: يعرض للرسـالة والرسول -ﷺ- وأصحابه، وحال الـدولة الإسلامية فى ماضيـها وحاضرها، ومـوقف الإسلام مـن «المحدثات» كـالقـوميـة والمذاهب الأخـرى، كرسـالة: بين الأمس واليوم، ورسالة: المرأة المسلمـة، ورسالة: هل نحن قوم عمليون؟

و - ومنها مـا يمكن أن نسمـيه: الرسـائل الدستورية، وهى الـتى تعرض الخطوط العريـضة للدستـور الإسلامى فى مجـال الحكم والاقتـصاد والتربيـة والحرب. مثل: مشكلاتنا فى ضـوء النظام الإسلامى- نظام الحكم، النظام الاقتصادى- رسالة الجهاد.

ومن فضول القول أن أقرر هنا أن هذا التقسيم يقوم على أساس «الغالب» لا «المطلق»، فهناك تداخل «محمود» وتعانق مثمر بين عدد من الأفكار فى كل الرسائل، حتى ليصعب -فى بعض الأحيان- الفصل بين ما هو «إخوانى خاص» و«اجتماعى إسلامى عام».

(٣) وكل رسالة من هذه الرسائل تمثل «كُتَيِّبـا» أى كتابا صغيراً، ولكن مضمونه الفكرى -لو بسط أو شرح- لجاء فى كتاب كبير[1].

(٤) وإحدى هذه الرسائل، وهى (نحو النور) جاءت ذات طبيعة مزدوجة فهى «رسالة كتابية دعوية»، وهى من ناحية أخرى «رسالة عامة موجهة» لأشخاص معروفين بأسمائهم، فقد كتبها الإمام الشهيد، ووجّه رسله إلى الملوك ورؤساء الحكومات، وكبار القوم، مما سنفصله فى مقالاتنا القادمة -إن شاء الله. وهى تختلف فى هذه السمة عن رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى (ص٣٠٩) فقد كتبها الإمام الشهيد، وصدرها بقوله «إلى رئيس الحكومة... وإلى أعضاء الهيئات النيابية....» ولكنها لم تسلَّم إلى هؤلاء، فهى تشبه ما ينشر حالياً فى بعض الصحف تحت عنوان «خطاب مفتوح إلى فلان».

* * *

(١) فرسالة «التعاليم» مثلا: جاءت فى ١٨ صفحة (مجموعة رسائل الإمام الشهيد ٣٨٨-٤٠٥). وشرحها الأستاذ سعيد حوى فى كتاب من ٣٥٠ صفحة بعنوان (فى آفاق التعاليم).

ونكتـفى بهذه الوقفـة العابرة مع هـذا النوع من رسائل الإمـام، فهى ليست موضـوع بحثنا -من ناحية- كـما أن الدراسة المتأنيـة لهذه الرسائل تكفلت بها مئـات من الكتب والبحوث والأطروحات الجامعـية من ناحية أخرى. ونلتـقى فى الصفحات الآتيـة -بمزيد من البسط والتفـصيل- مع النوع الثـانـى- من رسـائل الإمـام، وهى رسـائلـه إلى الملوك والأمـراء والرؤساء، وهو ما سميناه «بالرسائل العـامة الموجهة»، ثم نعرض ونعالج - معالجة نقدية - رسـائله الخاصة إلى أبيـه الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا - رحمه الله -.

# الفصل الثانى

## رسائله إلى الملوك والرؤساء والوزراء

[١]

## وزارات وحكومات

عاشت مصر النصف الأول من القرن العشرين فترة اضطراب وعدم استقرار، واستنزف الاستعمار الانجليزى خيراتها ومواردها طيلة حربين عالميتين: الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥).

ثم كان ظهور الوليد الجديد سنة ١٩٢٨ على يد الشيخ حسن البنا باسم (الإخوان المسلمين). وكانت الجماعة ترسى قواعدها وتنتشر شُعُبها فى المدن والقرى المصرية، ويزيد تيارها قوة ترهب الأعداء، فى الوقت الذى كان فيه المستعمر الإنجليزى يوسع من نطاق سيطرته على السياسة المصرية فى توجيه الأمور، واختيار الوزارات، وكان المندوب السامى البريطانى فى القاهرة هو أهم شخصية فى الساحة المصرية.

ومما يدل على اضطراب الأمور وتخبط الحكم، واهتزاز النظام السياسى كثرة تغيير الوزارات، فمن سنة ١٩٢٨ (سنة قيام جماعة الإخوان) إلى سنة ١٩٤٩ (وهى السنة التى استشهد فيها الإمام حسن البنا توالت على حكم مصر ست وعشرون وزارة هى:

١ - وزارة مصطفى النحاس باشا (الأولى): ١٦ مارس ١٩٢٨ - ٢٥ يونيو ١٩٢٨.

٢ - وزارة محمد محمود باشا (الأولى): ٢٥ يونيو ١٩٢٨ - ٢ أكتوبر

.١٩٢٩

٣ - وزارة عـدلى يكن بـاشـا (الثـالثـة): ٣ أكتـوبر ١٩٢٩ - ١ يناير ١٩٣٠.

٤ - وزارة مصطفى النحـاس باشا (الثانيـة): ١ يناير ١٩٣٠ - ١٩ يونيو ١٩٣٠.

٥ - وزارة إسماعيل صـدقى باشا (الأولى): ١٩ يونيو ١٩٣٠ - ٤ يناير ١٩٣٣.

٦ - وزارة إسماعيل صدقى باشا (الثانـية): ٤ يناير ١٩٣٣ - ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣.

٧ - وزارة عبد الفـتاح يحيى باشا (الأولى): ٢٧ سبتـمبر ١٩٣٣ - ١٤ نوفمبر ١٩٣٤.

٨ - وزارة محمـد توفيق نسيم باشا (الثالثة): ١٤ نوفـمبر ١٩٣٤ - ٣٠ يناير ١٩٣٦.

٩ - وزارة على ماهر باشا (الأولى): ٣٠ يناير ١٩٣٦ - ٩ مايو ١٩٣٦.

[والوزارات السابقة كانت فى عهد الملك فؤاد].

١٠ - وزارة مصطفى النحاس باشا (الثـالثة): ٩ مايو ١٩٣٦ - ٣١ يوليو ١٩٣٧.

[وكـانت فى عهـد مجـلس الوصاية بعـد وفـاة الملك فؤاد ثم كـانت الوزارات التـالية فى عهـد الملك فاروق الذى حـكم مصر من ٢٩ يـوليو ١٩٣٧ إلى ٢٦ يوليو ١٩٥٢]:

١١ - وزارة مصطفى النحاس باشا (الرابعة): ١ أغسطس ١٩٣٧ - ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧.

١٢ - وزارة محمد محمود باشا (الثانية): ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ - ٢٧ إبريل ١٩٣٨.

١٣ - وزارة محمد محمود باشا (الثالثة): ٢٧ إبريل ١٩٣٨ - ٢٤ يونيو ١٩٣٨.

١٤ - وزارة محمد محمود باشا (الرابعة): ٢٤ يونيو ١٩٣٨ - ١٨ أغسطس ١٩٣٩.

١٥ - وزارة على ماهر باشا (الثانية): ١٨ أغسطس ١٩٣٩ - ٢٧ يونيو ١٩٤٠.

١٦ - وزارة حسن صبرى باشا (الأولى): ٢٧ يونيو ١٩٤٠ - ١٤ نوفمبر ١٩٤٠.

١٧ - وزارة حسين سرى باشا (الأولى): ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ - ٣١ يوليو ١٩٤١.

١٨ - وزارة حسين سرى باشا (الثانية): ٣١ يوليو ١٩٤١ - ٤ فبراير ١٩٤٢.

١٩ - وزارة مصطفى النحاس باشا (الخامسة): ٤ فبراير ١٩٤٢ - ٢٦ مايو ١٩٤٢.

٢٠ - وزارة مصطفى النحاس باشا (السادسة): ٢٦ مايو ١٩٤٢ - ٨ أكتوبر ١٩٤٤.

٢١ - وزارة أحمد ماهر باشا (الأولى): ٨ أكتوبر ١٩٤٤ - ١٥ يناير ١٩٤٥.

٢٢ - وزارة أحمد ماهر باشا (الثانية): ١٥ يناير ١٩٤٥ - ٢٤ فبراير ١٩٤٥.

٢٣ - وزارة محمود فهمى النقراشى باشا (الأولى): ٢٤ فبراير ١٩٤٥ - ١٥ فبراير ١٩٤٦.

٢٤ - وزارة إسماعيل صدقى باشا (الثالثة): ١٦ فبراير ١٩٤٦ - ٩ ديسمبر ١٩٤٦.

٢٥ - وزارة محمود فهمى النقراشى باشا (الثانية): ٩ ديسمبر ١٩٤٦ - ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨.

٢٦ - وزارة إبراهيم عبد الهادى باشا (الأولى) ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ - ٢٥ يوليو ١٩٤٩[١].

* * *

وبعد استشهاد الإمام حسن البنا توالت على مصر وزارات شكَّلها ورأسها على التوالى: حسين سرى ومصطفى النحاس وعلى ماهر، وأحمد نجيب الهلالى وحسين سرى وأحمد نجيب الهلالى. إلى أن قامت الثورة فتولى على ماهر أول وزارة فيها من ٢٤ يوليو ١٩٥٢ إلى ٧ سبتمبر

(١) انظر (النظارات والوزارات فى مصر): الجزء الأول من ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ - إلى ١٨ يونيه ١٩٥٣. من ص ٣٥ -٣٨، من ص ٥٤١ -٥٤٤.
جمع وترتيب: فؤاد كرم: الهيئة المصرية العامة للكتاب - بالقاهرة ط٢ سنة ١٩٩٤.

١٩٥٢.

وبالنظر إلى هذه القائمة نلاحظ أن متوسط عمر الوزارة الواحدة قرابة تسعة أشهر، مما يدل على اضطراب نظام الحكم وعدم استقراره. وعلينا أن نلاحظ كذلك أن بعض هذه الوزارات كان يقوم على أساس ائتلافى، وبعضها يقوم على أساس حزبى خالص[١].

## الإخوان والمجتمع.. وآليات الدعوة

ومن منطلق الفهم الصحيح للإسلام، وأنه دين ودولة، وعبادة وقيادة، وسيف ومصحف عاش حسن البنا والإخوان فى قلب الأحداث، وكان لهم دور كبير فى توجيه المسار المصرى والعربى والإسلامى، وكان للإمام البنا وسائل وآليات وظفها لنشر الدعوة، وتحقيق مبادئها عمليا على أوسع نطاق. وتتلخص آليات الدعوة عند الإمام الشهيد حسن البنا فيما يأتى:

١ - الخطب والمحاضرات.

٢ - الكتب والرسائل المكتوبة.

---

(١) كان أهم الأحزاب المصرية آنذاك: حزب الوفد الذى تألف سنة ١٩١٨، وحزب الأحرار الدستوريين (١٩٢٢-١٩٥٣)، وحزب الهيئة السعدية الذى انشق عن الوفد سنة ١٩٣٨. ومن أطول الوزارات بقاء فى الحكم وزارة إسماعيل صدقى (من ١٩/٦/ ١٩٣٠ إلى ٢٧/٩/١٩٣٣). ثم من ١٦/٢/١٩٤٦ - ٩/١٢/١٩٤٦،وكذلك وزارة الوفد برياسة مصطفى النحاس سنة ١٩٢٨ وسنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٣٦ - ١٩٣٧،ومن سنة ١٩٤٢ - ١٩٤٤. [راجع فى تفصيل ذلك الجزءين الثانى والثالث من كتاب: فى أعقاب الثورة المصرية، لعبد الرحمن الرافعى. والموسوعة العربية العالمية ١/٢٤٦، ٢٤٩ (الرياض ١٤١٦ - ١٩٩٦).

٣ - التربية العملية :

أ - تربية العقل بالقراءة والاطلاع.

ب - تربية الجسم بالرياضة، والنظام الكشفى (الجوالة).

جـ - تربية الروح بنظام الأسر، والتزام التقوى، وأداء المطلوبات الدينية على أكمل الوجوه[1].

٤ - الرسائل العامة الموجهة: وهى تلك التى وجهها المرشد الإمام إلى الملوك والرؤساء والشخصيات القيادية فى مجال السياسة والدين والوطنية، وهى تعبر عن فكر جماعة الإخوان المسلمين وتوجهاتها وتوجيهاتها فى مسألة أو مسائل معينة تثور، وتشغل الساحة فى آنها.

وهو فى هذا المسلك الأخير إنما يقتدى برسول الله - ﷺ - حين أرسل رسائله إلى الملوك والحكام وأصحاب النفوذ الدينى كالمقوقس عظيم

---

(١) ارجع فى هذا الموضوع إلى كتاب الدكتور يوسف القرضاوى: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا. وخصوصا الصفحات من ٢٣ - ٦٥ (مكتبة وهبة القاهرة. ط١، ١٣٩٩ - ١٩٧٩).

وكان الإخوان يهتمون بالجانب العملى السلوكى. فمن توجيهات مكتب الإرشاد للإخوان فى المنشور الأول الذى صدَّره إليهم سنة ١٣٥٨ أن يحدد الإخوان لأنفسهم كل شهر أربعة أيام هى: يوم النصيحة، . ويوم العيادة، ويوم التعارف، ويوم الآخرة «يصقل فيه الإخوان قلوبهم وأنفسهم، يخرجون بها من عالم الضوضاء والهرج إلى عالم الطمأنينة، ويزورون مدينة الآخرة (المقابر) للعظة والاعتبار» مذكرات الدعوة والداعية ٣٢٦ (الزهراء للإعلام العربى - القاهرة ١٩٩٠).

القبط فى مصر[1].

## رسالة المرشد إلى الملك فؤاد[2]

وكانت أولى هذه الرسائل تلك التى وجهها باسمه واسم مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين المجتمعين فى مدينة الإسماعيلية فى ٢٢ من صفر سنة ١٣٥٢هـ.

وكان الدافع إلى هذه الرسالة استشراء نشاط المبشرين فى مصر، وتفاقم خطرهم متسترين وراء «التعليم» و«الإحسان» إلى فقراء المسلمين[3].

والرسالة تدعو الملك إلى العمل على حماية الشعب المسلم من الهجمة الصليبية الغاشمة التى يتولى كبرها المبشرون معتمدين على حكوماتهم

(١) وهو «جريج بن متى» الملقب بالمقوقس ملك مصر والإسكندرية. أما الآخرون فهم: النجاشى ملك الحبشة، وكسرى ملك فارس، وهرقل ملك الروم، والمنذر بن ساوى حاكم البحرين، وهوذة بن على صاحب اليمامة، والحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب دمشق، وجيفر ملك عمان وأخوه عبد ابنا الجلندى. (راجع ٤١٤ - ٤٢٧) من كتاب الرحيق المختوم. لصفى الرحمن المباركفورى - مكتبة الصحابة. جدة ١٤١١-١٩٩٠. وقد ألحقنا بهذا النوع من الرسائل: رسالة الإمام الشهيد إلى مكتب الإرشاد ورسالته إلى الإخوان قبل استشهاده مباشرة.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن اتخاذ المنصرين من «التعليم» و«الإحسان» وسيلتين لتحقيق أهدافهم الخبيثة ارجع إلى ٤٣ - ٥٦ من كتاب جابر قميحة «آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم» (رابطة العالم الإسلامى - مكة ١٤١٢ - ١٩٩١).
وانظر ما كتبه الإمام الشهيد عن جهود شُعب الإخوان فى مطاردة المبشرين وإفساد خططهم: ١٩٦ - ٢٠٢ من مذكرات الدعوة والداعية.
=

الاستعمـارية، وعلى ما تحت أيديهم من إمكانات وأرصدة ماليـة ضخمة يستعينون بها على تنصير المسلمين.

وفى هذه الرسـالة يقدم المرشـد بعض الوسائل الناجـعة لإنقـاذ الأمة وحمايتها من التبشير والمبشرين، وهى:

١ - فرض الرقابة الشديدة على المدارس التى يملكها ويديرها المبشرون.

٢ - سحـب الرخص من أى مسـتشـفى أو مدرسـة يثبت أنهـا تشتـغل بالتبشير.

٣ - إبعاد كل من يثـبت للحكومة أنه يعمل على إفـساد العقائد وإخـفاء البنين والبنات.

٤ - الامتناع عن معونة هذه الجمعيات بتاتا بالأرض أو المال.

٥ - الاتصال بحضرات الوزراء المفوضين فى مصر والخارج حتى يساعدوا الحكومة فى تنفيذ خطة الحزم حفظا للأمن ومراعاة لحسن العلائق.

## إلى توفيق نسيم من أجل مسجد البرلمان[1].

وبعد أن تولـى محمـد نسيم باشـا رياسة الحكومـة للمرة الثالـثة سنة ١٩٣٤ كتب إليـه المرشد العـام وإلى وزير الأشغـال العمومـية بحكومـته

= وانظر كذلك ١/٥٨-٦٨ من كتاب: الإخوان المسلمـون: أحداث صنعت التاريخ لمحمود عبد الحليم (دار الدعوة: الإسكندرية. ط١).

(١) مذكرات الدعوة والداعية ٢٣٣ - ٢٣٥.

وكان محمد توفيق نسيم قـد ألف الوزارة فى ١٤/١١/١٩٣٤، بعد استقالة وزارة عبد الفتاح يحيى، وكان وزير الأشغال هو عبد المجيد عمر واستقالت وزارة نسيم ليشكل =

رسالة، ربما كـانت أول رسالة من الإخوان إلى رئيس أو وزير. وقـد جاء فيها بعد الاستهلال بالسلام والتهنئة والترحيب بالوزارة ما يأتى:

ويؤلمنا - يا صاحب الـدولة إلى جانب ذلك الجهـاد الموفق قرار وزارة الأشغال الذى نشرته جـريدة السياسة وهو «انصراف النية عـن بناء مسجد البرلمان» الذى كان قد تقرر إنشاؤه.

إن دار البرلمان هى مظهـر كرامة الأمة، ورمـز آمالها وأمانيـها وصورة قوميتها وحياتها، وإن المسجد فى البرلمان أمر لا بد منه، فحضرات النواب - إلا عـددا قـليـلا - مـسلمـون، وديـن الدولة الرسـمـى الإسـلام، والاجتماعات تـعقد فى المجلس فى أوقات تتخللها، أو تتقدمـها أو تليها أوقات صلاة.

فالمسجد فى البرلمان مظهر من مظاهر عناية الحكومة بتحقيق دستورها، وعناية الأمة بشـعائر دينهـا، ومعين لحـضرات النواب على أداء واجـبهم الإلهى إلى جانب واجبهم الوطنى، وما أوثق ارتباط كل منهما بالآخر.

إن حـرصنا على أن يكون عـهـدكم الزاهر ناصع البـيـاض، مشـرق الصفحات، لايبدو على وجهه كـلف، ولا يحجب جماله حجاب - دعا إلى أن نتقـدم إليكم - ملحين فى الرجاء - أن تؤيدوا وزارة الأشـغال فى قرارها السابق بإنشاء مسجد البـرلمان، وتتعجلوا إنفاذه، حتى نرى المسجد فى القريب مستقر الرحمة فى مهبط الحكمة إن شاء الله.

---

= على ماهر وزارته فى ١٩٣٦/١/٣٠ (انظر: عـبد الرحمن الرافعى: فى أعـقاب الثورة المصرية ٢١٦/٢).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[١].

## إلى النحاس باشا المعجب بأتاتورك[٢]

ويفزع المرشد الإمام حين يقرأ فى «الأهرام» الصادرة يوم ٥ من يونيو ١٩٣٦ نقلا عن وكالة أنباء الأناضول تصريحا لرئيس الحكومة المصرية مصطفى باشا النحاس يعلن فيه إعجابه المطلق بمصطفى كمال أتاتورك الذى صاغ بعبقريته - كما ينسب إلى النحاس - دولة تركيا الجديدة التى يلذ للعالم أن يسميها «تركية أتاتورك»، فلقد أوجد دولة شابة ذات حيوية فائقة، غدت عاملا يحسب حسابه فى الشئون الأوروبية».

ويلح النحاس على إبداء إعجابه بعبقرية أتاتورك بمفهومها الشامل «وتفهمه لمعنى الدولة الحديثة التى تستطيع وحدها فى الحالة العالمية الحاضرة أن تعيش وأن تنمو».

وفى رسالته يستهل الإمام البنا بإنصاف النحاس وذلك ببيان مكانته فهو «أكبر زعيم شرقى عرف الجميع فيه سلامة الدين، وصدق اليقين».

ويكشف الإمام عن حقيقة أتاتورك هذا:

- فهو الذى ألغى الخلافة الإسلامية.

- وهو الذى ألغى القوانين الإسلامية، وحكم بالقانون السويسرى.

---

(١) وقد أتت هذه الرسالة ثمرتها فقررت الحكومة بناء المسجد، وبُلِّغ الإخوان كتابة بذلك.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية ٢٩٢ - ٢٩٤.

- وهو الذى أجاز زواج المسلمة بغير المسلم.

- وهو الذى جعل ميراث المرأة كميراث الرجل.

- وهو الذى تبرأ من نسبة تركيا إلى الشرق، واستبدل بالحروف العربية حروفا لاتينية.

* * *

ويختم الإمام رسالته بقوله: «... ولهذا - ياصاحب الدولة - نتوجه إليكم بهذه الكلمة، وهى كلمة الولاء المحض، والنصح الخالص، والإشفاق الكبير، رجاء أن تتفضلوا بإلحاق هذا التصريح بما يطمئن نفوسا قلقة، ويقر أفئدة مضطربة، ويسد الطريق أمام الظنون والأوهام. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## من أجل فلسطين: الرسالة الأولى(١)

فى مساء يوم السبت الموافق ٢٥ من صفر الخير سنة ١٣٥٥ كوَّن الإخوان لجنة لمساعدة فلسطين برياسة المرشد العام، وقد وافقت اللجنة على تنفيذ المقترحات الآتية:

١- نشر تكوين هذه اللجنة فى الصحف.

٢ - نشر نداء من اللجنة إلى الأمة المصرية والمسلمين عامة.

٣ - إرسال برقيات الاحتجاج إلى المندوبين الساميين فى مصر وفلسطين، ونشر صور منها فى الصحف، وإرسال برقية أخرى إلى فضيلة المفتى

(١) مذكرات الدعوة والداعية ٢٨٠ - ٢٨١.

بصفته رئيسا للجنة العربية العليا.

٤ - إذاعة بيان من اللجنة إلى عموم الإخوان والشعب.

* * *

ومن غرائب المفارقات آنذاك أنه كان فى مصر لجنة مهمتها جمع الأموال لمساعدة الأحباش المنكوبين بالاستعمار الإيطالى، وكان أحد رؤساء هذه اللجنة «الأمير عمر طوسون» . فوجه إليه الإمام البنا - بصفته مرشد الإخوان، ورئيس لجنة مساعدة فلسطين -رسالة جاء فيها:

«. . وإن صاحب السمو ليقدر معنا أن فلسطين الجارة العزيزة -وفيها بيت المقدس الذى يجمع المسلمون والمسيحيون على إكباره ومنعه، والذود عن كرامته - جديرة بأن يتقدم إليها فى طليعتنا سمو الأمير الجليل عمر طوسون بما يستطاع من بر ومساعدة».

وبعد أن شرح مهام اللجنة الإخوانية التى شكلت لمساعدة فلسطين يوجه الإمام البنا الخطاب إلى الأمير مبينا عن الغرض الأساسى من الرسالة قائلا:

«. . . . وقد توجهنا إلى سموكم بهذا راجين أن تجد فلسطين الجريحة من بركم وعطفكم ما وجدته الحبشة من الآسى الرقيق، والبلسم الشافى. ولنا رجاء آخر أن تتفضلوا بصفتكم أحد رئيسى لجنة مساعدة الحبشة بإرسال ما تبقى من الأموال التى جمعت لغرض مساعدة الأحباش إلى اللجنة العربية فى فلسطين، وسيجزيكم الله الجزاء الأوفى. . . ».

## من أجل فلسطين: الرسالة الثانية[1]

ولأن المنكوبين الأحباش كانوا - فى أغلبهم من المسيحيين الأرثوذكس، وكانت الكنيسة الحبشية تابعة آنذاك للكنيسة المصرية، ولأن الأنبا يونس - بطريرك الأقباط الأرثوذكس فى مصر - كان هو الرئيس الأول للجنة مساعدة الأحباش وحرصا من الإمام على عدم إثارة حساسية دينية.. لكل أولئك وجه رسالة - للغرض نفسه - إلى الأنبا يونس، يخاطب فيها حسه الدينى، ويذكر فيها أن ضحايا اليهود فى فلسطين إنما هم المسلمون والمسيحيون على سواء، فعلى أيدى اليهود «.. خربت ديارهم، وعطلت مصالحهم، وقضى على موارد أرزاقهم، وبيت المقدس هو بيت القصيد من هذا العدوان الصارخ، ويحاول اليهود بعملهم هذا أن يستولوا عليه، وعلى غيره من الأماكن المقدسة التى أجمع المسلمون والمسيحيون على تقديسها، وإكبارها والذود عنها».

وبعد هذا التمهيد الذى يهيىء النفس، ويثير فيها مشاعر الرحمة والشهامة والغيرة فى نفس رجل له مكانة الرياسة على النصارى يخلص الإمام إلى الغرض الأساسى من الرسالة فيقول: «.. ونحن فى مصر - مع الأسف الشديد- لانملك إلا أن نقدم ما تسخو به الأكف من مال لمساعدة هؤلاء الأبطال الذين ألمت بهم الفاقة حتى أن لجنة التموين للإغاثة بالقدس تصرف يوميا مائة وأربعين قنطارا من الدقيق لإطعام الجائعين..»

ومن أجل ذلك توجهنا إلى غبطتكم راجين أن تشملوا هؤلاء

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية ٢٨٢ -٢٨٣.

المجاهدين الأبطال بعطفكم الأبوى، فتأمروا بإمداد أبناء فلسطين بإرسال ما تبقى من أموال لجنة مساعدة الأحباش إلى اللجنة العربية العليا بالقدس. ونعتقد أن حضرات أعضاء اللجنة الكرام يسرهم أن يحققوا هذا الرجاء. فيكونوا بذلك قد قاموا بخدمة الجارتين العزيزتين فى وقت واحد، فى محنة متشابهة.

وإن رأيتم فضلا عن ذلك أن تتكرموا بدعوة المحسنين من المصريين بالتبرع لهذا الغرض النبيل فهو العهد بكم، والمأمول فيكم، وكان لكم الشكر مضاعفا».

## من أجل فلسطين: الرسالة الثالثة[1]

ومن أجل فلسطين وجه الإمام الشهيد (فى ٢٨ من شعبان ١٣٥٦ - ٢ من نوفمبر ١٩٣٧) رسالة إلى السفير البريطانى فى القاهرة، وطلب منه أن يرفعها إلى حكومته، وذلك بمناسبة ذكرى وعد بلفور. وهى أول مكاتبة رسمية بين مكتب الإرشاد والسفارة البريطانية.

ويستهل الإمام الرسالة بتذكير السفير بوقوف العرب بجانب الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى «اعتمادا على شرف بريطانيا الدولى، ورغبة فى تحقيق استقلال العرب وحريتهم التى هى حق طبيعى».

ونقضت انجلترا وعودها للشريف حسين، وكان وعد بلفور المشئوم فى ٢ من نوفمبر ١٩١٧. كما تبنت انجلترا مشروع التقسيم الغاشم، واتجهت إلى مصادرة حريات العرب فى فلسطين، ونفى الزعماء، وإرهاب

(١) مذكرات الدعوة والداعية ٣٠٣-٣٠٤.

الآمنين، والإساءة إلى رجال الدين، والتعرض بالإهدار والنهب لأوقاف المسلمين.

ويحدّد الإمام الشهيد موقف الإخوان من هذه السياسة بأنهم «مضطرون إلى إن يسجلوا احتجاجهم الصارخ على هذه السياسة الجائرة، راجين أن تعدل عنها الحكومة البريطانية، فتطلق سراح المسجونين، وتعيد الزعماء المنفيين، وتؤمن الأبرياء المشردين، وترجع إلى المجلس الإسلامى حقوقه وسلطته، معلنين تضامنهم التام مع إخوانهم عرب فلسطين وجيران بيت المقدس فى مطالبهم العادلة الحقة، وهى وقف الهجرة، والاستقلال التام على أساس اتفاق شريف يضمن حقوق العرب، ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات فى جميع البلدان».

ويأتى ختام الرسالة قويا صاخًا صريحا فى التهديد إذا استمرت انجلترا على هذه السياسة، ففى هذه الحال «لابد من الانفجار يوما للشعور المكبوت، فتخسر انجلترا صداقة العالم الإسلامى إلى الأبد. نرجو أن تدرك الحكومة البريطانية هذه الحقيقة قبل فوات الوقت بالرغم من كل ما يخدعها به اليهود، وننتهز هذه الفرصة لتحيتكم».

* * *

## من أجل فلسطين: الرسالة الرابعة[1]

ويذهب على ماهر باشا رئيس الحكومة المصرية، ومعه عبد الرحمن عزام باشا إلى مؤتمر فلسطين فى لندن فيودعهما الإخوان أحر وداع، وبعد عودتهما استقبلهما وفد كبير من الإخوان استقبالا طيبا.

(١) مذكرات الدعوة والداعية ٣٥٩.

وقررت الحكومة المصرية تقديم معونات مادية لمنكوبى فلسطين، فبعث الإمام البنا برسالة إلى على ماهر باشا يشكره فيها على هذا العمل الإنسانى النبيل. وينبهه إلى أمرين مهمين جدا:

الأول: هوضرورة الإشراف على توزيع هذه الإعانة توزيعا يكفل وصولها إلى المستحقين لها من أبناء المجاهدين.

والثانى: أن المسعى السياسى لحل قضية فلسطين أهم بكثير من هذا المسعى الإنسانى على جلاله ورحمته. ومن ثم كان على رئيس الحكومة المصرية أن يكاشف الساسة البريطانيين بوضوح وجلاء بحقيقة الموقف، وأن يكون حل القضية الفلسطينية معتمدا على القواعد الآتية:

(١) إيقاف الهجرة اليهودية القانونية إيقافا تاما، وأخذ المهربين بأقصى الشدة حتى تظل الغالبية فى فلسطين عربية.

(٢) العفو الشامل عن كل المعتقلين والمبعدين والمجاهدين، والسماح بالعودة للمهاجرين، وفى مقدمتهم المفتى الأكبر محمد أمين الحسينى.

(٣) تعويض المهاجرين وأسر الشهداء عمن فقدوا، وعما لحق بهم من خسائر.

(٤) اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال فلسطين عربية مسلمة، والتعاقد معها تعاقدا شريفا على نحو ما حصل فى مصر والعراق مثلا.

* * *

## من أجل فلسطين: الرسالة الخامسة

## إلى حاخام وكبار الطائفة الإسرائيلية بمصر[1]

تحية طيبة وبعد:

فقد قرأت بجريدة (أخبار اليوم) وجريدة (الزمان) أن الحكومة المصرية قد اتخذت التدابير اللازمة لحماية ممتلكات اليهود ومتاجرهم ومساكنهم... الخ فاحتجت أن أنتهز هذه الفرصة لأقول إن الرابطة الوطنية التى تربط بين المواطنين المصريين جميعا على اختلاف أديانهم فى غنى عن التدبيرات الحكومية والحماية البوليسية، ولكن نحن الآن أمام مؤامرة دولية محكمة الأطراف تغذيها الصهيونية لاقتلاع فلسطين من جسم الأمة العربية، وهى قلبها النابض.

وأمام هذه الفورة الغامرة من الشعور المتحمس فى مصر وغير مصر من بلاد العروبة والإسلام، لانرى بدا من أن نصارح سيادتكم وأبناء الطائفة الإسرائيلية من مواطنينا الأعزاء بأن خير حماية وأفضل وقاية أن تتقدموا سيادتكم ومعكم وجهاء الطائفة فتعلنوا على رءوس الأشهاد مشاركتكم لمواطنيكم من أبناء الأمة المصرية ماديا وأدبيا فى كفاحهم القومى الذى اتخذوه - مسلمين ومسيحيين - لإنقاذ فلسطين، وأن تبرقوا سيادتكم قبل فوات الفرصة لهيئة الأمم المتحدة والوكالة اليهودية ولكل المنظمات والهيئات الدولية والصهيونية التى يهمها الأمر - بهذا المعنى، وبأن

(١) عن كتاب عباس السيسى: فى قافلة الإخوان ١/٢٨٨، ولم يذكر تاريخ الرسالة. ومضمونها ينم على أنها كتبت سنة ١٩٤٧.

المواطنين الإسـرائيليين فى مصـر سيـكونون فى مقـدمة من يحـمل على الكفاح لإنقاذ عروبة فلسطين.

ياصاحب السيادة:

بذلك تكونون قـد أديتم واجبكم القـومى كامـلا، وأزلتم أى ظل من الشك يريد أن يلقـيه المغـرضون حـول موقف المواطنين الإسـرائيليين فى مصر، وواسيتم الأمة كلها والشعـوب الإسلامية فى أعظم محنة تواجهها فى تاريخها الحديث، ولن ينسى لكم الوطن والتاريخ هذا الموقف المجيد.

وتفضلوا بقبول فائق احترامى،

حسن البنا

## إلى على ماهر مع قيام الحرب العالمية الثانية[١]

وفى شعـبان سنة ١٣٥٨ (أكـتوبر ١٩٣٩) بعد إعـلان الحرب العـالمية الثانيـة بأيام وجه الإمام الـبنا رسالة طويلة إلى رئيس الحكومـة على ماهر باشا باسم «الإخوان المسلمين» يوضحـون رأيهم، ويعرضون على الحكومة معاونتهم ومساعدتهم، فـإن كانت الحكومة جادة حقا فى الإصلاح فنحن معـها، وإن سلكت سبل غـيرها، ورضيت من الإصـلاح بالإعلان عنه، وتنسيق المقترحات والآراء فيه، وتأليف اللجان غير الصالحة، وغير العاملة له، فسنظل نحن نعمل فى ميـداننا حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق، وهو خـيـر الفـاتحين، ونكون قـد أعذرنا إلـى الله، وإلى الحكام، وإلى الناس، وخرجنا من وخز الضمير، وتبعة التقصير».

(١) المذكرات ٣٥٠ - ٣٥٨.

ويخشى المرشـد العام أن يتورط على مـاهر فى إقحام أبناء مـصر فى الحرب بجانب بريطانيا اعتمادا على تفسير غالط أو مشبوه لمعاهدة ١٩٣٦، فيـذكّره بـأن «المادة ٧ من هذه المعاهدة تنص على أن مـساعـدات مصـر لانجلترا إنما تكون فى داخل البلاد المصرية، ومحصورة فى حدود معينة».

«والإخوان المسلمون - وهم الذين يرون فى المعاهدة المصرية الانجليزية إحجافا كبيرا بحقوق مصر واستقلالها الكامل - يريدون من حكومة مصر ألا تتـجاوز هذه الحـدود المرسومـة - على ما فـيهـا من إجحـاف - بأية حال».

* * *

وفى هذه الرسالة يحرص الإمام الشهـيد على تنبيه رئيس الدولة - فى إيجاز شديد - إلى عدة أمور هى:

(١) وجـوب انتـهاز مـصـر هذه الظروف الحـرجـة التى تمر بهـا انجلتـرا للاستفادة، وتكسير القيود، وتحقيق الحرية.

(٢) الاستعداد الجاد للدفاع عن الوطن إذا ما اعتدى علينا معتد «والإخوان المسلمون - حينئذ- على استعداد لأن يذودوا عن حياض هذا الوطن بكل ما يملكون من نفس ومال».

(٣) عدم الارتكان والانخـداع بما تقطعه الدول الأوروبية على نفسـها من وعود، فهى «مهما كان لونها - لا عهد لها ولا ذمة، ومهما تظاهرت بالحيـاد والمودة، فإنهـا تخفى غيـر ما تظهر، ولا تتـردد فى تكذيب نفسها إذا وجدت مصلحتها فى هذا التكذيب».

* * *

«والطريق الوحيد للإصلاح أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام فتطبقها تطبيقا سليما، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة، شرقية أو غربية ما لايتنافى مع هذه التعاليم، ويكون فيه الخير للأمة. فالروح التى يجب أن تسود فكرة الإصلاح عندنا هى فكرة الاعتماد على قواعد الإسلام وأصوله وروحه.

أما الرجال الذين يقومون بهذا الإصلاح، ويوكل إليهم أمره فيجب أن يكونوا ممن عرفوا باحترامهم لهذه الفكرة، ولم يجاهروا بما ينافيها على الأقل».

* * *

ويثنى المرشد الإمام - فى رسالته - على رجلين من رجال حكومة على ماهر باشا هما عبد الرحمن عزام الذى اختارته الحكومة لقيادة الجيش المرابط «فهو معروف باحترامه لفكرة العودة إلى تعاليم الإسلام». وعبد المنعم رياض الذى اختارته الحكومة لسكرتارية الشئون الاجتماعية فهو كذلك «معجب بتعاليم دينه، حريص على ألا يعرف عنه الناس ما يتنافى وهذه التعاليم».

* * *

ويتحدث الإمام عن الاخوان واستعدادهم لخدمة الوطن فى شتى المجالات «.. وهم لا يفعلون ذلك بروح الموظف المكلف ولكن بروح المضحى المتفانى فى غايته».

* * *

وفى ختام الرسالة يقدم توجيهات إلى رئيس الوزراء، وقد سماها

«ملاحظات» تواضعا وتأدبا، فقد كان - رحمه الله - يحرص على مراعاة مقام كل من يتحدث إليه ويتعامل معه، وخلاصة هذه التوجيهات:

(١) التسامح التام مع خصومكم السياسيين، وتقدير ملاحظاتهم، والثناء عليهم فى الحسن منها، وتلمس العذر لهم فى الحملات الشديدة، والانتقامات الخاصة، وانتهاز كل فرصة للتفاهم معهم. . .

(٢) دوام الاتصال بالشعب بالزيارات من رفعتكم ومن كبار الحكام فى بساطة وتواضع، وبعد عن كلفة الرسميات، وأبهة المناصب.

(٣) القضاء التام على الرشوة والمحسوبية وداء الوساطة التى تفشت فى كل شىء عند كل الطبقات.

(٤) الاقتصاد التام فى الكماليات، وفى أبهة المناصب، وتعديل المرتبات الضخمة، وإلغاء مظاهر الترف الرسمى فى دواوين الحكومة ومصالحها، وليبدأ بذلك حضرات الوزراء أنفسهم ثم كبار الموظفين من بعدهم.

(٥) العناية بالشئون الاقتصادية، وتوفير المشروعات الإصلاحية.

(٦) التشدد التام فى حقوق الأمة القومية، وعدم اللين فيها، مهما كانت الظروف ضاغطة.

(٧) المحافظة التامة على الشعائر الإسلامية.

(٨) الاهتمام بالقضية الفلسطينية، ودعوة الحليفة (انجلترا) إلى الإفراج عن المعتقلين السياسيين فى فلسطين، والسماح بالعودة للمهاجرين،

والاعتراف لهذا الوطن العربى الباسل الكريم بكامل حقوقه غير منقوصة.

## رسالة إلى الملك فاروق عن الفساد والسقوط(١)

ومن أقوى الرسائل وأبرعها تصويرا للحال الاجتماعية والأخلاقية فى مصر تلك الرسالة الغاضبة الثائرة التى كتبها الإمام البنا للملك فاروق بعد توليه الملك بقرابة ثلاث سنوات ونصها:

ياصاحب الجلالة: حدود الله معطلة لاتقام، وأحكامه مهملة لايعمل بها فى بلد ينص دستوره على أن دينه هو الإسلام.

بؤر الخمور، ودور الفجور، وصالات الرقص، ومظاهر المجون: تغشى الناس فى كل مكان حتى الإذاعة اللاسلكية كثيرا ما تنقل جراثيم هذا الفساد إلى البيوت. أندية السباق والقمار تستنفد الأوقات والأموال، ويعمرها كبار القوم، ويتردد عليها ثراة الأمة، حتى أصبحت أندية الموظفين فى العواصم والحواضر عنوان الفساد، ومتلفة الأخلاق فى البلاد.

كبارالموظفين يضربون للناس أسوأ المثل فى كل تصرفاتهم الشخصية والرسمية، مما أطلق ألسنة الناس بالنقد، وأضعف ثقتهم بالحكام.

الصور السافرة المتبرجة بالزينة التى لاتتفق بحال مع آداب الإسلام،

---

(١) نشرتها مجلة النذير فى ٨ من المحرم ١٣٥٨، ولم يوردها الإمام الشهيد فى مذكراته، وقد نقلتها بنصها من كتاب عبد المتعال الجبرى: لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا ٦٩ - ٧٠ - دار الاعتصام - القاهرة. الطبعة الثانية ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

وما فرضه الله على المرأة من التستر والاحتشام.. تظهر فى كبريات الصحف وصغرياتها، وتصبح ملهاة العيون الحائرة، والقلوب الفاجرة، وتتناول أعرق الأسر، وأكبر البيوت، وأطهر الأعراض.

الحفلات الساهرة، والاجتماعات المتكررة، والمقابلات الكثيرة من رسمية وأهلية تختلط فيها الأجناس، وتشرب بنت الكاس، ويقضى الليل فى مجون وعبث ولهو ورقص.

يا صاحب الجلالة: كل هذا وأمثاله قد حطم عقائد الشعب وثقته بنفسه، وأنساه المثل العليا، وصرفه عن طاعة الله وعمل الخير، وقضى على العقل والصحة والمال والعاطفة، وهدد الأسر الآمنة والبيوت المطمئنة بالخراب العاجل، والتحلل السريع الذريع، والحوادث التى تنشر تباعا فى الجرائد والمجلات ترعب وتخيف، ولابد من أن تمتد اليد الآسية الطبيبة، حتى يطهر هذا المجتمع من الميوعة والطراوة والخنوثة والمجون.

قلها كلمة منفذة، وأصدره أمرا ملكيا ألا يكون فى مصر المسلمة إلا ما يتفق مع الإسلام.

## رسالة وُدٍّ إلى النحاس باشا..[1]

يعرض المرشد الإمام فى رسالته هذه - وقد نشرتها صحيفة المصرى الوفدية فى ٢٣ من مارس سنة ١٩٤٢ - مضمون حديث وجهه النحاس إلى الأمة المصرية، وكان كما وصفه المرشد «رائعا جميلا لأنه تضمن كثيرا

(١) عن كتاب محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ١/٣٩٨ - ٣٩٩. ولم يعرضها الإمام البنا فى مذكراته.

من المبادئ القويمة، والأمانى الطيبة..»

وأهم مضامين ما تحدث به النحاس:

(١) إشادة النحاس بالصراحة والتعاون والإخلاص، ودعوته الأمة إلى مصارحته والتقدم إليه بالنصح.

(٢) دعوة النحاس الأمة إلى التعاون مع الحكومة فى تنفيذ سياسة خارجية حكيمة، وتصميم سياسة داخلية بصيرة.

(٣) حرص الحكومة على تنفيذ معاهدة ١٩٣٦ بإخلاص وحسن نية.

(٤) حرص الحكومة على اتباع سياسة عمرانية عاجلة لخير الطبقات الفقيرة قبل غيرها.

(٥) ضرورة مسايرة التطور الجديد فى حياة العالم والإفادة منه.

(٦) ضرورة التعاون الجاد مع الشعوب الشرقية والعربية لتحقيق الحرية والإخاء والعدل.

وبعد ذلك يثنى الإمام على ما قرأه فى الصحف من:

١ - دعوة النحاس باشا للمديرين والمحافظين أن يكونوا أداة سلام وصلح وتفاهم بين العائلات.

٢ - ودعوته إياهم لتبين مشكلات الأهلين، وإنصاف المظلومين.

٣ - اتجاه وزير الصحة لإلغاء البغاء بتوجيه من النحاس.

ثم يَخْلُص الإمام البنا بعد كل أولئك إلى القول بأن الإخوان المسلمين

«أمام هذه الآمال الصالحة، والأعمال الطيبة النافعة يرون من واجبهم أن يستجيبوا لندائكم، وأن يعلنوا أنهم حريصون كل الحرص على أن يكونوا عونا لكم وللحكومة المصرية فى تحقيق برنامجكم الإصلاحى الذى أعلنتموه مستمسكين دائما بآداب الإسلام العالية، وتعاليمه القويمة، وأخلاقه الفاضلة. والله نسأل أن يهيئنا جميعا لخير هذا الوطن العزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## [٢]

نعنى بالرسائل العامة الموجهة - وقد ذكرنا ذلك من قبل - الرسائل التى وجهها الإمام الشهيد إلى شخصيات عامة كالملوك ورؤساء الحكومات والوزراء فى موضوعات تتعلق بالوطن والأمة العربية والإسلامة، وسياسة الحكومة، وأوضاع المجتمع، وغير ذلك من الموضوعات العامة.

وقد عرفنا من قبل أن توجيه هذا النوع من الرسائل كان وسيلة دعوية من وسائل الإمام البنا. كما عرضنا الرسائل التى وجهها إلى كل من الملك فؤاد ومحمد توفيق نسيم ومصطفى النحاس والأمير عمر طوسون والأنبا يونس وحاخام اليهود بمصر والسفيرالبريطانى وعلى ماهر، والملك فاروق ومصطفى النحاس للمرة الثانية. وها نحن أولاء نكمل مسيرة هذا النوع من الرسائل.

### إلى إسماعيل صدقى: الرسالة الأولى[١]

فى ٢٤ من فبراير سنة ١٩٤٦، قابل وكيل الإخوان رئيس الوزراء إسماعيل صدقى باشا، وبعد أن شرح له شفاهة رأى الإخوان فى الموقف الحاضر - سلمه نيابة عن المرشد العام رسالة استهلها بالعبارات الآتية:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

(١) الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ: محمود عبد الحليم ١/ ٣٧٠ - ٣٧٢.

فقد توليتم دولتكم الحكم والشعب يجتاز أدق مرحلة فى تاريخه، فى الوقت الذى هبت فيه شعوب الأرض جميعا تطالب بحريتها واستقلالها. ولقد دبت اليقظة فى نفوس الأمة المصرية عن بكرة أبيها، وقامت هى الأخرى تطالب بحقوقها المغصوبة، وأجمعت بمختلف طبقاتها وهيئاتها على ضرورة نيل هذه الحقوق مهما كلفها ذلك من مرتخص وغال».

* * *

ويعرِّض الإمام بالحكومة السابقة - حكومة النقراشى الأولى - ويأخذ عليها أنها لم تستغل الشعور القومى الرائع فى مواجهة المستعمرين.

كما يسجل إجرام قوات الاحتلال التى وجهت مدافعها الرشاشة إلى صدور أبناء الأمة فقُتل من قتل، وجرح من جرح، وكل ذنبهم أنهم خرجوا «يظهرون شعورهم فى إجماع رائع» جاء فى شكل مظاهرة ضمت كل طبقات الشعب.

* * *

وتعرض الرسالة بعد ذلك مطالب الإخوان من الحكومة المصرية، وخلاصتها [فيما يختص بالسياسة الخارجية]:

١- التقدم إلى الحكومة البريطانية - على وجه السرعة - بمذكرة صريحة تطلب الحكومة فيها الجلاء التام عن أرض وادى النيل، وتحقيق وحدة الوادى، وحل المشكلات الاقتصادية.

٢- سحب ممثلى مصر فى هيئة الأمم المتحدة، وإحلال غيرهم محلهم ممن يستطيع أن يمثل مصر تمثيلا صحيحا مشرفا.

٣- عرض القضية على مجلس الأمن فى أول انعقاد له إذا لم تستجب انجلترا لطلب الحكومة المصرية فى موعد عاجل محدد.

٤- أن تطلب الحكومة المصرية من الإنجليز اعتذارا رسميا عن سوء تصرف الجنود البريطانيين فى الحوادث الأخيرة، مع دفع تعويضات مناسبة لأهالى القتلى والمصابين.

٥- اعتبار المدن المصرية (القاهرة والأسكندرية وبور سعيد والسويس والإسماعيلية] مناطق حرام على الجنود البريطانيين إلى أن يتم ترحيلهم إلى بلادهم.

٦- أن تطلب الحكومة المصرية عقد مجلس الجامعة العربية بصفة استثنائية لعرض تطورات القضية المصرية عليه، واتخاذ قرار حاسم إجماعى.

* * *

**أما فيما يختص بالموقف الداخلى: فيرى الإخوان:**

١ - الإسراع فى تحديد المسئولية فى الحوادث الدامية الأخيرة.

٢ - الاستغناء عن خدمات موظفى البوليس والجيش المصرى من الإنجليز.

٣ - الإفراج عن جميع المعتقلين الذين زج بهم فى السجون ولا ذنب لهم إلا النداء بمطالبهم، والهتاف لوادى النيل.

٤ - تعويض أهالى الشهداء الذين ذهبوا فداء حرية الوطن واستقلاله.

## وإليه الثانية: إدانة صارخة[1]

ولكن صدقى أبدى من الوهـن والتخاذل ما أبـدى، ولم يَفِ بما قطعه على نفسـه للإخوان وللأمة، فوجـه إليه المرشد الإمام رسالـة صاخَّة فى الثـامن من أكتـوبر سنة ١٩٤٦، أى بعـد قرابة نـصف عام من الرسـالة السابقة، وفى رسـالة أكتوبر إدانات صارخة لحكومة صـدقى بالتفريط فى حقـوق الأمة وممالأة الغاصب بإطالة حـبل المفاوضـات التى «طالت حتى أسأمت وأملت، فـتوقفت، واستؤنفـت ثم انقطعت ووصلت، ثم يتجنى علينا المفاوضون الإنجليز، فهزوا أكتافهم، وجمعوا أوراقهم، وانصرفوا عنا إلى بلادهم هازئين ساخرين..

... ووضح أن المشـروع الإنجليـزى والمشروع المصـرى لا يحـققـان مطالب البـلاد، ولا يزيد كل منهـمـا على أنه تنظـيم مهـذب الحـواشى للحماية والاحتلال..

* * *

وكان المنتـظر من الحكومة أن تصـغى إلى الأصوات القويـة المخلصة، وتحترم إرادة الشعب الذى تدعى أنها تحكم باسمه، وتبادر فتتخذ الخطوات الآتية:

١ - إعلان فشل المفاوضات الحالية، وأنها لن تقبل بعد الآن أن تدخل مع الإنجليز فى مفاوضات أخرى...

٢ - إعلان سقوط معاهدة ١٩٣٦ التى ألغتها الحوادث العالمية، وأقر وزير

---

(١) محمود عبد الحليم: السابق ١/ ٣٧٧ - ٣٧٩.

الخارجية المصرية فى مجلس النواب أنها أصبحت غير ذات موضوع.

٣ - أن تطلب من الإنجليز وغيرهم - فى عزم وإصرار - سحب جميع قواتهم البرية والبحرية والجوية من الوادى كله، وإلا مثل هذا الوجود عدوانا مسلحا علينا، يوجب الرد عليه.

٤ - أن تدعو الحكومة الأمة إلى الجهاد فى سبيل حقوقها، وتنظم معها وسائله وأساليبه...

... ولكن حكومة دولتكم لم تفعل شيئا من هذا، بل أصرت إصرارا عجيبا على موقفها الضعيف المتخاذل.. وأخذت تكبت شعور الهيئات والجماعات والأفراد، وتصادر الحريات، وتمنع الاجتماعات، وتتهيأ لقمع الحركات الشعبية المخلصة بالحديد والنار...

... يسجل المركز العام للإخوان المسلمين على حكومة دولتكم أنكم بإصراركم هذا تفوتون على هذه البلاد أثمن الفرص، وتكونون بذلك قد تضامنتم - بقصد أو بغير قصد - مع الغاصبين فى الاعتداء على استقلال الوطن وحريته، وأن هذه الحكومة لا تمثل رأى البلاد فى شىء، وكل إجراء تتخذه باطل أساسا، وعليكم أن تدعوا أعباء الحكم لمن هو أقدر منكم على سلوك النهج القويم، وإعلان حقوق الوطن كاملة من غير حاجة إلى تصديق الغاصبين، وتنظيم قوى الأمة لتكافح الظالمين المعتدين، وستجاهد الأمة كل معتد على حقوقها من أبنائها أو من الأجانب عنها بكل وسيلة مشروعة حتى تصل إلى ما تريد. وهى واصلة بإذن الله، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## رسالة إلى الملك فاروق[1]..

وفى التاريخ نفسه (٨ من أكتوبر ١٩٤٦) يرفع المرشد العام نيابة عن الإخوان عريضة أو رسالة إلى الملك فاروق تحمل المضمون السابق الذى يصم صدقى وحكومته بالتهاون والتفريط فى حقوق الأمة.

ويتجه الخطاب إلى الملك بتوجيه الحكومة التوجيه الشعبى السليم، أو إعفائها من أعباء الحكم، والجهاد فى سبيل حقوق البلاد لتنهض بذلك حكومة قوية على هذه القواعد السليمة والأسس الصالحة.

ويعتقد الإخوان المسلمون - من كل قلوبهم - أنهم إنما يعبرون بذلك عن شعور أمة وادى النيل جميعا من الشمال إلى الجنوب.. وفقكم الله للخير، وحقق للوادى - فى عهدكم الزاهر - ما يرجوه من صلاح وحرية واستقلال. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## إلى النقراشى من أجل القضية الوطنية[2]

وسقط صدقى وعين الملك فاروق لرياسة الوزراء: محمود فهمى النقراشى المعروف فى حكومته الأولى بضعفه وتخاذله أمام الإنجليز، وحرصا على وحدة الصف أمام المستعمر لم يتصد الإخوان للنقراشى وحكومته بالمقاومة، وأرسل إليه الإمام البنا برسالة طويلة فى ١٩٤٧/١/٥ يمكن تلخيصها فى الخطوط الرئيسية الآتية:

---

(١) محمود عبد الحليم: السابق ١/ ٣٧٦ - ٣٧٧.

(٢) محمود عبد الحليم: السابق ١/ ٣٨٧ - ٣٨٩.

١ - على كل مواطن أن ينكر ذاته، ويخلع ثوبه الحزبى، ويجعل مصلحة الوطن هى شغله الشاغل فى هذا الوقت الحرج.

٢ - كل تصرفات الإنجليز فى لندن وفى السودان وفى كل مكان تدل على أنهم لا يريدون أن يسيروا مع المطالب المصرية خطوة واحدة إلى الحق.

٣ - كل شىء فى الداخل مظهر سافر واضح من مظاهر القلق والألم والأسى والأسف والحزن والضيق، فالمعاهدة معطلة والحريات مكبلة، والرعب يملأ القلوب، والثقة مفقودة بين الحاكم والمحكوم.

٤ - وبناء على هذه الحقائق السافرة يتوجه الخطاب إلى النقراشى بصراحة كاملة بخطوط الحل:

أ - أعلن يا باشا فشل المفاوضات، واقطعها فى عزة وكرامة، وصارح البريطانيين بأنهم أحوج إلى صداقتنا منا إلى صداقتهم، وأننا نعرف الوسائل التى ننال بها حقوقنا كاملة غير منقوصة.

ب - اطلب إلى الإنجليز جلاء قواتهم عن أرض الوادي فورا، لأن وجودهم يعد عدوانا مسلحا على سيادة الوطن، وخروجا على ميثاق هيئة الأمم، وتهديدا للأمن والسلام فى الشرق الأوسط.

جـ - إن لم يفعلوا فتقدم بقضية الوطن إلى مجلس الأمن، وإلى محكمة العدل، وإلى كل مجمع دولى تأنس فيه ميلا إلى الإنصاف ونفورا من الظلم والعدوان.

د - أطلق الحريات ياباشا، ولاتخش شيئا، ولا تَخَفْ على الأمن والنظام.

هـ - ادع الأمة فى وادى النيل إلى أن تكوّن من هيئاتها وجماعاتها وأحزابها ومفكريها جبهة قومية سودانية مصرية واحدة تتعهد الشعور الوطنى وتقف فى وجه العدوان، فتعمل الحكومة بوسيلتها الرسمية، وتعمل تلك الجبهة القومية إلى جانبها بوسائلها الشعبية.

* * *

وكان ختام رسالة الإمام البنا:

«يا دولة الباشا: لقد تقدمت لدولتك بمثل هذه النصيحة منذ عام مضى، وهأنذا أتقدم بها اليوم، وأعتقد أننى بذلك قد أبرأت ذمتى، وأديت أمانتى، والوقت من ذهب، فسر على بركة الله، والله معك، وأقدم، ولا تتردد، فتفلت الفرصة السانحة، وتعود من جديد إلى التجارب القاسية، وتستبين النصح ضحى الغد، حيث لايفيد ولا ينفع. ألا قد بلغت اللهم فاشهد».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## إلى رئيس مجلس الأمن من أجل القضية الوطنية

فى يوليو سنة ١٩٤٧ سافر محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الحكومة المصرية إلى أمريكا ليلقى خطابا فى مجلس الأمن دفاعا عن قضية مصر الوطنية، ولكن مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد بعث - للأسف - ببرقية إلى مجلس الأمن يندد فيها بالنقراشى وحكومته ويتهمه فيها وحكومته بالدكتاتورية وانعدام الديموقراطية، وعدم شرعية هذه الحكومة لأنها لاتمثل الشعب المصرى. وكانت هذه سقطة مخزية للنحاس

لايقره عليها عاقل، لأن النقراشى ذهب مطالبا باستقلال مصر وجلاء القوات لبريطانية عنها. فما كان من الإمام إلا أن أرسل البرقية الآتية:

إلى جناب رئيس مجلس الأمن وسكرتير هيئة الأمم المتحدة:

يستنكر شعب وادى النيل البرقية التى بعث بها إلى المجلس وإلى هيئة الأمم المتحدة رئيس حزب الوفد المصرى، ويراها مناورة حزبيةلا أثر للحرص على الاعتبارات القومية فيها، وسواء كانت حكومة مصر ديموقراطية أو دكتاتورية، فإن الشعب المصرى يعلن على الملأ أمام هيئة الأمم المتحدة أن ذلك أمر يعنيه وحده، وأنه لايسمح لأية دولة أجنبية بالتدخل، فله وحده الحق فى أن يختار نوع الحكم الذى يريده، طبقا لميثاق الأطلنطى ومبادئ هيئة الأمم، وله وحده الحق فى أن يعرض على حكومته ما يريد، وأن يؤاخذها على كل تقصير يراه.

كما يعلن كذلك أن حقوقه الثابتة عن مصر وسودانه، والحرص الكامل على استقلاله أمر لا يقبل جدالا ولا مساومة، وأن الوحدة الدائمة بين شماله وجنوبه حقيقة واقعة وضرورة لا محيص عنها، ولا يحول بينها وبين الظهور على حقيقتها وروعتها إلا هذه الإدارة الثنائية التى فرضتها بريطانيا عليه بالإكراه، والتى طلبت الحكومة المصرية فى عريضة دعواها إلغاءها، وأشارت إلى بطلان المعاهدة التى سجلتها بريطانيا، والتى لم يرض عنها الشعب المصرى، ولم يسلم بها يوما من الأيام.

وأنتهز هذه الفرصة فأؤكد لأعضاء المجلس والهيئة: أن شعب وادى النيل عظيم الأمل فى يقظة الضمير العالمى، وأنه لن يستقر سلام فى

الشــرق، ولن تهدأ ثائرة شــعوب العــروبة وأمم الإسلام حــتى ينال وادى النيل حقه كاملا، وليس إرضاء مجموعة من البشر قوامها أربعمائة مليون بالشىء الذى يستهين به الحريصون على الأمن والسلام[١].

حسن البنا

## إلى النحاس ردا على الحملة الوفدية الضارية..

وعلى مدى عدة أشــهر انطلقت صحيفة «صــوت الأمة» - لسان حال الوفد - فى شن حملة خــبيثة ضارية على الإخــوان. مما دفع المرشد العام فى أحد أيام مــايو سنة ١٩٤٧ إلى كتابة رسالة إلى النحــاس رئيس حزب الوفد سلمــها إليه الأســتاذ عبــده قاسم السكرتير العــام للإخوان فى ذلك الوقت، وننقل بعض ما جاء فيها بالنص[٢].

«إن الوفد يعلن خصومته للإخوان، ويحاربهم بأسلحة وأساليب غريبة عجيبــة لاتتفق مع خلق أو دين أو مصلحة . . . وصحفــه تفيض أنهارها بألفاظ جافية تشمئز لها كل نفس مهذبة».

«إن الوفديين لايزالون يفكرون بعــقلية سنة ١٩٢٠، فيقــولون إن الأمة هى الوفد، والوفد هو الأمة، وإن الشعب قد منحه توكيلا لانقض فيه ولا

---

(١) عن كتــاب عباس الســيسى: فى قافلــة الإخوان المسلمون ١/ ١٧٢-١٧٣. وقــد قامت الإذاعة المصرية بإذاعة هذه البرقية فى كل نشراتها يومين كاملين متتابعين.

(٢) محمود عبد الحليم: السابق ١/ ٤٧٩ - ٤٨٠. ولم ينشرها الأستاذ عبد الحليم كاملة بل مقتطفات منهــا على أهميتها، ولم أعثـر عليها فى المراجع التى بين يدى، وهو خطاب طويل أحدث هزة فى المجتــمع المصرى، قرأته فى حينه، وكنا نردد بعض عــباراته بيننا ونحن تلاميذ بالمرحلة الابتدائية مثل عبارة «طهّر صفوفك ياباشا».

إبرام، ويسقطون من حسابهم ربع قرن من حياة هذا الوطن، تبدلت فيه الأرض غير الأرض، وتغيرت النفوس. . . وانتقل إلى الدار الآخرة أكثر الوكلاء والموكلين على السواء. . وهذا التفكير تخلف عن ركب الحياة. . . وعلى هذا الأساس يحارب الوفد الإخوان، كما يحارب الشبان وكثيرا من الجماعات».

«إن الوفد فى أيامنا الأخيرة قد تخللت صفوفه طوائف وأفواج من ذوى الآراء الخطرة والمبادئ الهدامة الذين لايدينون بغير الشيوعية».

«وهل ترون أن الوفد قد أدى واجبه بهذا الموقف السلبى الذى يقفه فى هذه الساعات العصيبة فى تاريخ الوطن مع أنه كان ولايزال فى وسعه أن يعمل الكثير لو أراد. . .».

## نحو النور

### الرسالة الجامعة.. الواعية[1]

فى رجب من سنة ١٣٦٦هـ بعث الإمام الشهيد حسن البنا بهذه الرسالة إلى الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان، وإلى مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية حينذاك، وإلى ملوك بلدان العالم الإسلامى وأمرائها وحكامها. كما بعث بها كذلك إلى عدد كبير من الشخصيات البارزة فى هذه البلدان، من ذوى المكانة الدينية والدنيوية.

وهذه الرسالة هى أطول رسائل المرشد - رحمه الله - وأوعاها،

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ٦٧ - ٩٤.

وأجمعـها لمبادئ الإخوان والقيم التى يدعـون إليها فى مجالات السـياسة والتربية والحكم والأخلاق.

* * *

ويستهل الإمام الشهـيد الرسالة ببيان الباعث إلى كتابـتها وهو «الرغبة الأكيدة فى توجيه الأمة توجيها صالحا يقيمها على أفضل المسالك، ويرسم لها خـير المناهج، ويقيهـا التزلزل والاضطراب، ويجنبها التـجارب المؤلمة الطويلة».

ويبين عن عظم تبعة الراعى أمام الله وأمام التاريخ، وخصوصا إذا كان يقوم بأمـور الحكم فى عهد من عهـود الانتقال، فعـهد الانتقال يقـتضى تحقيق مهمتين:

الأولى: تخليص الأمة من قيودها السياسية وتحقيق حريتها.

والثانية: بناؤها من جديد لتسلك طريقها بين الأمم، وتنافس غيرها فى درجات الكمال الاجتماعى.

* * *

وتتضافر الأسباب العملية والموضوعـية لتؤكد أفضلية المنهاج الإسلامى على المذاهب والمناهج الأخرى:

(١) فقـد جُرب من قبل واستطاع أن يجـعل الأمة الإسلاميـة أقوى الأمم على الإطلاق.

(٢) وله فى نفوس المسلمين قدسية واستقرار ورسوخ.

(٣) كما أنه لايتعارض مع الوطنية والقومية، بمفهومها الإنسانى الكريم، بل يدعو إليها.

(٤) والأخذ به يقوى الوحدة العربية أولا، ثم الوحدة الإسلامية ثانيا.

(٥) وهو منهاج شامل، لايشوبه النقص فى أى مجال من المجالات السياسية والاجتماعية والخلقية وغيرها.

* * *

وإذا كانت المدنية الغربية قد زهت، وبهرت العالم ردحا من الزمن، فإنها تعيش بعد ذلك دور الإفلاس والانحدار: فأصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات، ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين والجائعين، وأصولها الاجتماعية تقضى عليها المبادئ الشاذة والثورات المندلعة فى كل مكان.

* * *

والإسلام فيه من المبادئ والقواعد - فى كل مجالات الحياة - ما يكفل للأمة قوتها ونهوضها وتقدمها:

(١) فالقرآن ينهى المسلمين عن اليأس ويزرع فى قلوبهم الأمل والثقة بالله وبالنفس.

(٢) ويبعث فى نفس المسلم الشعور بالعزة القومية والوطنية، ويربط هذه العزة بالله بعيدا عن التعصب الأعمى، والفخر الكاذب.

(٣) ويربى المسلمين على القوة الجندية التى تهدف إلى إحقاق الحق وإبطال

الباطل، ويجعل من التخلف عن مواجهة الأعداء جريمة كبرى. وهى قوة لاتعرف العدوان على الآخرين، بل هى محكومة بالقيم الربانية الإنسانية العليا.

(٤) وصحة الأبدان مما دعا إليه الإسلام، فالمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف، وللبدن على الإنسان حق بنص حديث رسول الله - ﷺ -، والنظافة من الإيمان، والاعتدال فى المطعم والمشرب أصل من الأصول الصحية التى دعا إليها الإسلام.

(٥) وطلب العلم فى الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة، ودعوة الإسلام إلى تحصيل العلم لاحدود لها، فهى تصدق على العلوم الدينية والدنيوية، والعلوم الإنسانية والتجريبية.

(٦) ويدعو الإسلام إلى قائمة من القيم لاتستقيم حياة الفرد والأمة إلا بها كالبذل والصبر والاحتمال ومغالبة الشدائد، والحب والإخاء وحسن معاملة الآخرين، وعلى هذه الأخلاق تربت الأمة الإسلامية، وبها حققت انتصاراتها وبقاءها وتقدمها.

(٧) وفى الإسلام أسس اقتصادية رائعة فصل الفقهاء القول فيها فى باب المعاملات.

* * *

والإسلام يصون حقوق الأقليات من أصحاب الديانات والجنسيات الأخرى اعتمادا على قوله تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾ [الممتحنة: ٨].

وينهى الإسلام عن البـغى والعدوان، ويدعو إلى الحفاظ عـلى عهودنا ومواثيقنا مع الشعوب الأخرى، كما نرى فى قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤] ويقول فى إكـرام اللاجئين، وحسن جوار المستجيرين: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦].

* * *

وقد قامت نهضة الغـرب على التخلص من الدين وهدم سلطة البابوية والكهنوت المسيحى، وظن حكام المشرق أن النهضة لاتقوم إلا بسلوك هذا المسلك الغربى. وهذا خطأ فادح:

١ - لأن طبيعة الدين الإسلامى غير طبيعة الأديان الأخرى.

٢ - ولأن رجال الدين الإسـلامى عاشوا وليس لهم من النفـوذ والسيطرة بعض ما كان لرجال الدين المسيحى.

٣ - والإسلام لايعترف بهذا التقسيم الغربى: رجال الدين ورجال الدنيا، فالمسلمون جميعا من أصغرهم إلى أكبرهم رجال دين.

* * *

وبعد ذلك يقـدم الإمام الشهـيد - فى نقاط محـددة منظمة مرقـمة - بعض خطوات الإصلاح العملى:

- فى الناحية السياسية والقضائية والإدارية.

- فى الناحية الاجتماعية والعلمية.

- فى الناحية الاقتصادية.

وهى خطوات تعد بالعشرات فى هذه النواحى ساقها الإمام الشهيد بأسلوب قانونى مباشر مما يصعِّب تلخيصها، لذا نكتفى بإيراد الخطوات التى وردت فى الرسالة للنهوض بالناحية الاقتصادية وهى:

(١) تنظيم الزكاة دخلا ومنصرفا بحسب تعاليم الشريعة السمحة، والاستعانة بها فى المشروعات الخيرية كالملاجئ وتقوية الجيش.

(٢) تحريم الربا، وتنظيم المصارف تنظيما يؤدى إلى هذه الغاية.

(٣) تشجيع المشروعات الاقتصادية والإكثار منها، وتشغيل العاطلين من المواطنين فيها، وتمصير مافى أيدى الأجانب منها.

(٤) حماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة.

(٥) تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم، واستبقاء علاواتهم ومكافآتهم، وتقليل مرتبات الموظفين الكبار.

(٦) حصر الوظائف، وخصوصا الكبيرة منها، والاقتصار على الضرورى، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعا عادلا.

(٧) تشجيع الإرشاد الزراعى والصناعى، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الإنتاجية.

(٨) العناية بشئون العمال الفنية والاجتماعية، ورفع مستواهم فى مختلف النواحى الحيوية.

(٩) استغلال الموارد الطبيعية كالأرض البور والمناجم المهملة، وغيرها.

(١٠) تقديم المشروعات الضرورية على الكماليات فى الإنشاء والتنفيذ.

* * *

وختم الإمام البنا رسالته بالعبارة الآتية:

وبعد فهذه رسالة الإخوان المسلمين، نتقدم بها، وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة إسلامية نحو الرقي والتقدم: نجيب النداء، ونكون الفداء.

ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا، وقلنا كلمتنا. والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم. وحسبنا الله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

## رسالة عتاب شديد لأعضاء مكتب الإرشاد

ويظهر أن الإمام الشهيد قد لاحظ شيئا أو أشياء من الإهمال على بعض أعضاء مكتب الإرشاد. وبدافع من الحرص على تمام العمل الذى رصدوا أنفسهم له من أجل الدعوة إلى الله كتب الإمام المرشد رسالة ذات لهجة شديدة قارعة. ونصها[1]:

---

(١) عن كتاب د. عبد العظيم المطعنى: ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية ٥٧ - ٦٠ (دار الأنصار. القاهرة د.ت). وما بين الأقواس من وضع المؤلف بديلا لكلمات مطموسة فى الأصل. والنقاط الأفقية تعنى الفراغ فى الأصل لانطماس الكلمات.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه.

القاهرة فى السبت الموافق ٢١ من صفر ١٣٥٩هـ (٣١ من مارس ١٩٤٠)

حضرات الإخوان المسلمين أعضاء المكتب بالقاهرة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فمعذرة إذا رأيتم فى خطابى هذا شدة فى اللهجة، أو قسوة فى البيان، فإنما أريد به محض التذكير والتعاون ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

لقد حملتم أيها الإخوان عبئا عظيما ثقيلا كل الثقل (تنوء) بحمله (الجبال)، ولايستطيع النهوض بمطالبه إلا من وطن نفسه على التضحية والثبات والبذل، وتقديم كثير من مصالحه وشئونه الخاصة قربانا لهذه الخدمة العامة.

ولقد اتسع عملكم اتساعا عظيما، وتضاعفت فروعه ونواحيه، وتلك طبيعة العمل الناجح، وكثر - من جهة أخرى - خصومكم والمتربصون به الدوائر. (وانطلقت) حركة الإلحاد والإفساد من عقالها، وأصبح لاينفعنا إلا الجد، وبذل الجهد والصدق والصبر وإلا فنحن فى هذا الجو الموبوء أصبح من[1]....

(١) لعل الصحيح أضيع من الأيتام على موائد اللئام.

ولقد بايعتـمونى على الجد والعمل والبـذل، وتقديم الوقت والمصلحة والمال والروح والدم وكل عزيز، ولقـد كنت جد سعيد ببـيعكم هذا، وأنا عظيم الثقة فى إنتاجكم لو توجهتم للعمل، عظيم الاعتقاد فى أنه لايمنعنا عقبة من النصر فى تكاتفنا.

ولكنى شديد الأسف حين أقول لكم فى هذا الخطاب: إن الهمة كادت تفتر، والعـزيمة كادت تبرد، وكأنكم كـدتم تنسون مايحيط بـنا، وإلا فما هذا الذى أرى؟ لا أكـاد ياحضـرات الإخوان أرى الـكثيـر منكم إلا حين جلسة المكتب.

إننى مطالب بعمل كثير جـدا هو فوق طاقة رجال لا رجل واحد، فأنا مطالب بالتـحـرير (فى الدعـوة) وفى المنـار، مطالب بالمذاكـرة للدروس والمحاضرات، مطالب بالإشراف فى كثير من الأعمال، مطالب بالرد على كثير من الخطابات وهكذا، وأهم من ذلك كله مطالب بالتفكير الدائم فى التوجيه وتصريف ما يـجد علينا من حوادث وأمور لايكاد يخلو منها يوم واحد.

ولقد صـرت أحضر إلى الدار يومـيا تقريـبا بل تحقـيقا منذ التـعديل الجديد رجاء التفاهم مع كثير من حضراتكم فيما أسند إليهم من أمور وهم فى بدء مزاولتها حتى يدرسـوها، ثم أتركهم بعد ذلك، فكان يؤلمنى أشد الألم أن أقضى السـاعات تلو السـاعات ولا أحد مـعى مع الإلحاح الزائد والظروف القاسية التى تقتضينا تنظيم عملنا، والتفكير الدائم منى شفاها، وتحريرا، وإليكم بعض الأمثلة:

الأخ عبد الرحمن أفندى الساعـاتى لابدَّ له من تنظيم مجلات القاهرة حتى يمكن حصر الاشتـراكات، وتنظيم اللحاق ونحو ذلك، وهذا العمل لابد من اشتراكنا فى معظمه، وقد يتعين كثيرا، وإلى الآن لم يتم فى هذا الموضوع شىء.

الأستاذ على نور الدين غـاب أكثر من عشرة أعوام، ولم يعـهد بعمله لأحد.

الدكـتور على... مـطلوب منه تنظيم اسـتمـارة الكشف الصـحى، ومشروع المعلم الجوال... الخ فلم يتم منه شىء.

الدكتـور أبوالنجا مطلوب منه بصـفة خاصـة أن يحضر يوم الخـميس لأمور ثلاثة: مقـابلة طلبة دروس الإسماعـيلية الأهلية... ومقـابلة طلبة الجامعـة لتكوين لجنة التعليم الدينى.. ومقابلة الإخـوان منسوبى الكليات فى الاجتـماع الأسـبوعى فلم يحـضر ... وقبلـى مشروع لجنة التـعليم الدينى، وهو مـا يجب أن أكون عنه بعـيدا مـا دام من اختـصاص أحـد الإخوان وهكذا.

قيل إننا لانـستطيع العمل لـعدم تنظيم الدار، وعدم وجـود المكاتب، فنظمناها، وأحـضرنا المكاتب، وجـهزنـا الغرف، ولكنهـا ظلت مكاتب مهجورة.

هناك أعذار ولا... ولكنا إذا أخذنا بهذه الأعذار فلن نفرغ منها أبدا، وأينا لا عـذر عنده؟!! ولقد كـان كثـير من إخـوانكم يردد هذا الكلام، ولكن أمام الضرورة الملحة لابد من علاج.

* * *

لقد أثقلت عليكم - ولاشك - ولكننى ما ذنبى؟!! أنتم الذين رضيتم لأنفسكم هذا العناء، والناس مستريحون، وعرضتم أنفسكم لخدمة عامة لابد وأن تجنى عليكم، فاقبلوا هذه الحياة، وحسبكم ثواب الله.

والسلام عليكم ورحمة الله(١)

حسن البنا

## آخر الرسائل.. وبَعْدها الشهادة..(٢)

أيها الأخوة الفضلاء: أتقدم إليكم جميعا مهنئا بما كتب الله لكم من توفيق، وما أجراه على أيديكم من خير، وما اختصكم به من ثبات على كلمة الحق مهما تقلبت الأحداث، وطالت الأعوام، كما أتقدم إليكم مذكرا بخصائص دعوتكم بين الدعوات، وعظيم تبعتكم فى هذه الأوقات، فاذكروا أيها الإخوان أنكم الكتيبة المؤمنة التى انتهى إليها فى

(١) وواضح ما فى الرسالة من توجيهات إدارية تنظيمية اعتمدت على الرؤية الميدانية والمعايشة الحقيقية من القائد للمشكلات اليومية. ونؤكد أن الرسالة لم تنشر فى صحف الإخوان لما فيها من عتاب مر مع ذكر أسماء الأشخاص. ولما فيها من كلمات مطموسة.

(٢) لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا: عبد المتعال الجبرى ٢١٣ - ٢١٦. وقد ذكر المؤلف أنه نقلها من مجلة «المباحث» الأسبوعية الصادرة فى يوم ٨ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ الموافق ١٦ من يناير سنة ١٩٥١. وكانت «المباحث» هى الصحيفة الناطقة باسم الإخوان آنذاك ويرأس تحريرها صالح عشماوى - رحمه الله.

وما فى الرسالة من إشارات إلى وضع الإخوان، وما آلت إليه القضية الفلسطينية يقطع بأن الإمام البنا كتبها قبل استشهاده بأشهر أو أيام، وأرجح أن الإخوان لم يتلقوا هذه الرسالة فى حينها، وأنهم لم يطلعوا عليها - فى أرجاء مصر - قبل نشرها فى المباحث.

هذا العصر المادى المظلم بالشـهوات، والأهواء والمطامع واجب الدفاع عن كلمـات الله ورسالاته، والمحـافظة على أحكام شـريعـته وآياته، ودعـوة الإنسانية التائهة فى بيداء الحيرة إلى الصراط المستقيم، فأنتم بذلك تهتفون بأكرم دعوة، وتنادون بأقدس منهاج.

أيهـا الإخوة الفـضـلاء: إن العـالم الآن تتجـاذبه شـيوعـيـة روسيـا وديموقـراطيـة أمـريكا، وهو بينهـمـا مـذبذب حائـر لن يصل عن طريق إحداهما إلى ما يريد من استـقرار وسلام. وفى أيديكم أنتم قارورة الدواء من وحى السماء، فـمن الواجب علينا أن نعلن هذه الحقيـقة فى وضوح، وندعو إلى منهاجنا الإسلامى فى قـوة، ولن يضيرنا أن ليس لنا دولة ولا صولة، فـإن قوة الدعـوات فى ذاتها، ثم فى قلوب المؤمنين بـها، ثم فى حاجة العالم إليها، ثم فى تأييد الله لها متى شاء أن تكون مظهر إرادته، وأثر قدرته.

وإن الأربعمائة مليون مسلم الذين تمتد مواطنهم من المحيط إلى المحيط لن يظلوا أبدا عـبيد الاسـتعمـار الذى ضُرب عليهم فى غـفلة من الزمن وتضـارب المحن، وتطورات الأوضاع العـالمية. وإن كل شـبر أرض فـيه مسلم يقـول لا إله إلا الله محمـد رسول الله هو جـزء عزيز من وطننا: نطلب له الحرية والتخلص من نير الاستعمار الأجنبى الظالم، ونكافح فى سبيل ذلك بكل ما أوتينا من قوة. وإن هذا الوطن - من حدود أندونيسيا شرقـا إلى حدود الدار البـيضاء غـربا - يجب أن ينعم بالحـرية والوحدة والسلام فى ظل الروابط والنظم والأوضـاع التى قررها له القرآن الكريم، وهداه إليها الإسلام دينه وعقيدته ونظامه وشريعته.

ولقـد كان من حـسن حظنا أن نشـهد ذلك العـصـر الذى تقف فيـه اليهودية العالمية متحدية الأمم العربية والإسـلامية، معتدية على مقدساتها بالحديد والنار، وإنا لنقبل هذا التحدى معـتقدين أن الله تبارك وتعالى قد ادخر لنا فضل مقاومة هذا العدوان والقضاء عليه.

أيهـا الإخوة الـفضـلاء: إذا كـان الكثيـر من سـاسة الأمم الـعربيـة والإسلامية، وقادتها من تلاميذ المدرسة الاستعمارية قد أضاع علينا كل ما أتاحته الحـرب الماضية - حرب ٤٨ - من فـرص ومناسبات، لما طبـعتهم عليه عوامل البيئة الاستعـمارية التى عاشوا فى ظلها من فقر فى المواهب، وخوف من الغاصب، وفقدان للثقة بالنفس وبالله وبقوة الشعب، وحرص على الاستفادة والتزيد من الجاه والمال والمنصب، وحقد وحسد، واختلاف وتردد، وإحجـام عن أداء الواجب، وفرار من الجـهاد إلى إعطاء الـدنية، وإيثار أسـاليب الدعة والاسـتسـلام، فإن عليكم أنتم، وقـد استـروحتم نسمـات العزة من الإيمان بالله، واستـمددتم أرفع معانى القـوة من تأييده ونصـره، أن تتـداركوا مـا فـات، وأن تصلحـوا مـا أفـسد البـاشـوات والخواجات، والله معكم، وهو لأعدائـكم بالمرصاد، ومهزوم من يحارب الله، ويغالب القدر، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

إن الله ميـزكم بالانتسـاب إلى الدعوة فـاحرصوا على التـميـز بآدابها وشعائرها بين الناس، وأصلحوا سرائركم، وأحسنوا أعمالكم، واستقيموا على أمر الله، وأمروا بالمعـروف، وانهوا عن المنكر، وتوجهوا بالنصـيحة فى رفق ولين إلى الناس أجمـعين، واستعدوا للبـذل والاحتمال والجـهاد

بالنفس والمال، وأكـثروا من تلاوة القـرآن، وحـافظوا على الصلوات فى الجماعـات واعملوا لوجه الله تعالى مـخلصين له الدين حنفاء، وانتظروا بعد ذلك تأييد الله وتوفيقه ونصره ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج: ٤٠].

إن أخص ما أوصـيكم به بهذه المـناسبة أن يكـون شعارنا النظـافة فى الضمير والتفكير، وفى اللسان، وفى السير، وفى الثوب وفى البدن، وفى المطعم والمشرب، والمظهر والمسكن، والتـعامل والمسلك، والقول والعمل، وإن مما أوصى به الرسول - علـيه الصلاة والسـلام - أمته «تنظفـوا حتى تكونوا كالشامة بين الأمم».

وما أجـملها إشـارة وأرقها عـبارة أن يكون أول فـقهنا فى العـبادات الطهارة، وفى الحـديث الصحيح «مفـتاح الجنة الصلاة، ومفـتاح الصلاة الطهور» وصدق الله العظيم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

# الرسائل البرقيات

وفى معجم رسـائل الإمام البنا - رحمه الله - برقيـات، تتناول قضايا ومسـائل داخلية وخارجـية، وكلها تدور فى الفلك الذى تدور فـيه طوال الرسائل لأنهـا تنطلق من نفس المعين النقى الطاهر، وعليهـا طوابع القائد المسلم الغيور على الإسلام والأمة والوطن والقيم العليا.

## برقية إلى سكرتير نادى الضباط[1]

حضرة المحترم سكرتير نادى الضـابط بالزمالك بالقاهرة: أشكر لسعادة الفريق إبراهيم عطا الله باشـا، وحضرات أعضاء النادي دعـوتهم الموجهة لحضور الاحتفال بمناسبـة تولى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم سلطته الدستورية. وأعتذر عن عدم الحضور، وكنت أتمنى أن يكون هذا الاحتفال بعرض عسكرى قوى يليق بحزم الضـباط، وشجاعة الجنود، ويتناسب مع جلال الذكرى الـعظيمة، ويبعث فى النفـوس معانى الحمـاسة والإقدام، لابحفل غناء ساهر.

---

(١) ومناسبة هذه الرسالة أن ضباط الجيش وجهوا الدعوة إلى عظماء الدولة ورجال السلك الدبلوماسى لحضور الحفلة الغنائية الساهرة التى يقـيمها رئيس هيئة أركان حرب الجيش وضبـاط نادى القوات المسلحـة بمناسبـة تولى الملك فاروق سـلطته الدستـورية وذلك بثكنات القلعة، وقد دعى المرشد العام لهذه الحفلة، فاعـتذر عن عدم الحضور بالبرقية السابقة، وواضح ما فـيها من نقد مرّ لأسلوب هؤلاء العساكـر فى الاحتفال بمثل هذه المناسبات. وللأسف مازال هذا الأسلوب قائما حتى الآن.

والله أسأل أن يغير ما بأنفسنا لتصلح أحوالنا، وأن يجعل عهد جلالة الملك - حفظه الله - عهد سعادة وإقبال، وحرية واستقلال. آمين[1].

## برقية إلى البابا يوساب الثانى

وأرسل الأنبا يوساب الثانى - بابا وبطريرك الكرازة المرقسية - إلى المرشد العام للإخوان بطاقة كريمة يقدم فيها تهنئة بعيد الأضحى مع أطيب التمنيات (ذو الحجة ١٣٦٦ - أكتوبر ١٩٤٧).

فرد عليه الإمام البنا بالبرقية التالية:

حضرة صاحب الغبطة الأنبا يوساب الثانى- بابا وبطريرك الكنيسة المرقسية: أشكر لغبطتكم باسمى واسم الإخوان تهنئتكم الرقيقة، وتمنياتكم الطيبة بمناسبة عيد الأضحى المبارك، وكل عام وغبطتكم والمواطنون الأعزاء بكل خير[2].

## برقية إلى الرئيس الباكستانى

ويعلن عن قيام دولة باكستان المسلمة فيرسل الإمام الشهيد فى ١٥ من أغسطس ١٩٤٧ البرقية التالية:

السيد محمد على جناح - كراتشى - الهند

فى هذا اليوم الخالد الذى تحقق فيه قيام دولة الباكستان الإسلامية برئاستكم الرشيدة يسرنى أن أبعث إليكم بأصدق التهانى وأطيب

(١) عباس السيسى: فى قافلة الإخوان المسلمون ١/١٧٦ - ١٧٧.

(٢) السيسى: السابق ١/ ١٨٥ . ورسالة الأنبا يوساب ورد المرشد عليها ينمان على التسامح الدينى، والعلاقة الطيبة بين الإخوان والاقباط.

التمنيات، معبرا فى ذلك عن شعور أبناء وادى النيل عامة، والإخوان المسلمين خاصة[١].

## برقية إلى سلطان مراكش

وقبل ذلك - وعلى التحديد فى ٢٢ من أكتوبر ١٩٤٦ أرسل المرشد العام رسالة إلى سلطان مراكش، ورسالة بنفس الصيغة إلى رئيس الحكومة الفرنسية باسم الإخوان المسلمين، يقول فيها:

... رجاء أن تأمروا بالإفراج عن المجاهد الكبير الأمير عبد الكريم الخطابى، حيث أن الحكومة الفرنسية قد أفرجت عن كل المعتقلين فى المغرب، وأظهرت استعدادها لاتخاذ سياسة التفاهم والتقرب من البلاد العربية. ولا شك أن الإفراج عن هذا الزعيم الكبير لما يعزز هذه السياسة ويقدم عربونا على صدقها، ويرضى شعور العالم العربى والإسلامى، ولنا كبير الأمل أن تستجيبوا لرجائنا[٢].

* * *

وهذه البرقيات تدور فى فلك الرسائل العشرين التى عرضناها فيما سبق، وتبين عن تفاعل الإمام الشهيد والإخوان مع الوطن الإسلامى وقضاياه، والحرص على التسامح الدينى والغيرة على الإسلام وقيم الرجولة والخلق الرفيع.

وفى الصفحات التالية نقف وقفة نقدية تقيمية لنتبين ما تتسم به هذه الرسائل من ملامح فى أبعادها الموضوعية والفكرية والفنية والأسلوبية.

(١) السيسى: السابق ١/ ١٧٧.

(٢) السيسى: السابق ١/ ١٢٥.

## [٣]

# تقسيم الرسائل

الرسائل العشرون التى كتبها الإمام الشهيد حسن البنا[١]، ووجهها إلى شخصـيات عامة فى أمور تتعلق بـالدين والأمة والوطن، هذه الرسائل - خلوصا إلى تحـديد أبعادها وملامحـها وطوابعهـا الفكرية والفنية - يمكن التعامل معها فى واحد من التقسيمات الآتية:

**أولا: تقسيمها على أساس المرسَل إليه** (أى شخصية المستقبِل) إلى:

(١) رسائل إلى الملوك بأسـمائهم: رسالة إلى الملك فـؤاد، ورسالتين إلى الملك فاروق.

(٢) رسائل إلى الملوك والأمـراء والكبار بصفـاتهم: (وإن سُلِّمت إلى كل منهم): رسالة نحو النور.

(٣) رسائـل إلى رؤساء الحكومـات: رسالة إلى مـحمـد توفيق نسـيم - وثلاث رسـائل إلى مصطـفى النحاس، ورسـالتين إلى على مـاهر، ورسـالتين إلى إسـماعـيل صـدقى، ورسالة إلـى محـمـود فهـمى النقراشى.

---

(١) لم ندخل البرقيات فى هذا الإحصاء؛ وأدخلنا فـيه رسالته إلى مكتب الإرشاد ورسالته إلى الإخوان وهى آخر الرسائل كما ذكرنا.

(٤) رسائل إلى شخصيات أخرى: رسالة إلى الأمير عمر طوسون - ورسالة إلى الأنبا يونس، ورسالة إلى السفير البريطانى ورسالة إلى مكتب الإرشاد، ورسالة إلى الإخوان بصفتهم، ورسالة إلى حاخام اليهود بمصر، ورسالة إلى رئيس مجلس الأمن وسكرتير هيئة الأمم.

**ثانيا: تقسيمها على أساس الموضوع والمضامين:**

(١) رسائل من أجل العقيدة والقيم الدينية: إلى كل من: الملك فؤاد ومحمد نسيم والنحاس (الرسالة الأولى) والملك فاروق (الرسالة الأولى).

(٢) رسائل من أجل القضية الفلسطينية: إلى كل من: عمر طوسون، والأنبا يونس، والسفير البريطانى، وعلى ماهر (الرسالة الأولى)، وحاخام الطائفة اليهودية فى مصر.

(٣) رسائل الدعوة الإسلامية الشاملة: نحو النور.

(٤) رسائل الدفاع عن الجماعة: إلى النحاس فى الرسالة الثالثة.

(٥) الرسالة التى وجهها إلى أعضاء مكتب الإرشاد من أجل النهوض الإدارى والوظيفى، والرسالة التى وجهها إلى الإخوان فى شكل وصية.

(٦) رسائل الدعوة إلى الإصلاح الخارجى والداخلى: إلى كل من: على ماهر (الرسالة الثانية) ومصطفى النحاس (الأولى والثانية) وإسماعيل صدقى (رسالتين) وإلى فاروق (رسالتين)ومحمود فهمى النقراشى، ويلحق بها ما تعلق بالقضية الوطنية كالرسالة الموجهة إلى رئيس مجلس الأمن.

**ثالثا: تقسيمها على أساس زمنى:** وذلك بترتيب هذه الرسائل اعتمادا على تاريخ إرسالها، ابتداء بأقدمها، وانتهاء بأحدثها، ولو على وجه التقريب، وهو التقسيم الذى اتبعناه فى عرض هذه الرسائل بصورة تقريبية، وإلى حد كبير.

ومن محاسن هذا النهج الأخير أنه يُبين بطريقة طبيعية - وفى مصداقية - عن طبيعة امتداد الخط العَقَدِى والفكرى للإمام البنا فى مساره التصعيدى، ومدى الالتزام - نظريا وسلوكيا - بالثوابت، وتطوير المتغيرات، ومدى ناشطية التفاعل مع الأحداث تأثرا وتأثيرا فى واقع المواضعات والمستجدات المحلية والعالمية فى المسيرة الذاتية المطردة المتصاعدة.

ومن محاسن هذا النهج كذلك أنه يسهّل للدارس الوصول إلى ما يحرص عليه من استخلاصات، وموازنات بين المواقف خلوصا إلى الأحكام العادلة، حيث يكون للموقف فى وقت معين - ارتباطا بالأحداث، وقرائن الأحوال المصاحبة - وجاهتُه وقيمتُه وفاعليته، بينما يفقد مثل هذا الموقف هذه السمات - بل قد ينتقل إلى خانة النقيض - فى وقت مغاير، وظروف مختلفة.

وليس معنى ذلك أن التقسيمات الأخرى - التى يعتمد عليها كل منها على أساس غير الأساس الزمنى - تخلو من المزايا. بل قد يكون لها من المحاسن - أو لبعضها على الأقل - ما يفوق ما للتقسيم الزمنى، ولكن المسألة تتوقف على طبيعة الدراسة، والزاوية التى ينظر منها الدارس، مما يحتاج إلى شرح طويل يضيق عنه مقامنا هذا.

### قدرة التمثيل..

والوقفة الموضوعيـة مع هذه الرسائل تقودنا إلى إقامة «فرض» لا يخلو من طرافة، وخلاصة هذا الفرض أن تكون هذه الرسائل العشرون هى كل التراث الفكرى الذى خلفـه الإمام البنا والمدرسة الإخوانيـة، وبمواكبة هذا الفرض، وبعد معايشتى لهذه الرسائل مـعايشة عقلية محايدة، خرجت - دون تعسف أو تعمّل - بعدد من الحقائق الموضوعية تتلخص فيما يأتى:

١- أن هذه الرسائل تمثل - فى إيجاز ووضوح بصورة مباشرة وصورة غير مباشرة - أهم تضاريس المدرسة الإخوانية ومبادئها وطوابعها السياسية والاجتماعية والأخلاقية، ومنهجها الإصلاحى فى المجالات المتعددة.

### الطابع الشمولى..

٢- أنها تمتد - كما رأينا - فتعالج كل القضايا والمسائل الإسلامية والعربية والوطنية والحزبية.. مسائل الداخل والخارج، مما يقطع برحابة المنهج ومـرونته ووعـيه ومـصداقـيتـه، وحرص أصـحابه على الإصـلاح الحقيقى.

### بين نفعية الارتماء وطهارة الانتماء..

٣- وهذه الرسائل تنقض تهمة حاول بعضهم إلصاقها بالإخوان ومرشدهم وهى تقلُّبُ سياستهم وعلائقهم برؤساء الحكومات ووزرائها بحيث لا يحكمها إلا النفـعية الحزبية، فهم مـرة يؤيدون الوفديين، ثم ينقلبون على الوفد، ويؤيدون الأحرار الدستوريين، أو السعديين... إلخ.

وهو كـلام أُلقِـى على عـواهنه، ويتـــمـتع بحظ وافٍ من الـضـعف والهـشاشـة، وذلك لاعتـماده على تـصورات غـالطة، ويرجع غلط هذه التصورات إلى الأسباب الآتية:

أ- قصور مفهوم أصحابه لطبيعة السياسة، وخلطهم فى المجال الحزبى بين الثـوابت والمتـغيـرات، وخلطهم كـذلك بين الارتماء الاسـتسـلامى، والانتماء النقى الطاهر الذى يعنى الإخلاص والشعور القوى بالارتباط بالحزب أو الجـماعة دون تـفكيك الشخصـية وذوبانهـا فى «شخصـية الجماعة».

وهؤلاء تضـيق آفـــاقــهم ونظراتهم: فـالحـســن - بإطلاق - هو مـا استحسنوه، أما ما لم يستجيدوه فهو السيىء الضالع فى القبح والسوء.

ب- أنهم نظروا إلي مواقف الإخوان من الحكومات والأحـزاب، وقيموها على أساس الظاهر، أو الناتج الآنىّ القـائم، ولم يبحث هؤلاء - عن عمد أو غفلة- عما وراء هذه المواقف الإخـوانية - المتقلبة أو المتناقضة فى نظرهم - من دوافع وحيثيـات تتلخص فى أن الإخوان فى قبولهم وتأييـدهم، أو رفـضهـم وإنكارهم وحـمْلِهم على أية حكومـة، إنما يُصْـدِرون فى كل هـذه المواقف عن إيمانهم الراسخ بقـــضـايا الوطن والعروبة والإسلام.

وقد حَسَـمتْ هذه الرسائل الحكم فيما حـمل على الإخوان بأنه تقلب بل تناقض فى المواقف يقطع بتنـاقض فكرى وعقدى، بـأن رصدت لكل موقف مـن الأسباب والتـعليلات الحـقيـقيـة، ما يجعل الـرأى المعروض

مستساغًا غيـر منكور. ويطرد هذا النهج فى كل الرسائل. واكتفى بشاهد واحد:

تولى إسماعـيل صدقى رئاسة الوزارة فى ١٨/ ٢/ ١٩٤٦ «وقـد تعهد صدقـى للإخوان بالمطالبـة الجادة القـوية بحقـوق البلاد، أو التـخلى عن الحكم إذا تعسرت الأمور»(١).

وغض الإخوان نظرهم عن ماضى صدقى الضليع فى الدكتاتورية طمعًا فى أن يفتح فى حياته صفحة جديدة، وتأييدًا لهذه الوزارة، وتثبيتًا لمركزها أمام الإنجليز اشترك الإخوان فى مظاهرات ضخمة فى ٢١/ ٢/ ١٩٤٦(٢).

وبعد ذلك بثلاثة أيام سلم مندوب الإخوان لصدقى رسالة المرشد التى عرضناها من قبل، يحدد فيها مطالب الأمة والإخوان. فلما حنث صدقى بما وعد كـانت رسالة المرشد الثـانية إلى فى ٨ من أكـتوبر ١٩٤٦. وهى رسالة شديدة اللهجة تتهم صدقى بالظلم والبطش، والتضامن مع الإنجليز ضد الشعب، وتطالبه بالاستقالة الفورية.

ورفع المرشد فى التاريخ نفسه رسـالة إلى الملك فاروق يطلب منه فيها إقـالة صـدقى. وعـجز صـدقى عن الصـمـود، وقـدم استـقـالتـه فى ٩/ ١٢/ ١٩٤٦. وبهذا المنطق - منطق اتخـاذ الموقف الملائم المبرر - أخذ الإخوان أنفسهم فى مواقفهم من وزارات على ماهر، ووزارات النقراشى، ووزارات مصطفى النحاس. فلا تناقض إذن، ولكنه الاتساق مع متطلبات

(١) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ ١/ ٣٦٩.

(٢) محمود عبد الحليم: السابق ١/ ٣٧٠.

العقيـدة والعروبة والوطن، بحيث يكون الثبـات على موقف واحد - مع تغير الظروف والأحوال - هو عين التحجر والجمود.

## منطق التدرج

٤- إنها تسلك منهـج التدرج فى معـالجة المسائل والمشكلات من البـسيط الفردى إلى الجماعى المعقد الرحيب، ومن الوطنى الخاص إلى العربى والإسـلامى الشامل العـام. وهو مسلـك يتفق مع منطق الدعـوات والحركات الإصلاحية الواعية، حـتى كانت أشمل الرسائل وأجمعها وأوعـاها - وهى رسالة نحـو النور - الموجـهة إلي ملوك العـرب، ورؤساء حكومـاتهم، وكبار شخـصياتهم من أواخر الرسـائل، وقبل استشهاد الإمام البنا بعامين أو ثلاثة.

ومضامين هذه الرسـالة الجامعة جاءت قـبل ذلك بسنوات وفى فترات مختـلفة موزعة شرائـح شرائح فى الرسائل السابقـة، ومن ثم لا يستطيع أحد أن يدعى أن الإمـام البنا قد فـاجأ شخـصيات الكبـار، وأبناء الوطن والأمة العربيـة بجديد لم يسمعـوا به، فما جاء فى هذه الرسالة الجـامعة الواعيـة لا يعدو كونه تفـصيلاً للثـوابت التى تمثل نخاع دعـوة الإخوان، وتكرر دورانهـا والإلحـاح عليـهـا فى خطب الإمـام وكـتـبـه ورسـائله الدعوية[1].

---

(١) ويقع فى الخطأ من يحاول أن يقسم مسيرة هذا التدرج الطبيعى إلى مراحل أيديولوجية =

٥- ومن شعارات الإخوان المعروفة «الجـهاد سبيلنا» و«الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا»، ومع ذلك نجد فى هذه الرسائل مكانًـا فسيحًا للدعوة إلى الســلام، والمعايشة الـسلمية، والأخـذ بالحل السيـاسى الكريم: فنجد الإمـام الشهـيد - بعـد أن قدمت حكومـة على ماهر مـعونة لضحايا انتفاضة ١٩٣٦ - يخاطبه فى رسالته إليه بقوله «.. والمسعى السياسى لحل قـضية فلسطين أهم بكثيـر من هذا المسعى الإنسانى -

= منفصلة، كما فعل بعض من كتب عن دعوة الإخوان مثل «رفـيق حبيب» فقد قسم مسيرة دعوة الإخوان إلى ثلاث مراحل هى:

١- المرحلة الأخلاقية: وتمثل جذور الحركة.

٢- المرحلة الاجتماعية: وتتضمن بداية التأثير الفعلى على المجتمع العام.

٣- المرحلة السياسـية: وفيها حـاولت الجماعة المشـاركة فى الحكم بعد مشاركـتها فى التوجيه الأخلاقى والنشاط الاجتماعى.

انظر د. رفيق حبيب: الاحتجاج الدينى والصراع الطبقى فى مصر ١٠٢ - ١٠٤. دار سينا للنشر. القاهرة. ط١ ١٩٨٩.

وتاريخ الجماعة ينقض هذا التقسيم الحاد، وكـذلك رسائل الإمام الشهيد، فالإسلام - فى نظر الجماعة - فيه من الشمولية ما يتسع للقيم الإخـلاقية والاجتماعية والسياسية. وكان اخـتلاف اهتـمامات الجـماعة فى نـطاق هذه النوعيات اخـتلافًـا فى الدرجة لا اختلافًا فى نوعية الموقف، وخصوصًا أنها قيم متلبسة متصاهرة. وإن هيمن عليها كلها الطابع الأخلاقى الربانى. وحق لروبير جاكسون أن يقـول عن الإمام الشهيد وكان يريد أن يكذب قول تاليران: «إن اللغة لا تستخدم إلا لإخفـاء آرائنا الحقيقية» فقد كان ينكر أن يضلل السيـاسى سامعيه أو أتبـاعه أو أمته، وكـان يعمل على أن يسمو بالجـماهير ورجل الشـارع فوق خـداع السـياسـة وتضليل رجال الأحـزاب (حـسن البنا: الرجل القرآنى. ص١٢).

على جلاله ورحمته - ولعل الظروف الحالية هى أنسب الظروف لإعادة النظر فى هذه القضية».

ويذكر القواعد التى يجب أن يقوم عليها الحل السلمى، وأهمها «اعتراف الحكومة البريطانية - صاحبة الانتداب على فلسطين - باستقلال فلسطين عربية مسلمة، والتعاقد معها تعاقدًا شريفًا على نحو ما حدث فى مصر والعراق مثلاً»(١).

وفى رسالته للسفير البريطانى فى ٢ من نوفمبر ١٩٣٧ يستهجن سياسة بريطانيا العدوانية فى فلسطين، ويدعوه إلى مطالبة حكومته «بوقف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، وتحقيق الاستقلال التام على أساس اتفاق شريف

---

(١) الإمام البنا: مذكرات الدعوة والداعية ٣٦١.

وكان اليهود حتى عام ١٩٤٨ عندما أعلنوا قيام إسرائيل يمثلون قرابة ٣٠٪ من عدد السكان. وكانوا قبل الهجرات المتوالية إلى فلسطين أقل من ذلك بكثير، فلغة الأرقام تقول: فى عام ١٩١٤ كان مجموع سكان فلسطين ٦٨٩ ألفا بينهم ٨٤ ألف يهودى (أى أقلية نسبتها إلى عدد السكان ١٢٪). وفى عام ١٩٢٥ بلغ مجموع سكان فلسطين ٧٦٢ ألفا منهم ١٥٧ ألف يهودى (أى بنسبة ٢١٪) وفى نهاية عام ١٩٣١ بلغ مجموع اليهود ١٧٥ ألف يهودى. وتدفقت الهجرات حتى ارتفعت نسبة اليهود إلى ٣٣٪ سنة ١٩٤٨. (راجع تفصيلات مطولة لهذه الإحصائيات، وتطور الهجرات اليهودية Zion-ism and Arabism P.76 In Palestine and Israel P. 76. Elie Kedourie and Sylvia G Haim London 1982.

وكذلك

The Palestine Diary P:82 (Volume Two) Robert John - Sami Hadawi. (1945 - 1948).

يضمن حقوق العرب، ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات فى جميع البلدان»[1].

وتطرد هذه الرؤية أيضًا ليدخل فى نطاقها حل القضية المصرية بجلاء القوات البريطانية، واعتراف انجلترا باستقلال مصر والسودان.

أما إذا أخفق الحل السلمى الذى يتمثل - بصفة أساسية - فى جلاء الإنجليز جلاء تامًا عن أرض وادى النيل، مع الاعتراف الحاسم باستقلال مصر والسودان كما ذكرنا، فليس هناك - كما يقول الإمام الشهيد - مخاطبًا فى رسالته إسماعيل صدقى - «إلا أن تدعو الأمة إلى الجهاد فى سبيل حقوقها، وتنظم معها وسائله وأساليبه، كما تفعل كل أمة ترجو الحياة العزيزة، وتؤثر الموت الكريم فى ظل الاستشهاد على الاستكانة والذل والاستعباد»[2].

## رُؤَى مُستقبليَّة..

٦- وتنطق هذه الرسائل برؤى مستقبلية بصيرة، فكأنما كان الإمام البنا ينظر إلى المستقبل من ستر رقيق، وكأنه المعنى بقول الشاعر:

الألْمعىُّ الذى يظنّ بك الظنَّ    كأنْ قدْ رأى وقد سَمِعَا

ويطول بنا المسار جدًا لو رحنا نتتبع مظاهر هذه الرؤى المستقبلية التى

---

(١) السابق ٣٠٤.

(٢) من رسالة الإمام الشهيد لصدقى فى ٨ من أكتوبر ١٩٤٦: انظر: محمود عبد الحليم الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ ١/٣٧٨.

أثبت حاضرنا صحتها ومصداقية تقديرها، لذا سنجتزئ ببعض الأمثلة فمنها:

أ- تصويره خطر المبشرين ، وعدوانهم على العقيدة وبلاد المسلمين، وتحذيره الأمة من امتداد نشاطهم، وتفاقم أمرهم مما يؤدى إلى نتائج مُدمِّرة للدين والمسلمين والخلق[1] وها نحن أولاء نعيش هذا الواقع المر فى حالة أشد وأنكى.

## سياسة الغرب

ب- ومن رسالته - فى أكتوبر ١٩٣٩ بُعَيْد إعلان الحرب العالمية الثانية - إلى على ماهر رئيس الحكومة المصرية:

«وإن الدولة الأوروبية - يا رفعة الرئيس - مهما كان لونها لا عهد لها ولا ذمة، ومهما تظاهرت بالحياد والمودة فإنها تخفى غير ما تظهر، ولا تتردد فى تكذيب نفسها إذا وجدت مصلحتها فى هذا التكذيب»[2].

أليست هذه هى الحال التى نرى عليها الآن: الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، وبنت السفاح: إسرائيل؟ ويستكمل الإمام الشهيد نظرته الباكرة

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية ١٩٦ - ٢٠٤، وهى تعرض جهود الإخوان لتحطيم هذه الموجة التبشيرية العارمة، وقد حقق الإخوان فى هذا المجال نجاحًا فائقًا.
وفى الصلة الوثيقة بين التبشير والاستعمار راجع ١١٣ - ١٢٧ من كتاب «التبشير والاستعمار فى البلاد العربية» لمصطفى الخالدى وعمر فروخ (المكتبة العصرية - صيدا - بيروت: ١٩٩٥).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية ٣٥٢.

الواعـية بقـوله: «فـمن واجبنا ألا نـنخدع بحـيـاد محـايد، بل لابد من الاستعداد التام بكل معانيه، وبكل سرعة وهمة، حتى نواجه الخطر ونحن على تمام الأهبة، فلنقف موقف الحياد، ونعمل جاهدين للاستعداد»[1].

## الأخلاق وهوية الأمة..

جـ - وفى رسالته إلى الملك فاروق سنة ١٣٥٨ يربط الإمام البنا بين ضياع الهوية الإسلامية للشعب، وفقـده ثقته بنفسه، وتهديد الأسر الآمنة والبيوت المطمئنة بالخراب العاجل، والتحلل السريع الذريع.. يربط الإمام البنا بين هذه النتـيجة البشـعة، وبين مظاهر الفساد والـفجور والمجون وانحراف الصحف والإذاعة...[2].

سبحـان الله!! لقد كُتبتْ هذه الرسالة من سـتين عامًا.. أليس هذا هو مـا نعيـشه الآن فى عـصر البث المبـاشر والمحطات الفـضائيـة والأطبـاق المستـقبلـة (الدش). ترى لو أن دول الشرق سـارت فى

(١) السابق: نفس الصفحة.

ترى لو أن السادات لم يستسلـم لوعود «كارتر» وتأكيده ضمان الولايات المتـحدة تنفيذ اتفاقية السلام فى «كامب ديفيد» وجعل الأمة على استعداد دائم لكل طارىء مباغت..
ترى لو فعل السادات ذلك هل كانت الحال تهـبط وتتردى إلى ما نحن فيه الآن؟ وتظل يد إسرائيل تضرب وتعربد كمـا تفعل الآن؟ ألا ما أصدق قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]..

(٢) انظر نص الرسالة ٦٩ - ٧٠ من كـتاب «لماذا اغتـيل الإمام الشهـيد حسن البنا» لعـبد المتعال الجبرى.

طريق العلم والتقنية الحديثة بخطى ثابتة، وربطتْ مسيرتها بقيمنا الدينية والأخلاقية، أما كنّا نستطيع أن نزاحم الغرب برصيد علمى ذى قيمة فى هذا المجال؟ رصيد يقينا مفاسد الغرب، وتسلطاته وسقوطاته؟

د- ويشير الإمام البنا إلى بعض الأمراض الإدارية فى المصالح الحكومية، ومنها الرشوة والوساطة والمحسوبية، ويدعو إلى القضاء عليها، ولا من يجيب، وما زالت هذه الأمراض - هى هى - ضاربة بجذورها، وبصورة أبشع وأشد - فى مصالحنا الحكومية، ومازالت هى سر التخلف الإدارى والوظيفى، وعدم الاستقرار الاجتماعى فى شرقنا العربى.

## جبهات للتصدى..

هـ- وكم نحن فى أشد الحاجة حاليًا - لمواجهة الإجرام الصهيونى والصلف الإسرائيلى، والتآمر الأمريكى - إلى وحدة الصف العربى ابتداء بتوحيد أبناء كل شعب فى جبهة شعبية واحدة، بلا أثواب حزبية، أما الحكومة فتسلك سبيلها الرسمى. وكان صاحب هذه الدعوة هو الإمام الشهيد من نصف قرن مضى. ففى رسالته التى وجهها فى ١٥/١/١٩٤٧ إلى محمود فهمى النقراشى الذى يتولى رياسة الحكومة للمرة الثانية «ادْعُ الأمة فى وادى النيل إلى أن تكوِّن من هيئاتها وجماعاتها وأحزابها ومفكريها جبهة قومية سودانية

مصـرية واحدة تتـعهد الشـعور الوطنى، وتقف فى وجـه العدوان، فتعمل الحكومة بوسـيلتها الرسمية، وتعمل تلك الجبـهة القومية إلى جانبها بوسائلها الشعبية»[1].

وما زال الباب مفتـوحًا لتأخذ الشعوب العربية والإسلاميـة نفسها بهذه النصيـحة التى مضى عليـها نصف قرن، فـهى - ولا شك، لو خلصت النوايا، وقويت العزائم - تمثل طريقًا من الطرق الموصلة للنصر.

### الوسطية العادلة..

و- ومن الأفكار الباكرة التى نجد أنفسنا حاليًا فى أشد الاحتياج إلى الأخذ بها لمواجـهة الجـامدين الغـلاة الذين يُكفِّرون كل مَن أخـذ مِن جديد الغربـيين بطرف، ما كـتبه فى رسـالته الموجـهة إلى على مـاهر سنة ١٩٣٩.

«والطريق الوحيد للإصلاح أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام، فتطبقها تطبيقًا سليمًا، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة.. شرقية أو غربية ما لا يتنافى مع هذه التعاليم، ويكون فيه الخير للأمة»[2].

إنه حد الوسط الذى يعبر عن الروح الحقيقية للإسلام، ولكننا نواجه - فى وقتنا الحاضر - فئتين من الناس:

١- غلاة يرفضون كل ما هو غربى، ولو كان نافعًا.

---

(١) محمود عبد الحليم: مرجع سبق ١/ ٣٨٩.
(٢) مذكرات الدعوة والداعية ٣٥٣.

٢- غلاة يدعون إلى الأخذ بكل غربى، ولو كان ضاراً.

وما أشد احتياجنا فى حياتنا الحاضرة المنكوبة المنكسرة إلى الأخذ بما دعا إليه الإمام البنا - من نصف قرن، والسير فى هذا «**الطريق الوحيد للإصلاح**». وصدق رسول الله - ﷺ - إذ قال: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها».

## فلسطين فى محاور الرسائل..

وفى سياق التقييم الموضوعى لهذه الرسائل رأينا أنها تدور حول محاور ثلاثة هى:

١- محور وطنى مصرى.

٢- محور عربى.

٣- محور إسلامى.

وهو تقسيم يعتمد - كما يقول المناطقة - على الغالب لا المطلق، كما أنه تقسيم صناعى أكثر منه طبيعيًا، فالرسالة الواحدة قد تدور حول محورين أو ثلاثة كتلك الرسالة الجامعة التى وجهها المرشد إلى على ماهر رئيس الحكومة المصرية فى شعبان ١٣٥٨ - أكتوبر ١٩٣٩[1].

وتفصيل القول فى كل محور من هذه المحاور لا يتسع له المقام ونكتفى بوقفة - لا تطول - مع فلسطين وقضيتها ومكانها فى هذه الرسائل.

(١) انظر السابق ٣٥٠ - ٣٥٨.

وحظها من جهود الإخوان العملية:

لقد رأينا أن فلسطين ظفرت من هذه الرسائل العشرين بخمس رسائل، وهى الرسائل التى وجهت إلى الأمير عمر طوسون والأنبايونس بطريرك الأقباط الأرثوذكس بمصر، والسفير البريطانى بالقاهرة وعلى ماهر رئيس الوزراء وإلى حاخام الطائفة اليهودية بمصر.

وكوّن الإخوان لجنة لإغاثة المنكوبين من أبناء فلسطين، والوقوف بجانب المجاهدين، وانتشر خطباؤهم فى المساجد والمجامع يدعون لنصرة فلسطين العربية المسلمة.

وكان الإخوان فى مؤتمراتهم يتخذون القرارات العملية لمناصرة فلسطين، وتعضيد كل من يناصر القضية، ويجاهد فى سبيلها، ومن ذلك - على سبيل التمثيل - القرار الرابع الذى اتخذه الإخوان فى المؤتمر الخامس فى ١٣ من ذى الحجة سنة ١٩٣٧ ونصه:

«تحية المفتى الأكبر والمجاهدين الكرام فى فلسطين المباركة وأعضاء اللجنة العربية العليا، وفضلاء أعضاء الوفود الإسلامية الأمجاد بمؤتمر لندن، مع إرسال برقية لسماحة المفتى بمقره بلبنان، ولسمو رئيس وفد مصر بلندن بالمؤتمر، ولوزير خارجية انجلترا بتأييد المطالب العربية بمناسبة انعقاد المؤتمر الخامس للإخوان المسلمين»[١].

هذا، فى الوقت الذى انحصرت فيه توجُّهات الأحزاب المصرية فى

---

(١) السابق ٣٢٢.

نطاق العمل الوطنى، بل إهدار الطاقة فى الخلاف والتطاحن، وهذا يذكرنا بما خاطب به أحمد شوقى هذه الأحزاب:

إلام الخُلْف بينكمُ إلامَ     وهذى الضجةُ الكبرى عَلاما؟

وفيم يكيدُ بعضكمُ لبعض     وتُبدُونَ العداوةَ والخصاما؟

وأين الفوز؟ لا مصرُ استقرتْ     على حال، ولا السودان داما؟

وأين ذهبتمُ بالحقِّ لما..     ركبتمْ فى قضيته الظلاما؟[1]

## شهادة مصطفى صادق الرافعى..

وكان لجهود شباب الإخوان أثر طيب جدًا فى نفوس كثير من المفكرين العدول والساسة المنصفين وبعض مشاهير الأدباء، ومن هؤلاء كاتب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعى الذى صور موقفًا من مواقف هؤلاء الشباب من أجل فلسطين فى مقال طويل نقتطف منه بعض أجزائه:

«... ولما قُضيتْ الصلاة (صلاة الجمعة) هاج الناس إذ انبعث فيهم جماعة من الشبان يصيحون بهم، يستوقفونهم ليخطبوهم، ثم قام أحدهم فخطب فذكر فلسطين، وما نزل بها، وتغير أحوال أهلها، ونكبتهم وجهادهم، واختلال أمرهم، ثم استنجد واستعان، ودعا الموسر والمخف إلى البذل والتبرع، وإقراض الله تعالى، وتقدم أصحابه بصناديق مختومة، فطافوا بها على الناس يجمعون فيها القليل والأقل من دراهم هى فى هذه

(١) مطلع قصيدة نظمها أحمد شوقى فى الذكرى السابعة عشرة لوفاة مصطفى كامل. الموسوعة الشوقية ٥/ ١٠٥ (دار الكتاب العربى - بيروت ط١ ٤١٥ - ١٩٩٤).

الحال دراهم أصحابها وضمائرهم.

قال الشيخ: لم يخف علينا مكانك، وقد بذلتم ما استطعتم، فبارك الله فيك وفى أصحابك.

وقد جاء فى الأثر فى وصف هذه الأمة إنها فى أول الزمان يتعلم صغارها من كبارها، فإذا كان آخر الزمان تعلم كبارهم من صغارهم.

وتأويله أن آخر الزمان سيكون لهذه الأمة زمن جهاد واقتحام وعزيمة، ومغالبة على استقلال الحياة، فلا يصلح لوقاية الأمة إلا شبابها المتعلم القوى الجرىء.

ووقعت الصيحة فى المكان، فجاء أحد الخطباء، ووقف يفعل ما يفعله الرعد: لا يكرر إلا زمجرة واحدة، وجلس بين أيديهم متأدبًا متخشعًا، ووضع الصندوق المختوم، فقال أحد الشيوخ: ممن أنت يا بنى، قال: من جماعة الإخوان المسلمين»[1].

* * *

ولم يقف جهد الإخوان عند الخطب والدعاية والتعبئة المعنوية وجمع التبرعات من أجل فلسطين. ولما صدر قرار التقسيم قامت مظاهرة مصر الكبرى تشجب قرار التقسيم فى ١٥/ ١٢/ ١٩٤٧، وأعلن الإخوان فى المؤتمر الذى أعقبها عن تبرعهم بدماء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد فى

(١) من مقال (قصة الأيدى المتوضئة) - وحى القلم للرافعى ٢/ ٢٦٤ - ٢٧١ (المكتبة التاريخية - القاهرة (د.ت)).

سـبيـل فلسطين. وترجم الوعـد إلى عـمل، ودخلت كتـائب الإخـوان فلسطين، وحققوا من البطولات ما يـعجز عنه الوصف، ثم كانت المؤامرة الخسـيسـة بقبول العـرب الهدنة الأولى فى ١١ يونـيو ١٩٤٨. وذلك فى الوقت الذى كان المجـاهدون يعدون العدة للوثوب على القـدس الجديدة، وكانوا فى انتصار سـاحق، وكان اليهود فى هزائم متلاحقة. وكـان نتيجة هذا الوهن المخزى من الحكومة ما هو معروف لنا جميعًا من ضياع الأرض والشرف، ومـا نراه الآن من توسـعات إسرائيل، وتـضخم قوتـها إلى أن أصبحت حاليًا أقوى وأضرى قوة ضاربة فى الشرق الأوسط[1].

---

(١) فـريد عبـد الخالـق: الإخوان المسلمـون فى مـيزان الحق ٤٨ - ٤٩، وراجع كـذلك الصـفحـات من ٤٧ - ٦٠ (دار الصحـوة - القـاهرة ١٩٨٧ - ١٤٠٨) وعن جهـاد الإخـوان وتضحـياتهم فـى فلسطين ارجع إلي كتـاب «الإخـوان المسلمون فى حـرب فلسطين» لكامل الشريف.

وقد شهد ببطولاتهم قادة الجيش المصرى مثل أحمد المواوى، وفؤاد صادق، وقائد فيلق الفالوجا: السيد طه، الملقب بالضبع الأسود. ويقول أبو الحسن الندوى بعد لقاء له مع الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين فى القاهرة يوم الاثنين ١٤/ ٥/ ١٩٥١ «.. وقد أثنى المفتى على الشهـيد حسن البنا - رحمه الله - وأثنى عـلى الإخوان المسلمين المجاهدين فى فلسطين وأثنى على رجولتهم، وقوة إيمانهم وحمـاستهم، وقال: كان الواحد منهم يقابل عشرات من اليهود».

أبو الحسن الندوى: مذكرات سائح فى الشرق العربى ١٨٣ (مؤسسة الرسالة - بيروت. ط٣ ١٣٩٨ - ١٧٨).

ومن صفحات الإخوان الزاهية التى تسجل مواقفهم من القضية الفلسطينية والشخصيات الفلسطينية ما فعلوه من أجل الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الذى كان لاجئًا سياسيًا بعد الحرب الـعالمية الثانيـة فى فرنسا محـدد الإقامة فى إحدى القرى المجـاورة لباريس وخشى الإخوان أن يسلمه الفـرنسيون للإنجليز الذين كانوا يطالبون بتـسليمه لينفذوا =

فى مقام التقييم الموضـوعى لرسائل الإمام البنا التى وجهها إلى الملوك والوزراء، وبعض الشخـصيات العـامة عرضنا فى الصـفحات السابقـة ما اتسمت به هذه الرسائل مـن صدق تمثيلها لفكر الإمام الشـهيد، وخطوط دعوته، وكذلك طابعها الشمولى الذى اتسع لكل القضايا الشاغلة آنذاك، وكـذلك خطها التـدرجى فى التناول والعـلاج، وما تمتـعت به من رؤى

= عليه حكم الإعـدام الذى أصدروه من قبل عليه، فـاتصل الإخوان بسكرتيره الخاص في القاهرة (الأستاذ على رشـدى)، وطالبوه بعرض تخوفهم هذا على سماحتـه وباستعداد الإخوان لاستقباله ضيفًا عليهم معززًا مكرمًا، فوافق وطلب أن يكون حضوره إلى مصر فى تكتم شديد، وكـذلك إقامتـه، وإعلامه بمحل إقـامته، ورسمًـا دقيقًـا للبيت الذى سينزل فيه، وكـان الرد أن إقامته ستكون بقرية آل أبو رقيق بـالبحيرة، ولكن طرأ على فكر الإخوان فى آخر لحـظة أن لو يعرض الأمر على الملك فاروق، فقـد يقبل أن يمنح سماحـته حق اللجوء السياسى لما كـان بينه وبين فرنسا من خلاف، ولحـاجته فى ذلك الوقت إلى الظهور بالمظهر الوطـنى والغيرة الإسلامية، وفى هذه الحـالة ستكون وسائل الراحة متوفرة لسماحته على الوجه الأكمل، وقد كان، وقبل الملك فاروق منح سماحته حق اللجوء السياسى مع إنزاله ضيفًا عليه.

من تعليقات الأستاذ صالح أبو رقيق على كـتاب «الإخوان المسلمون» للدكتور ريتشارد ب. متشيل. ترجمة محمود أبو السعود. هامش ص١٤٣ط١ ١٣٩٩ - ١٩٧٩. القاهرة.

كمـا عاون الإخوان المسلمـون المجاهد الكبـير الشهـيد عبـد القادر الحسـينى فى شراء الأسلحة من بدو الصـحراء الغربية، وكم كان يطاردهم البـوليس المصرى بعنف. ولم يوقف هذه المطاردة إلا تدخل المرحوم عبد الرحـمن عزام باشا لدى السلطات المصرية. (السابق هامش ١٥١- ١٥٢).

مستقبلية فى مجالات السياسة والمجتمع والتربية والسلم والحرب. وقد أثبتت الأيام ألمعية الإمام البنا، ودقة تقديراته، وقوة فراسته الإيمانية.

وفى هذه الصفحات نحاول أن نستخلص ما فى هذه الرسائل من ملامح فنية وشعورية وتعبيرية.

## أدب الحديث

عُرف حسن البنا - رحمه الله - بأدبه الجمّ، وعفة لسانه وبعده عن فحش القول، وذلك اقتداء برسول الله ﷺ الذى أدبه ربه، فأحسن تأديبه، ووصفه بأنه على خلق عظيم. كما وصفه ابن أبى هالة بقوله: «كان دائم البِشْر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظّ، ولا غليظ، ولا صخَّاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح»[1].

فلا عجب أن يلتزم الإمام أدب الحديث فى رسائله، ويرعى مقام من أرسل إليهم هذه الرسائل، مستخدمًا الألقاب الخاصة بكل شخصية:

* فهو يخاطب الملك فؤاد بـ «صاحب الجلالة الملكية، حامى حمى الدين، مليك مصر المفدًّى..».

* ويخاطب «على ماهر» بـ «صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا، رئيس مجلس الوزراء..».

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض ٢٤٦/١ (مؤسسة علوم القرآن الكريم - دمشق د.ت).

* ويخاطب مصطفى النحاس رئيس الحكومة بقوله: «وبعد: فَدولْتكم أكبر زعيم شرقى عَرَفَ الجميعُ فيه سلامة الدين، وصدق اليقين...».

* ويخاطب الأنبايونس بطريرك الأقباط الأرثوذكس بمصر بـ «صاحب الغبطة... ما نعهده فى غبطتكم من أسمى عواطف الرحمة النبيلة، والبر بالإنسانية المعذبة...».

## فى صحبة صراحة ناطقة

ولكن هذا الأدب الجم فى مخاطبة الملوك والرؤساء والقادة لم يكن من قبيل المداهنة والنفاق، إذ لم يكن وراءه طلب انتفاع شخصى، ونشدان مصلحة ذاتية، إنما كان الباعث الوحيد مصلحة الدين والعروبة والوطن. وقد كانت هذه هى سنة رسول الله ﷺ فى حفظه مقام من يخاطبه أو يراسله[1].

وهذا الأدب الجم لم يكن على حساب الصراحة، والكشف عن الحقيقة، والتوجيه إلى ما يجب أن يكون، وأحيل القارىء على الرسالة

---

(١) وعلى سبيل التمثيل نراه - فى ديباجة كتابه إلى أمراء حضرموت يقول: «إلى الأقيال العباهلة، والأرْواع المشابيب...» الشفا ١/٥٩.

والأقيال: جمع قيْل، وهو الملك أو الوزير الحميرى. والعباهلة: الثابتون: جمع عَبهْل. والأرواع: جمع أرْوَع، وهو الرائع الذى يعجب الآخرين. والمشابيب: السادة، جمع مشبوب.

والنبى ﷺ يخاطبهم هنا بلسانهم، وقد يصعب فهمه على غيرهم (انظر لجابر قميحة: أدب الرسائل فى صدر الإسلام ١٣٢ - ١٣٥).

الأولى الموجهة إلى مصطفى النحاس، ورسالتيه إلى الملك فاروق. ورسالته الثانية إلى إسماعيل صدقى(١).

## تيَّار الشعور(٢)

أغلب هذه الرسائل - كما رأينا - يرتبط بموضوعات ذات علاقة قوية بالدين والمجتمع، والقضايا العربية والمصرية. ومن ناحية أخرى يرتبط أغلبها بمناسبات تاريخية محددة كواقعة، أو وقائع تشغل شريحة زمانية معينة، وإن استطاع الإمام البنا أن يخرج «بالعلاج الخاص» إلي حدود أوسع حتى يصبح العلاج علاجًا «نوعيًا» فى أقطار النفس والمجتمع والسياسة.

وهذه المقولة تقودنا إلى حقيقة مؤكدة، وهى أن وراء هذه الرسائل نوعين من الدوافع:

---

(١) وردتْ هذه الرسائل على الترتيب الآتى للمراجع: مذكرات الدعوة والداعية ٢٩٢ - ٢٩٤. لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا لعبد المتعال الجبرى ٦٩ - ٧٠. محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون ٣٧٦/١ - ٣٧٧: المرجع نفسه ٣٧٧ - ٣٧٩.

(٢) يفرق علماء النفس بين العاطفة والانفعال والشعور تفريقًا لا يخلو من حدة وافتعال عند بعضهم، وكذا بعض النقاد. (انظر فى ذلك: معجم مصطلحات الأدب لمجدى وهبة: الصفحات ٤١، ٨٧، ٥٠٣، ٥١١، ٥١٢. وكذلك المعجم المفصل فى الأدب لمحمد التونجى. ص٥١٢، ٥٧١ من الجزء الثانى (دار الكتب العلمية. بيروت ط١ ١٤١٣-١٩٩٣) وإن كان ثمة إجماع عند الأدباء والنقاد على أن العاطفة فى الأدب هى الدافع المباشر إلى القول وروحه، وهى عنصر أسلوبى يحس دون أن يشرح، أو يعرض عرضًا مباشرًا صريحًا. (أحمد الشايب: الأسلوب ٥٢ ط٨ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٨).

**النوع الأول:** دوافع عقلية متزنة، اعتـمدت على دراسة الواقع، وما فيه من استقامـة أو سقوط وانحراف، فهى دراسة تقوم على اسـتقراء الحسى المشهـود، ومقارنته بالمطلوب المنـشود، وهذا «المطلوب» - مهمـا قيل فى مثاليـته - لا يخرج عن «دائرة الممكن»،فهـو - وما دار فى فلكه - ثابت الوقوع فى عهد النبوة والخلافة الراشدة.

**والنوع الثانى:** دوافع نفسـية عـاطفيـة يمكن إجمـالها فى الغيـرة على الإسلام والقيم والوطن والأرض العربية والإسلامية، والخوف من انحراف الأمة، وخصوصًا شبابها، والغضب لانـتهاك حقوقها. وكلها عواطف لا يتخلـى عنها شعـور التفـاؤل والتفتـح والطموح إلى تحقـيق أمل يداعب النفوس والقلوب والعقول.

هذا هو الخط الشعورى الذى يسـرى فى أعطاف هذه الرسائل، ولكن هذا الخط - فى رسمه البيـانى - لا يأخذ اتجاهًا مستقـيمًا دائمًا، بل نراه يتمتع بحظ من الارتفـاع والانخفاض الانفعالى بنسب مـختلفة، وهو فى كل الحالات محـكوم بقاعدة المصداقـية مع مقتضـى الحال، بلا إفراط أو تفريط[1].

## العقل والفكر أولاً..

ففى مـجال عـرض المبادىء والقـضايا، وشـرح المفاهيم، وتشـخيص

(١) يقصـد بمقتـضى الحال أو «الاعتـبار المناسب»: الصـورة المخصـوصة التى يكون عليـها الأسلوب بعناصره المختلفـة تبعًا للموقف والموضوع. (راجع فى ذلك: معـجم البلاغة العربية. للدكتور بدوى طبانة - ١٨٢، ٣٩٧، ٥٤٨. ط٣ ١٩٨٨ - دار المنارة - جدة ١٤٠٨ - ١٩٨٨).

الأدواء، وتقديم العـلاج والحلول من نافذة الإسلام، كمـا نرى فى رسالة «نحو النور» الموجهة إلى الملوك والرؤساء وذوى المكانات تدعوهم إلى أخذ نفوسهـم وشعوبهم بالقيم والأخـلاقيات الإسلاميـة، وتحكيم الإسلام فى كل مـجالات الحـيـاة، نعيـش مع أسلوب تغلب عليـه طوابع الأسلوب العلمى بما فيه من مباشرية ووضوح وتقسيم وتصنيف، وترقيم، واستخدام المصطلحـات العلمية والشـرعيـة والسياسـية بلا إسـراف، فى هذا المجال تتنحى العاطفة من السياق ليهيمن الطابع العقلانى معتمدًا على ركيزتين:

**الركيزة الأولى**: الاستـقراء النصِّى: وذلـك بحشد الـنصوص القـرآنية والأحاديث النبوية لتدعيم المقولات والأحكام التى يسوقها الكاتب.

**والركيزة الـثانية**: الاستـقراء التـاريخى للوقـائع والأحداث السـياسـية والاجتماعية، والسنن الكونية، واسـتخلاص النتائج والدروس والعبر منها دون تعسف أو افتعال.

فالإقـناع هنا هو المطلب الأساسى فى مـثل هذه الرسالـة، ومخاطـبة العقل هنا أجدى من مـخاطبة العاطفة، ويرجع ذلك إلى طبيـعة الموضوع من ناحية، وطبـيعة المخاطبين به - من ناحيـة أخرى، فهم فى بسطة من العقل والثقافة والحنكة والدربة والمكانة الاجتماعـية والسياسية، فلا عجب إذن أن يأتى توهج العقل والفكر أقوى من حرارة العاطفة والشعور.

وهذا الطابع واضح فى رسالة نحو النور - كما ذكرنا - ورسالة المرشد إلى الملك فؤاد لصد تيار التبشيـر، ورسالته إلى رئيس الوزراء محمد نسيم

ووزير أشغـاله من أجل بناء مسجد البـرلمان، ورسالته إلى عمـر طوسون والأنبايونس من أجل فلسطين، ورسالـته إلى على ماهر فى كيفيـة توجيه المعونة للمحتاجين، ورسالته إليه عند قيام الحرب العالمية الثانية.

## بصمات الرضاء والأسى والغضب..

وقد يسرى فى أعطاف بعض الرسائل شعور بالتقدير والتوقير والتبجيل والتعظيم ينعكس فى عـبارات من الثناء والتقريظ، مع تبـرير هذا الشعور وتقديم مسوغاته، كما نرى فى بعض عبارات الرسائل الموجهة إلى كل من الأمير عمـر طوسون، والأنبايونس لحرصهما علـى العمل الإنسانى المقدم إلى ضحايا العدوان الأجنبى من الأحـباش، ومصطفى النحاس حين أشاد النحاس بالصراحة والتعاون والإخـلاص، ودعوته الأمة إلى التعاون الجاد الصادق مع الحكومة.

وقد تتداعى المشـاعر فترد معللة بلا تناقض: ففى مـقام الثناء والإشادة بجهود الأنبـايونس وعمله الإنسانى وشعوره الأبوى تفـيض رسالة الإمام بالأسى والنقمـة على الصهـاينة الذين صبوا عـدوانهم على أهل فلسطين «فخربَتْ ديارُهم، وعطَّلتْ مصالحهم، وقضِى على مواردِ رزقهم» ويحاول اليهود بعملهم هذا أن يستولوا على بيت المقدس، وعلى غيره من الأماكن المقدسة التى أجـمع المسلمون والمسيحـيون على تقديسهـا وإكبارها والذود عنها.

وفى بعض الرسائل تعلو نبرة الغضب فتكتسى ثوب التهديد، كما نرى فى رسالة المرشد الشهيد إلى السفـير البريطانى فى ٢ من نوفمبر ١٩٣٧،

فيقول: إن الإخـوان «مُضْطَرون إلى أن يسجلوا احتجـاجهم الصارخ على هذه السياسة الجائرة. .» وتبلغ هذه النبـرة القوية أعلى درجاتها حين يقول الإمـام ضـمن خـتام الرسـالة «. . لابد مـن الانفجـار يومًـا للشـعـور المكبوت. .».

وتتوهج عـاطفة الغـضب ممزوجة بالحـزن والأسى فى رسالة التـصوير المأساوى الواقعى لمجتـمعنا، تلك الرسالة التى وجهها الإمـام الشهيد إلى الملك فاروق، وقد انعكست هذه المـشاعر فى جمل قصيـرة حادة، جاءت كأنها أحكام إدانة حـاسمة للحكام والمسئولين الكبار عن المجـتمع المصرى «حدود الله مـعطلة. . أحكامه مـهملة. . بُؤر الخـمور، ودور الفـجور، وصالات الرقص، ومظاهر المجون تغشى كلَّ مكان».

ثم تنتهى الرسالة بهذا الأمر القارع الصاخّ «قُلْها كلمةً مُنَفَّذة، وأصدرْهُ أمرًا ملكيًا ألا يكون فى مصر المسلمة إلا ما يتفقُ مع الإسلام».

* * *

وفى فلك هذا الشعـور تدور الرسالة الثانيـة الموجهة إلى صـدقى باشا رئيس الحكومة فى ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ بعـد أن غدر بالشعب، ومالأ المستعمر، ولم يَفِ بما وعد.

ويتضح هذا الشعور الدافق الغاضب فى مثل العبارات الآتية:

«. . . ولكنَّ حكومـة دولتكم أصرَّتْ إصـرارًا عجيـبًا على مـوقفـها الضعيف المتخـاذل، وأخذت تكبت شعور الهيئات والجـماعات والأفراد، وتصادر الحريات. . .».

«.. قد تَضَامَنْتمُ - بقـصد أو بغير قصد - مع الغـاصبين فى الاعتداء على استقلال الوطن وحريته...».

«.. وعليكم أن تدعـوا أعبـاء الحكم لمنْ هو أقـدرُ منكم على سلوك النهج القويم..».

## عاطفة الأبوة فى الوصية الأخيرة..

وكان آخـر ما كتب الإمام الشـهيد - بإطلاق، أو على الأقل آخـر ما كتب من الرسائل - رسالته التى وجهها إلى الإخوان جميعًا - بصفتهم لا بأسـمائهم - وهى رسـالة تتدفق بشـعور الأب الذى ابتـعد عن الدنـيا، واقترب من الرفيـق الأعلى، فعانقته أيام الاحتضـار أو ساعاته، ولكن لم تأخذه سكرة أو ذهول، بل غمرته موجـات من الإيمان والثقة والطمأنينة، ففاضت مشاعر الأبوة الحانية التى تجيش فى نفسه بالتعبير عن حبه وتقديره لهم، وثقته فى عزيمتهم وقُدرتهم، فهو لا يحدثهم - وهم جميعًا أبناؤه - إلا بالإخْوة الفضلاء:

«أيها الإخوة الفضلاء: أتقدم إليكم جمـيعًا مهنئًا بما كتب الله لكم من توفيق، وما أجْـراه الله على أيديكم من خير، وما اخـتصكم به من ثبات على كلمة الحق..»

«... فاذكـروا أيها الإخوان أنكم الكتيـبة المؤمنة التى انتهى إليـها فى هذا العصـر المادى المظلم بالشهوات والأهـواء والمطامع واجبُ الدفاع عن كلمات الله ورسالاته...».

إنها وصية مودِّع لذا جاءت زاخرة بأنبل التوجيهات:

«. . . فإن عليكم أنتم. . . أن تتداركوا ما فات، وأن تصلحوا ما أفسد الباشوات والخواجات. . ومهزوم من يحارب الله ويغالب القدر. . ».

«. . أصلحوا سرائركم . . أحسنوا أعمالكم . . استقيموا على أمر الله . . . استعدوا للبذل والاحتمال والجهاد بالنفس والمال. . . اعملوا لوجه الله مخلصين له الدين. . . ».

ويختم وصيته بأن يجعل الإخوان شعارهم النظافة: «النظافة فى الضمير والتفكير، وفى اللسان، وفى السير، وفى الثوب، وفى البدن، وفى المطعم والمشرب، والمظهر والمسكن، والتعامل والمسلك، والقول والعمل» وإن مما أوصى به الرسول عليه الصلاة والسلام أمته «تنظفوا حتى تكونوا كالشامة بين الأمم».

## بين العقل والعاطفة..

ونخلص مما عرضنا من مشاعر الإمام فى رسائله حتى وهى فى حالة التوهج:

١- أنها لم يكن وراءها - رضاءً وغضبًا - مثيرٌ شخصى أو مصلحة خاصة، بل كان الرضا والغضب والحب والبغض لله والأمة والوطن ومصلحة الدعوة.

٢- أنها - فى أية حال من الحالات - لم تدفع الإمام البنا إلى قول الفحش والبذاء، فتعفف لسانه عن مجاراة أعدائه وأعداء دعوته فى

طريقتهم الفاحشة فى حملاتهم، وخصوصًا صحيفة (صوت الأمة) لسان حال الوفد.

٣- أنها لم تُفقد الإمام أثارة من وقاره العقلى، وقدرته على مناقشة الأمور، وإقناع الآخرين. فكثيرًا ما كان يخاطب فى الآخرين عقولهم وعواطفهم حرصًا على الإقناع والاستمالة، وكثيرًا ما يتلبس الفكر بالعاطفة، فيأتى الكلام مخاطبًا العقل والشعور فى آن واحد، ويتحقق الهدف من الرسالة إذا تنوعت العبارات ما بين خبر وإنشاء وحقيقة ومجاز، وهذا الامتزاج يخفف - ولاشك - من جفاف الحقائق المسوقة، كما يجعل الشعور أكثر انضباطًا، كما ترى فى العبارة التالية من رسالة الإمام البنا إلى النحاس باشا بعد أن أبدى إعجابه المفرط - فى تصريح له - بمصطفى كمال أتاتورك:

«. . . ولقد أخذ الكثيرون ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون: هل يُفهم من هذا أن دولة النحاس باشا - وهو الزعيم المسلم الرشيد - يوافق على أن يكون لأمته - بعد الانتهاء من القضية السياسية - برنامج كالبرنامج الكمالى يتولى كل الأوضاع فيها، ويفصلها عن الشرق والشرقيين، ويسقط من يدها لواء الزعامة؟

وإنا نعيذ دولة الرئيس من هذا المقصد الذى نعتقد أنه أبعد الناس عنه».

## القدرة التصويرية..

هذا النوع من الرسائل العامة الموجهة وما يشبهها تجنح إلى استخدام الأسلوب المباشر فى عرض القضايا وتشخيص الأدواء، وتقديم الحلول،

ومن ثم يقل فى هذه الرسائل الجانب التصويرى الخيالى. بيد أن توهج الشعور الدينى والوطنى كان يملى على الإمام - فى بعض جوانب الرسالة - ألوانًا من البيان والتصوير الجزئى من تشبيه واستعارة وكناية، وتوظيف ألفاظ آسرة قوية الإيحاء. كما نرى فى الفقرة التالية من رسالته إلى رئيس الحكومة مصطفى النحاس الذى صرح بإعجابه المفرط بمصطفى كمال أتاتورك:

«. . . يا دولة الرئيس: مصر الحديثة المجيدة تجتاز دورًا من أخطر الأدوار على حياتها المستقبلة، إنها تجتاز دور الانتقال، والأهواء والفتن والغايات والشهوات تتجارى بالناس كما يتجارى الكلب بصاحبه، والشكوى صارخة مريرة من انحدار الأخلاق، وتدمير الفضائل».

ومن رسالته إلى الإخوان، وهى آخر وصاياه المكتوبة إليهم «. . . اذكروا أيها الإخوان أنكم الكتيبة المؤمنة التى انتهى إليها فى هذا العصر المادى المظلم بالشهوات والأهواء والمطامع واجب الدفاع عن كلمات الله ورسالاته. . ودعوة الإنسانية التائهة فى بيداء الحيرة إلى الصراط المستقيم. .

. . . وفى أيديكم أنتم قارورة الدواء، من وحى السماء، فمن الواجب علينا أن نعلن هذه الحقيقة فى وضوح. . .».

وهذا التصوير البيانى فى المثالين المذكورين آنفًا يمثل خيالاً قريبًا جدًا من الواقع، فلا يبتعد - على براعته - عن الأسلوب الواقعى كثيرًا، فهو يصدر عن صاحبه فى عفوية بعيدًا عن الافتعال والتكلف.

ويتسم أسلوب الرسائل بالسهولة والوضوح، وهى سمة يتميز بها أسلوب الإمام الشهيد فى كل ما كتب، وكذلك خطبه ومحاضراته، فلا غريب ولا مهجور من الكلمات، ويستطيع المتعلم العادى أن يفهمه فى سهولة ويسر. ولكنه على سهولته ووضوحه لا تجد فيه لفظة مبتذلة أو معنى مستهجنا.

وإذا كان الوضوح هو السمة المعنوية للأسلوب، فإن الترسل هو الصفة الشكلية العامة للأداء التعبيرى[1]، فهو يصدر من القلب إلى القلم مباشرة، دون مرور بمحطة التزيين اللفظى، والتنميق التعبيرى، فنادرًا ما نجد للسجع مكانًا فى هذه الرسائل. ومن هذا القليل النادر ما جاء فى رسالة الإمام البنا للسفير البريطانى:

«.. هذه السياسة الجائرة، راجين أن تعدل عنها الحكومة البريطانية، فتطلق سراح المسجونين، وتعيد الزعماء المنفيين، وتؤمن الأبرياء المشردين..».

ومثال آخر: ما جاء فى رسالة الإمام البنا للملك فاروق سنة ١٣٥٨ متحدثًا عن سقوط الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية فى مصر: «بؤر الخمور، ودور الفجور.. تغشى الناس فى كل مكان.. الصور السافرة

(١) الترسل هو صفة النثر المرسل الذى لا يعتنى صاحبه بالصنعة من سجع وجناس وازدواج وغيرها، بل ينطلق على سجيته دون قيود إلا سلامة اللغة وحسن اختيار الكلمات والعبارات.

(راجع: المعجم المفصل فى الأدب لمحمد التونجى ١/ ٢٤٣).

التى لا تتـفق مع آداب الإسلام، ومـا فرضـه الله على المرأة من التـستـر والاحتشام. . . ».

وقد يكون مع السجع ازدواج[1] مع حسن تقسيـم الجمل، كقوله فى الرسالة نفـسها «تظهـر فى كبريات الصحف وصـغرياتها، وتصـبح ملهاة العيون الحائرة، والقلوب الفاجرة، وتتناول أعـرق الأسر، وأكبر البيوت، وأطهر الأعراض. . ».

## الترسل، والجمل الطويلة..

ولكن السجع والمحسنات البديعية قليلة بل نادرة فى أسلوب الرسائل، فـهو أسلوب مـرسل -كـما ذكـرنا- لا تقـيده دواعى الصنـعة والتنمـيق التعـبيـرى، وبالنظر إلى الجمل نجـد الإمام البنا يغلِّب فى تعـبيـره الجمل الطويلة لأنها أقدر من الجمل الموجزة القصـيرة على حمل المعنى، والتعبير عن المراد.

ومن ناحية أخرى تبقى هذه الجمل الطويلة أكثر وضوحًا وأسهل تناولاً من الجمل القـصيرة المكثـفة المقطرة التى قد تحـتمل التأويل، ويخـرج بها المتلقى عن مسارها الطبيعى.

ومن أمـثلة الجـمل الطويلة من رسـالة الإمـام إلى على مـاهر رئيس الحكومة سنة ١٩٣٩ «. . وأنتم فى هذه الظروف أحوج ما تكونون إلى أن

(١) الازدواج هو توافق الفاصلتين فى الوزن، ولو لم يتوافـقا فى التقفية، مـثل قوله تعالى: ﴿ونمارق مصفوفـة، وزرابى مبثوثة﴾. وقد تجتمع التقفيـة والوزن، فيكون الكلام مسجوعًا مزدوجًا كـقوله تعالى: ﴿فـإذا فرغت فـانصب. وإلى ربك فـارغب﴾. [د. بدوى طبـانة: معجم البلاغة العربية ٢٦٦].

تكون الأمة جميعًا إلى جانبكم، تستمدون منها القوة فى الرأى والتأييد فى مواقف العنت. . ولقد وقف الإخوان المسلمون من كل وزارة سابقة - ومنها وزارتكم الماضية - موقف الحياد التام، ولم يتقدموا إلى واحدة منها بالمساعدة، كما أنهم لم ولن يطلبوا، ولم ولن يتقبلوا من واحدة منها مساعدة. .».

وإذا كانت الجملة فى الفقرة السابقة لا تتجاوز السطر وبعض السطر، فإن الإمام البنا قد يطول نفسه فى الجملة الواحدة حتى تبلغ عدة أسطر كما ترى فى الجملة الآتية من الرسالة السابقة.

«والإخوان المسلمون - وهم يرون فى المعاهدة المصرية الإنجليزية إجحافًا كبيرًا بحقوق مصر واستقلالها الكامل - يريدون من حكومة مصر ألا تتجاوز الحدود المرسومة -على ما فيها من إجحاف - بأية حال».

فالجملة طويلة يبتعد خبرها (يريدون) عن مبتدئها (الإخوان) بقرابة سطرين. وقد يكون التباعد أوسع كما نرى بين الشرط (إذا جليتم) وجواب الشرط (كان ذلك سببا)، وذلك فى الجملة الآتية من رسالة الإمام لعلى ماهر رئيس الحكومة.

«. . ونعتقد كذلك أنكم إذا جليتم للساسة البريطانيين حقيقة شعور الشعب المصرى- وهو بلا شك صورة من شعور غيره من الشعوب الإسلامية، وأقنعتموهم بأن بريطانيا حين تفعل هذا تظفر إلى أبعد حد بالتأييد القلبى والعملى من الشعوب الإسلامية والعربية كلها، وتسد الباب على الطاعنين عليها، وتقدم بذلك دليلاً على أنها تقدر العدالة والإنصاف

-كان ذلك سببًا للعمل من جديد على إنصاف فلسطين الباسلة. . .».

فالجملة الأم - فى المثالين السابقين - فى سبيل استيفاء المعنى - تضم بين دفتيها جملاً أخرى تابعة كالجمل الاعتراضية والجمل الاحتراسية[1].

## التكرار المعنوى..

ومن لوازم هذه السمة الأسلوبية، ومظاهر الإطناب فى أغلب هذه الرسائل الإكثار من الترادف والتكرار المعنوى والإلحاح على الفكرة الواحدة بأساليب متعددة متساوية فى المعنى أو متقاربة فيه. والهدف من ذلك ترسيب الفكرة فى نفس القارئ، وتأكيدها فى نظره، وحتى لا يكون هناك وجه للتأويل، وإخراج المعنى عن مساره المقصود.

والأمثلة أكثر من أن تحصى نكتفى منها بجمل من رسالة الإمام للملك فؤاد سنة ١٣٥٢ بسبب ظهور شرور التبشير فى مصر. «... راجين حماية شعبكم المخلص الأمين من عدوان المبشرين الصارخ على عقائده وأبنائه وفلذات كبده.. وقد جعلكم الله تبارك وتعالى حماة دينه، والقائمين بحراسة شريعته، والذائدين عن حياض سنة نبيه..»

* * *

وتأتى الجمل المتساوية، والجمل القصيرة فى المرتبة الثانية بعد الجمل الطويلة، والرسالة الواحدة تجمع هذه الأنواع الثلاثة بالترتيب الكمى المذكور. كما نرى فى رسالة المرشد إلى صدقى باشا فى ٨ من أكتوبر ١٩٤٦ «.. ولكن المفاوضة طالت حتى أسأمت وأملت، فتوقفت،

(١) فى تعريف الاحتراس والاعتراض انظر: طبانة: المرجع السابق ١٦١، ٤٠٨ ومحمد التونجى: مرجعًا ٣٦/١، ١٠٨.

واستؤنفت، ثم انقطعت، ووصلت، ثم يتجنى علينا المفاوضون الإنجليز، فهـزوا أكتافـهم، وجمعـوا أوراقهم، وانصرفـوا عنا إلى بلادهم، هازئين ساخرين».

وكذلك فى خـتام رسالتـه إلى النقراشى باشـا فى الأول من مايو سنة ١٩٤٧ «يا دولة الباشا -لقـد تقدمت لدولتك بمثل هذه النصيـحة منذ عام مضى، وهأنذا أتقدم بها اليوم، وأعـتقد أنى بذلك قد أبرأتُ ذمتى وأديت أمـانـتى، والوقت من ذهب، فـسـر على بركـة الله، والله مـعك، ولاتتردد..».

## مِن روضة القرآن والسنة..

ويستطيع القارئ أن يدرك فى سهولـة بعد العرض الذى قدمناه لرسائل الإمـام البنا - أنه يؤيد أفكاره بالشـواهد المتـعـددة من أوعـية الأحـداث التاريخـية والسياسـية والاجتمـاعية القريبـة والبعيدة، مما ينم علـى سعة اطلاعه.

ولكن أغلب شـواهد الإمام شـواهد نصـية من القـرآن الكريم والسنة النبوية، ونلمس ذلك بوضوح فى رسالة «نحـو النور»، فالشواهد القرآنية فيها قرابة أربعين آية، وما لايقل عن عشرة أحاديث، وقد جاءت كلها فى مواضعها من السياق لتأكيد عظمة التشريع الإسلامى فى مجالات السياسة والحكم والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والدولية[1].

---

(١) وانظر كذلك رسـالته إلى مصطفى النحـاس ١٤/٦/١٩٣٦ (مذكرات الدعوة والداعـية ٢٩٢).

أما شواهد التراث العربى القديم - من حكم وأمثال وشعر- فلا يوظفها الإمام البنا إلا نادرا على سبيل التلميح(1)، كما نرى فى ختام رسالة المرشد إلى رئيس الحكومة محمود فهمى النقراشى فى ١/٥/١٩٤٧. «وأقْدِم، ولاتتردد، فتفلت الفرصة السانحة، ونعود من جديد إلى التجارب القاسية، ونستبين النصح ضحى الغد..».

فالجملة الأخيرة تلميح إلى قول الشاعر:

أمرْتهُمُ أَمْرِى بِمُنْعَرِجِ اللِّوى    فلمْ يَسْتبِينُوا النصْحَ إلاضُحَى الغَدِ(2)

## منهج الرسالة وبناؤها

وكل رسالة من هذه الرسائل تمثل وحدة بنائية موضوعية متماسكة الجوانب والعناصر بحيث يؤدى كل جزء إلى ما يليه فى نسق طبيعى دون افتعال:

يستهل الإمام الرسالة بالبسملة، والحمد والصلاة والتسليم على رسول الله - ﷺ - ثم تحية المرسل إليه بالسلام، وبعض عبارات التبجيل والتوقير للمرسل إليه أو الدعاء له. وكل ذلك فى إيجاز ووضوح.

وبعد هذا التقديم الذى يهيىء نفس المتلقى يَرِدُ صلب الموضوع الذى يمثل أطول أجزاء الرسالة وأهمها، حيث يعرض المطلوب فى إسهاب

(1) التلميح - اصطلاحا - يعنى الإيماء المباشر أو غير المباشر فى الشعر والنثر - إلى قصة معلومة أو مثل سائر أو بيت مشهور من الشعر من غير تفصيل [انظر طبانه ٦٢٠ - والتونجى ١/ ٢٨١: مرجعتين سابقين].

(2) البيت لدريد بن الصمة، وقد استشهد به الإمام على فى خطبة له [انظر نهج البلاغة ص٢٣. دار الأضواء بيروت ١٤٠٦ - ١٩٨٦].

مقبول وحجة ظاهرة، مع تدعيم كل مطلوب بما يعلله ويقويه من براهين وشواهد. فإذا ما طالت الرسالة وتعددت المطلوبات جاءت منسقة مرتبة فى أرقام محددة فى السياق المتتابع، حتى لايتيه بعضها فى تتابع هذا السياق.

وتختم الرسالة - غالبا - بالاستنهاض والحث - فى أدب - على تحقيق المطلوب والمأمول، ثم الدعاء للمتلقى، كما نرى فى ختام رسالة الإمام الشهيد لعلى ماهر فى ٢٠ من شعبان ١٣٥٨.

«اعملوا على هذا يارفعة الرئيس، وجاهدوا فى سبيله، فهو خير ما تستقبلون به هذه المواسم الفاضلة، وتتقربون به إلى الله. هذا - ياصاحب الرفعة - بعض ما أردنا أن نتقدم إليكم به فى هذا الوقت العصيب. والله نسأل أن يتدارك العالم برحمته، وأن يتولى مصر الناهضة بالخير والتوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

إن الطوابع والملامح الفنية والأدبية لرسائل الإمام الشهيد تحتاج إلى مبحث مستقل على نحو أوْفَى وأشمل لايتسع له المقام.

ولعل الأقرب إلى الموضوعية والمنهجية العلمية أن تكون مادة هذه الدراسة الفنية كل إبداعات حسن البنا وعطاءاته الفكرية من رسائل وخطب ومحاضرات وأحاديث ومذكرات.

فلنجتزئ - مؤقتا - بالقليل الموجود عن الكثير المأمول المنشود. تطلعا إلى دراسة كاملة عن «أدبيات الإمام الشهيد».

* * *

وعودا على بدء نذكر القارئ بأن بدايتنا كانت وقفة مع رسائل الإمام **الدعوية الكتابية**، ثم كانت لنا وقفات مع رسائله - رحمه الله - التى وجهها إلى الملوك والوزراء، وألحقنا بها رسالته إلى مكتب الإرشاد، ورسالته قبيل استشهاده إلى الإخوان.

وفى الفصل الثالث - وهو الأخير - من هذه الدراسة نعيش مع رسائله الخاصة التى وجهها - فى شبابه إلى والده الشيخ أحمد عبد الرحمن عليه رضوان الله.

# الفصل الثالث

## رسائله الشخصية إلى والده

[١]

## خلاف فى نشر الرسائل الخاصة

ذكرنا فى مطلع هذه الدراسة أن الرسالة الشخصية أو الخاصة هى تلك التى تعبر عن مشاعر المرسِل فى تعزية أو تهنئة، أو توصية، أو عتاب، أو شوق، أو تحذير ووعيد، ونحو ذلك مما يصور العواطف والصلات الخاصة بين الأفراد. وهى - غالبا - لاتكون إلا بين من تربط بينهم صلة دموية كالآباء والأبناء والإخوة، أو صلة إنسانية كالصداقة والزمالة والصحبة.

وعلى المستوى الأدبى والفكرى يثور سؤال خلاصته: هل نملك الحق فى نشر الرسائل الخاصة للشخصيات العامة من قادة وزعماء وساسة ومصلحين وأدباء؟

وهذا السؤال لايثور - غالبا - إلا بعد موت أصحاب هذه الرسائل. وقد انقسم النقاد والمفكرون - فى الإجابة عن هذا السؤال- إلى فريقين:

فريق يجيز ذلك، وقد يرفع إجازته إلى درجة الإيجاب والإلزام، وذلك بدعوى أن الشخصية العامة - فى مجال الأدب أو السياسة أو الدين أو القيادة - لم تعد ملكا لنفسها، بل ملكا لمجتمعها، بل المجتمع الإنسانى والتاريخ. ومن ثم فإن عطاء هذه الشخصية - أيا كان شكله، ومهما كان فيه من خصوصية- يخرج من نطاق الملكية الخاصة إلى نطاق

الملكية العامة حتى لاتبقى مساحة من شخصيته أو تاريخه مظلمة أو غائمة لاتُبين.

وفريق يرى أن حرية البحث فى حياة الشخصية ليست حرية مطلقة، فهناك خط أحمر يجب ألا يتعداه الباحث، ذلك الخط الذى تليه خصوصيات الشخصية، ومنها رسائله الخاصة، فهى تعبير عن أسراره في جوانبها العاطفية أو الفكرية أو العقدية، والتى لا يأتمن عليها إلا طرفها الآخر، أى المرسَل إليه.

وهناك من يرجح الرأى الثانى، ولكن بتحفظ، فيشترطون حذف ما قد يكون فى هذه الرسائل من قذف الآخرين أو إهانتهم وخدش أعراضهم. وقد يشترط آخرون - ضميمة لما سبق - أن يكون فى هذه الرسائل ما يكشف عن قيم دينية أو اجتماعية أو نفسية أو أدبية على المستوى الخاص أو المستوى العام[1].

## ولكن هنا .. لا إشكال..

وعلى أية حال لا إشكال فى عرض الرسائل الخاصة التى أرسلها حسن البنا إلى والده، ونشرها على أوسع نطاق:

١ - فسنرى أنها لاتسىء إلى الآخرين، ولا تخدش شخصياتهم أو تنال من أعراضهم.

---

(١) عرض لهذه القضية بشىء من الإسهاب الدكتور محمد رجب بيومى فى مقال له بعنوان «الرسائل الخاصة من وجهة إسلامية: حول رسائل الرافعى» مجلة الأدب الإسلامى العدد ١١ السنة الثالثة. ص٧-١٣.

٢ - كما أنها تبين عن كثير من الأبعاد النفسية والخلقية والسلوكية لحسن البنا فى شبابه.

٣ - كما أنهـا تساعد على فهم بعض الملامح الاجتماعية والسياسية فى مصر آنذاك. مما سنعرض له فيما بعد.

## حقيقة هذه الرسائل[١]

لاتزيد هذه الرسائل الخاصة على عشرين رسالة أرسلها حسن البنا إلى والده[٢] على مدى واحد وعشرين عـاما ونصف عام. وكانت أوّل رسالة

(١) معترفا بالجميل أسجل شكرى للأستاذ أحمد جمال الدين البنا، فهو الذى أهدانى الخطابات الشخصية التى وجهها الإمام حسن البنا إلى والده الشيخ أحمد عبد الرحمن، وقد عثر عليها عند الوالد بعد وفاته. وزاد من فرحى بهذه الرسائل تلك الترجمة المسهبة التى كتبها لوالده - رحمه الله-.

وأحمد جمال الدين هو أصغر أشقاء الإمام الشهيد، وهو المشار إليه فى هذه الرسائل: بأحمد جمال الدين، أو جمال الدين، أو جمال، وهو كاتب ناقد أديب له عدد من المؤلفات القيمة.

(٢) ولد أحمد عبد الرحمن البنا بإحدى قرى محافظة الغربية سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢م). ثم انتقل إلى «المحمودية» بمحافظة البحيرة، وبالمحمودية (التى كان يطلق عليها «العطف» أحيانًا باسم مشروع أقيم بجوارها) ولد له كل أبنائه وبناته وهم:

حسن ١٩٠٦ - عبد الرحمن ١٩٠٨ - فاطمة ١٩١١ - محمد ١٩١٣- عبد الباسط ١٩١٥ - زينب ١٩١٩ (وقد توفيت بعد عدة أشهر) أحمد جمال الدين ١٩٢٠ - فوزية ١٩٢٣.

عمل مأذونًا وإمامًا بالمحمودية وكذلك بتصليح الساعات. وفى سنة ١٩٢٤ انتقل بأسرته كلها إلى القاهرة ليتخذ منها مستقرًا ومقامًا بعد أن التحق ابنه حسن بدار العلوم. وأخلد أعماله هو «الفتح الربانى فى ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيبانى» فى =

مـؤرخة بالثـلاثين من يناير سنة ١٩٢٦ (وهو فى سن العـشرين)، وآخـر الرسائل بتاريخ ١٢ من أغسطس سنة ١٩٤٧ أى قبل استشهاده بعامين.

وقد صدَّر حسن البنا هذه الرسـائل إلى والده من العطف (المحمودية) - وهو فى نهاية تعلـيمه العالى بـكلية دار العلوم - وكانت الأسـرة كلها بالقاهرة بعـد هجرتها من المحـمودية إلى القاهرة سنة ١٩٢٤ قـبل تخرج الإمام بثلاث سنوات. إذ كان والده يكلفه - كما يذكر الأستاذ جمال البنا - ببعض الأعمال لإنجازها فى المحمودية.

وبعـد هذه الرسـائل مرسـل من الإمام البنـا وهو يعمل مـدرسـا فى الإسماعيلية.

وبعضها أرسله من قنا إلى والده بعد أن نقل إليها نقلاً تعسفيًا[1].

---

= خمسة وعشرين مجلدًا، وقد أنفق من عمره فى هذا العمل العظيم ثمانية وثلاثين عامًا.
وقد انتقل إلى جوار الله فى ١٩ من نوفمبر ١٩٥٨. ولم يبق من أبنائه وبناته على قيد الحياة سوى أحمد جمال الدين، أطال الله فى عمره. (عن التـرجمة المسهبة التى كتبها الأستاذ أحمـد جمال الدين عن والده). وانظر كذلك المقال الطيب الذى كتـبه الأستاذ محمد عبد الله الخطيب بعنوان «العالم العامـل صاحب الفتح الربانى الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا» مجلة المجتمع العدد ١٢١٦.

(١) كان الإمام حسن البنا يعمل مدرسًا بالمدرسـة المحمدية بالقاهرة، وقد زاد نشاط الإخوان قوة وانتشارًا مما دفع الإنجليز إلى الضـغط الشديد على حسين سرى باشا رئيس الوزراء للحد مـن نشاط هذا الرجل بزعم أنه يعـمل «فى أوساط جمـاعتـه لحساب إيـطاليا»، ووجد رئيس الوزراء حـسين سرى أن المخرج لا يكون إلا بنقل الأسـتاذ البنا إلى «قنا» بصـعـيـد مـصـر، وتم ذلك فى ١٩٤١/٢/٢٢، ولكن بعض الـنواب سـاءهم هذا الاستسلام لرغبة الإنجليز، فسعوا إلى إعادة المرشد إلى القاهرة، وتم ذلك فى أول يوليو من السنة نفسها، يقـول الدكتور محمد حسين هيكل - وكان أيامـها وزيرًا للمعارف =

وقد ظل الإمام الشهيد يعمل مدرسًا لمدة تسعة عشر عامًا، وجاء تعيينه فى مدينة الإسماعيلية سنة ١٩٢٧. ثم انتقل للعمل بالقاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٣٢ بعد أن تزوج من آل الصولى وهم من أعيان المدينة.

وفى وزارة حسين سرى، وبضغط من الإنجليز صدر قرار بنقله إلى قنا فى فبراير سنة ١٩٤١. وظل يعمل بقنا أربعة أشهر، ثم أعيد إلى العمل بالقاهرة أول يوليو ١٩٤١.

ثم استقال من العمل فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٦، لكى يتفرغ لخدمة الدعوة.

## لا مكان لهذه الرسائل فى مذكراته؟؟!!

ونلاحظ أن الإمام البنا لم يسجل فى مذكراته (مذكرات الدعوة والداعية) نص رسالة واحدة، أو جزءًا من رسالة واحدة، أو حتى إشارة إلى رسالة واحدة من تلك التى أرسلها إلى أبيه، مع أن بعضها يحمل إشارات إلى أمور ومسائل عامة تتعلق بالدعوة أو الأمة. وقد يرجع إغفال هذا التسجيل إلى الأسباب الآتية:

---

= فى وزارة سرى «لكن الذى لا شبهة فيه أن تراجعه (حسين سرى) أشعر الشيخ حسن بأن له من القوة ما يسمح له بمضاعفة نشاطه من غير أن يخشى مغبة ذلك النشاط، وأن هذا الشعور كان له أثره فى تطور جماعة الإخوان المسلمين من بعد». د. محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية ٢/١٧٨ (دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧)

وانظر تفصيل هذا النقل وخطواته فى الكتاب السابق ١٧٧ - ١٧٩.

وانظر كذلك كتاب عباس السيسى «فى قافلة الإخوان المسلمون» ١/ ٨٥ - ٨٦.

أ- أنها رسائل خاصة تعالج مسائل شـخصية أو عائلية يرى الإمام أنها لا تهم - من قريب أو بعيد - المشتغلين بالدعوة والعمل العام.

ب- أن ما أشارت إليـه هذه الرسائل من مسـائل أو شخصيـات عامة عالجتها المذكرات بإسهاب وتفصيل يغنى عن تسجيل هذه الرسائل.

جـ- كان التواضع الجم من أهـم فضائل الإمام الشهـيد، حتى أنه فى كثـير من جوانب مذكـراته لا يتحدث عن نفـسه إلا بضميـر الغائب[1]. وربما رأى الإمام البنا أن نشر هذه الرسـائل الشخصية أو بعضـها يتعارض مع فضيلة التواضع، فهى ليست «مذكرات حسن البنا»، ولكنها «مذكرات الدعوة والداعية».

د- وقد يكون ذلك من قـبيل إجلاله أباه، وتوقيـره إياه، لأن الرسائل تكشف عن طبيـعة المعاناة، وضـيق الحال، وضيق ذات اليـد، وهى حال كان الوالد يعيشها، وحاول الابن - بجزء من راتبه - أن يرفع بعض هذه المعاناة، وكذلك بـإعاشة بعض إخوته. وقد يكون فى نـشر هذه الرسائل التى تكشف هذا الواقع الاجـتمـاعى ما قد يفـسر على أنه من قـبل المن والأذى.

وقبل أن نلج عالم هذه الرسائل نرى من الإسـراف ومخالفة الواقع أن نزعم أن هذه الرسائل هى كل ما أرسله الإمام الشـهيد إلى أبيه على مدى ما يزيد على عـشرين عامًا، وهى لا تزيد على عـشرين رسالة، ونرى أن هناك رسـائل مفقـودة، أو لم يحتـفظ الوالد بها لا تقل عن ضِـعْف هذا

(١) انظر على سبيل التمثيل الصفحات ١٧ - ٢١، ٧٨ - ٨٤.

لعدد. والأستاذ جـمال البنا - شقيق الإمام الشهـيد - لم يعثر على هذه الرسـائل التى بين أيدينا الآن إلا بعد وفـاة الوالد رحمـه الله، توفى وهو الوحيـد الذى كان يملك الإجابة عن حقـيقة عـدد هذه الرسائل ولو على سبيل التقريب.

وكان تعيين الإمام البنا مـدرسًا بالإسماعيلية فى سبـتمبر سنة ١٩٢٧، ومع ذلك نرى أول رسالة - فيما بين أيدينا - مرسلة من الإسماعيلية إلى والده فى القاهـرة مؤرخة بتـاريخ ٧ من مارس سنة ١٩٢٨ أى بعـد قرابة نصف عام من إقـامته فى الإسـماعيليـة، فليس من المعقول والمقـبول أن يصبر الشيخ الوالد على هذه القطيعة من ابنه المغترب لأول مرة فى حياته. وهو الذى انتقل بأسرته من المحمودية إلى القاهرة بسبب مكروه كاد يصيبه وهو فى نهاية عامه الأول بدار العلوم[١].

وكيف يرسل إلى أبيـه ثلاث رسائل أو أكثـر من «قنا» خلال المدة التى مكثها هناك وهى قرابة أربعة أشهر (من ٢٢/٢/١٩٤١ إلى ١/٧/١٩٤١) ولا يرسل إليـه رسالة واحـدة فى الأشهر الـستة الأولى الـتى أقامهـا فى الإسماعيليـة، وهو الحريص على استشارة أبيه دائمًـا، وكان يعرض عليه كل صغيرة وكبيرة فى حياته؟

---

(١) ففى نهاية العام الأول له بدار العلوم، وأثناء أيام الامتحان حاول أحد رفاقه فى الدراسة والسكن - حقدًا وحـسدًا - أن يحدث به عاهة تعوقه عن أداء الامتـحان، فصب على وجهه - وهو نائم - زجاجـة من صبغة اليود المركز، كانت تكفى لفـقد البصر، ولكن الله سلم. واهتزت الأسرة فى المحـمودية لما حدث، وأصرت الأم على انتـقال الأسرة كلها إلى القـاهرة. وقد كان (راجع تفاصـيل الواقعة ٥٥ - ٥٧ من «مذكـرات الدعوة والداعية».

كل أولئك يجعلنا على اقتناع بأن هذه الرسائل الخاصة - من حسن البنا إلى أبيه - لا تمثل كمًّا - إلا نصف المرسل، وربما أقل من النصف بكثير.

## أمْنِية..

بعد معايشتى لهذه الرسائل الخاصة التى كتبها الإمام الشهيد - على قلتها - تمنيت - ومازلت أتمنى - لو ضُم لهذه الرسائل كل الرسائل الشخصية التى وجهها الإمام الشهيد إلى الإخوان والأصدقاء طيلة حياته من أمثال أحمد السكرى وغيره من الإخوان[1]، وتُضَم بين دفّتى كتاب واحد بعنوان (من الإمام الشهيد إلى أبيه وإخوانه: رسائل شخصية)، ولتكن هذه دعوة إلى كل من يملك رسالة موجهة إليه من الإمام الشهيد - فى أى مرحلة من مراحل سنه - أن يتقدم بها إلى الأستاذ أحمد سيف الإسلام حسن البنا، أو الأستاذ جمال البنا الشقيق الوحيد الباقى من إخوة الإمام الشهيد للقيام بهذا المشروع. وهذا النداء موجه أيضًا إلى ورثة من كان بحوزته هذا النوع من الرسائل، وانتقل إلى جوار الله[2].

---

(١) كان الإمام الشهيد يعتز بأحمد السكرى اعتزازًا عميقا حتى وهو طالب فقد كتب فى موضوع تعبيرى فى الامتحان النهائى بدار العلوم سنة ١٩٢٧ «... وأملى الخاص هو إسعاد أسرتى وقرابتى، والوفاء لذلك الصديق المحبوب ما استطعت لذلك سبيلاً..» ويعلق على هذه العبارة فى مذكراته بقوله: «والصديق الذى أشرت إليه فى هذا الموضوع هو الأستاذ أحمد السكرى الذى كان يبادلنى هذا الشعور..» مذكرات الدعوة والداعية ٧٤، ٧٥. وانظر كذلك ١١٨، ٣٥٩.

(٢) اذكر القارىء بأن الدكتور عبد العظيم المطعنى قد جمع فى كتاب واحد ١٩ رسالة للإمام الشهيد وعلق عليها وعنوان الكتاب: ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة =

## بين يدى الرسائل...

وهذه الرسائل التى كتبها الإمام الشهيد - وأغلبها فى شبابه - ترسم - صراحة أو ضمنا - خطوطًا مهمة فى صورته النفسية والخلقية. وهى بذلك تمثل - فى نظرى - جانبا مهما من ترجمته الذاتية. ويمكن أن نقول باقتناع: إن هذه الرسائل إذا اجتمعت إلى النوع الثانى الذى فصلنا القول فيه - وهو رسائل الإمام الشهيد إلى الملوك والرؤساء وكبار الشخصيات العامة، وكذلك إلى (مذكرات الدعوة والداعية) فإن هذه «الثلاثية» يمكن أن تمثل «ترجمة ذاتية كاملة» أو شبه كاملة للإمام الشهيد، وإن افتقرت إلى التسلسل التاريخى للوقائع والأحداث، وهذا لا يعيبها، فهى ترجمة ذاتية - تهتم أول ما تهتم - بالصورة العقدية والفكرية والنفسية للإمام الشهيد[1].

ودون افتعال أو تعسف نترك هذه الرسائل تبوح بما تحمل من معان، وما تدل عليه من طبائع الإمام الشهيد وأخلاقياته.

---

= الإسلامية. وهى تقطع بأن الإمام الشهيد كان من المكثرين فى كتابة الرسائل. فالرسائل التسع عشرة أرسلها الإمام خلال شهرين هما صفر وربيع الأول ١٣٥٩ (١٩٤٠م). ومنها أربع رسائل كتبها يوم ٨ من صفر - وخمس رسائل يوم ٩ من صفر ١٣٥٩.

(١) ونحن فى هذه الوجهة نخالف الدكتور يحيى إبراهيم الذي يرفض أن تأتى الترجمة الذاتية فى شكل مذكرات أو ذكريات أو يوميات أو اعترافات (راجع ص٣ وما بعدها من كتابه: الترجمة الذاتية فى الأدب العربى: مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٩). وهو رأى فيه تشدد كبير لأن من حق كاتب الترجمة أن يتخذ لها القالب الذى يراه ملائما، المهم أن يكون الناتج تمثيلا صادقا للشخصية فى مراحل حياتها المختلفة بأبعادها النفسية أو (الجوّانية) وأبعادها الاجتماعية التى تعنى تحديد مكان الشخصية فى المجتمع وطبيعة العلائق التى تربطه بالآخرين.

## علاقته بوالده

### توقير وإجلال، وبر وإحسان

وتنطق كل رسائله - دون استثناء - بحبه لوالده وتعظيمه وتوقيره، فهو يستهل رسائله مخاطبًا والده بالعبارات الآتية:

- سيدى الوالد الجليل..
- سيدى الوالد المحترم..
- سيدى الوالد الأجلّ..
- سيدى فضيلة الوالد الجليل أعزه الله وأنالنى رضاه..

كما أنه لا يتحدث إليه إلا بضمير الجمع تعظيمًا له وإجلالاً، وهذا يطرد فى كل رسائله.

* * *

وهو حريص على إرضاء والده، والفوز بهذا الرضا، فيقول فى رسالة أرسلها من الإسماعيلية إلى والده فى ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٩: «وإن اليوم الذى أستطع فيه إرضاءكم هو أسعد أيامى حقًا، وعقيدتى أننى ما خُلقت إلا لأرضيكم، وليس لى من الحق فى كل ما يقدره الله لى بعض ما لكم. ذلك ما اعتقده وأقوله بإخلاص ويقين».

فلا عجب أن يستشير والده فى أموره الخاصة، فحينما يفكر فى السفر إلى الحجاز مدرسًا معارًا من وزارة المعارف المصرية يسأل والده فى رسالة

أرسلها إليـه من الإسماعـيلية «. . . فهل يروقكم ذهابى إلى الحـجاز مع حفظ حـقى بمصر؟ بمعنى أن أكون مـوظفًا بوزارة المعارف المصـرية منتدبًا للعمـل بالحكومة الحجـازية، أما مـاذا ترون؟ سوف لا أكـتب شيـئًا من الطلبات الآن حتى يوافينى ردكم. . .

ليكن فى العلم بأن وجودى بالحجاز لا فرق بينه وبين مصر فى البُعْد، لأنى سأحضر - إن شاء الله تعالى - فى إجازة كل عام تقريبًا. اكتبوا إلىَّ برأيكم أنتم أولا. . .».

* * *

ويذهب الإمام الشهـيد فى إرضاء والده مذهبًا عجبًـا، لقد كان الوالد يعيش فى ضائقـة مالية، وكان الابن يرسل إليه كل شهـر من مرتبة ثلاثة جنيهات أثناء وجوده معلمًا بمدينة الإسماعيلية. وخوفًا من أن يظن به أبوه الإسـراف يرسل إليـه أطول رسـائله عـلى الإطلاق، وهى تشـغل عـدة صفحات. يقول فى مطلعـها: «. . . على كل حال الذى يهمنى راحتكم مهـما كلفنى ذلك، سـأفصِّل لكم فى هذا الخطاب حـساب ثلاثة أشـهر مضت هى نوفمبـر وسبتمبر وأكتوبر، أى منذ فـارقتكم، لتعلموا أن ليس فى تصرفى شىء من الإسـراف، ولاالخفاء ولا الاستـبداد برأيى، وإنما أنا مســوق بقوة الظروف التى لا تغلـب، وإذا كانت ظروفى هكذا فـما ذنبى أنا؟».

وبعد أن يقدم لأبيه بيانا بمفردات مـصروفاته فى الأشهر الثلاثة يحاول - متشبـثا بإرضاء والده - أن يدفع عن نفسه ما قـد يُتوهم أنه إسراف فى

النفقات «فإن كان يؤلمكم أنى سافرت إلى دمنهور، فوالله ما خسرت فيها إلا ثلاثين قرشا فقط كانت فى جيبى، وأخذت بها التذكرة من الإسماعيلية، ودفع عامل التذاكر تعريفة بقى من ٣٠,٥ ثمن التذكرة، وعدت على حساب غيرى، وإن كان يؤلمكم الخمسين قرشا التى دفعت فى المسجد، فقدروا الظرف الذى تورطت فيه لدفعها، وقدروا أجرها، وإن كان يؤلمكم ثمن الكتب فهذه أموال نافعة باقية...».

## ووالدته أيضا..

وكما كان يوقر والده فى رسائله كان يوقر والدته ويجلها، ولم يكن يتحدث عنها إلا بسيدتى الوالدة، وعاش مشغولا بها، حريصا على إرضائها ودفع الألم عنها. يقول فى إحدى رسائله التى أرسلها إلى والده من الإسماعيلية فى ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٩:

«.. والذى أريده فقط أن تغتبطوا بذلك وتعلموه، وأن تخفف سيدتى الوالدة من ألمها لعدم التوفير...

والله إننى لأقضى الساعات الطوال فى ألم لتألم والدتى، وفى تفكير كيف أرضيها، وكيف أسعدها، وكيف أجعلها هانئة مغتبطة، فهل يوفقنى الله لهذه الأمنية؟».

إنه يخشى أن تكون والدته قد حزنت أو غضبت بسبب عدم توفير ابنها شيئا من مرتبه الشهرى الذى لا يجاوز الخمسة عشر جنيها، فيطلب من أبيه ترضيتها «.. وأما غضب والدتى فحكمتكم كفيلة بإزالته وترضيتها... فابذلوا الجهد فى تسكين ثورتها، وإرضاء خاطرها،

وإقناعها، وتفهيمها ما فى هذه الخطابات. . .».

* * *

ولم تقف منظومة البر فى حياة الإمام الشهيد وإحسانه إلى والده ووالدته عند هذا الحد، فهناك ما هو أكثر. كما أن دائرة البر والإحسان اتسعت لغير الوالد والوالدة - كما تنطق رسائله إلى أبيه، مما سنراه فى الصفحات التالية والأخيرة من هذا الحديث.

[٢]

## بره بإخوته وأهله

إن الرسائل التى أرسلها الإمام الشهيد إلى والده تنم على بره وإحسانه إلى والديه وإخـوته وأخواته، فنقرأ فى رسـالته الطويلة التـى صدّرها إلى والده من الإسمـاعيليـة - بعد أن قدم بيـانا بنفقـاته وديونه خلال أشـهر ثلاثة:

" . . إذا كنتم بعد هذا لاتزالون مصـرين على اقتراحكم، وتريدون ألا تفكروا فى تصرفاتى هذه المعقدة المتـشابكة، وتريحوا أنفسكم من عنائها، فأنا أتقـبله بكل سرور على أن يعدل تعـديلاً يسيرا إذا وافـقكم، وأما إذا أبيتـم هذا التعديـل فلا أعارضكم، ولكـنى أرى من الرحمـة والعدل أن يكون ذلك، هو أن تتركوا جمال الدين وعبـد الباسط بمصروفهما المدرسى والملبسى والمأكل وكل لوازمهما، وفـاطمة كذلك، ثم تأخذ والدتى نصف جنيه مـصروف، وأنتم جنيه مـساعدة، عـلى جنيه عبـدالرحمن، وأرسل إليكم الجنيهين شهرياً. " .

ولم يكن الدافع المادى هو الدافع الوحـيد للإمام البنا فى طلبـه إخوته إليه فى الإسماعـيلية للإنفاق عليهم، فقد كـان بجانب هذا الهدف المادى هدف تربوى وسلـوكى نبـيل، فـيـقـول لوالده فى رســالة أخـرى من الإسماعيلية فى ٥ أكـتوبر ١٩٢٨ "لاأدرى موقفكم إزاء إرسال الأولاد - فى إرسالهم مصلحة لى، فإنهم سيوفـرون كثيراً من النفقات الذاهبة هباء

منثوراً، وسينظمون أوقاتى، ويريحوننى من عناء كبير، مصلحة لهم هى تدريبهم وتهذيبهم، وتربيتهم تربية أراها جيدة صالحة تحجزهم عن أبناء الشوراع وعَطَلَة السبل. وإذن يكون إرسالهم من صالح الطرفين، لعلكم تقدرون ذلك، وتتصرفون فى إحضارهم فى أقرب وقت ممكن . . . "

* * *

وضم الإمام الشهيد إليه فى مستقره بمدينة الإسماعيلية شقيقه عبدالباسط الذى يصغر عنه بتسع سنوات، وشقيقه الأصغر: أحمد جمال الدين الذى يصغر عن الإمام بأربعة عشر عاما، وشقيقته فاطمة، وهى أصغر من الإمام بخمس سنين، وكانت هى ربة البيت ومدبرته فى الإسماعيلية.

وكان سن عبد الباسط - عند إرسال هذا الخطاب قرابة ١٣ عاما، وفاطمة ١٧ عاما، وجمال الدين قرابة ثمانى سنوات. وصدق المرشد الإمام فيما وعد، فسلك معهم منهجا تربويا قويما، فيقول عن فاطمة فى رسالته : «أنا أوصيها - كلما سنحت الفرصة الوصايا التهذيبية، وسأشرع معها فى القراءة والكتابة بحول الله وقوته. "

ويقول عن شقيقه عبدالباسط "عبدالباسط كذلك أهتم بتهذيبه جداً. . "

وينال الصغير "أحمد جمال الدين" النصيب الأوفى من العناية والاهتمام كما تنطق هذه الرسالة" . . أما جمال فهو مسرور كل السرور، وقد أدخلته مدرسة أولية، فهو يتعلم بها، ويحبه أساتذتها، ويكرمونه

جدا.. وكم يكون سروركم عظيما إذا سمعتم جمال الدين وهو يقرأ الأحاديث التى حفظها بتجويد وإتقان، فمثلاً "يامعاذ: أمسك عليك لسانك، ولْيَسَعْك بيتُك، ولتَبْكِ على خطيئتك"، و حديث "صِلْ من قطعك، وأحسنْ إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك.."

وعن التعليم الجماعى والمشاركة الجماعية يقول:

"فآمل - بعون الله تعالى - أنْ أوفق إلى إرشادهم خير إرشاد إلىماينفعهم فى المعاش، والمعاد، ولهم درسان فى الأسبوع بعد العشاء، يحفظون فيهما الحديث.. لنا جدول منظم يشمل الرياضة والمذاكرة والسمر والطعام، فاطمئنوا من هذه الوجهة كل الاطمئنان.."

* * *

ويخرج حسن البنا بشقيقيه: عبدالباسط وأحمد جمال من دائرة المنزل إلى دائرة المدينة، ليعرفا الناس، ويعرفهما الناس، وكانت النتيجة مانراه من قوله فى الرسالة نفسها:

"... إن أهل البلد (الإسماعيلية) عرفوا "جمال وعبدالباسط" وكلهم يحبونهما،ويكرمونهما، ويحترمونهما كل الاحترام أينما سارا أو جلسا.."

* * *

ولاشك أن القدوة الحسنة يبقى لها الأثر الفعال فى تحقيق المنشود، وقد أشار الأستاذ الإمام إلى حرصه على أن يكون كذلك، وإشعار أخويه وأخته بشدة اهتمامه بهم، ورعايته لهم. يقول فى رسالته السابقة إلى أبيه:

"وأنا الآن لاأسهر فى الخارج قطعيا، وفقط سأجعل ليلتين فى الأسبوع أدرِّس فيهما بعد العشاء فى مسجدين إلى الساعة الثامنة والنصف على الأكثر، ثم أعود إلى المنزل. . . "

ولا يختلف اثنان فى أن من أسباب انحراف الأبناء فى البيوت انعدام القدوة الحسنة فى الآباء، وإهدار الوقت فى السهر خارج البيت، وترك الأبناء بلا عناية أو توجيه بدعوى «التربية الاستقلالية».

* * *

وكان الإمام الشهيد - كما تنطق رسائله إلى أبيه- دائم السؤال عن أهله، والاهتمام بهم، وخصوصا من بَعُد عنه من أخواته بعد أن انتقلت الأسرة كلها من العطف (المحمودية) سنة ١٩٢٤ للإقامة الدائمة بالقاهرة. يقول الإمام فى إحدى رسائله التى كتبها إلى أبيه سنة ١٩٢٧، والحديث عن فوزية صغرى أخواته «. . سررت كثيراً لتقدم صحة فوزية بعد خوف وإشفاق، وسر كذلك الجميع بهذا الخبر، ونسأل الله لها تمام الصحة وتمام القوة. .».

وحينما نقل إلى قنا - وكان نقلاً تعسفياً - أخذه الحزن لمرض شقيقته فاطمة، وعندما علم بشفائها يرسل إلى أبيه من قنا فى ١٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٠.

«. . سررت كثيراً لشفاء فاطمة، ولقد أقلقنى أمرها إقلاقاً شديداً، وطمأننى أحمد أفندى تليفونياً مرة، وكتب إلى عبدالحكيم مرة، حتى اطمأننت، والحمد لله على الشفاء. . .».

وفى رسالته التى بعث بها إلى أبيه من الإسماعيلية فى السابع من

مارس سنة ١٩٢٩ يبدى أسفه لأنه عجز عن تحقيق كل ما يتمنى لأخيه عبدالباسط: «. . . وقد كنت أود أن أبعث بجنيه «بدلة» عبدالباسط، لولا أنه لم يبق معى إلا مصروفات السفر».

* * *

وكان الإمام الشهيد أكبر من شقيقه عبدالرحمن بعامين، ومن شقيقه عبدالباسط بتسعة أعوام، ومع ذلك -حرصا على إظهار احترامه وإجلاله لهما- كان فى رسائله يخلع على كل منهما لقب «أفندى» على غير ما هو معهود فى أفراد الأسرة الواحدة. فنقرأ فى رسالته التى أرسلها إلى والده من الأقصر فى الثانى من مارس سنة ١٩٤١: «وقد كتبت لعبد الباسط أفندى قبل أول الشهر، ولعبد الرحمن أفندى أول من أمس بالنسبة لكم، ولا أدرى ما موقفهما منكم. . .».

وهو حريص على إسعاد إخوته ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم، ودفع الهموم والأحزان عنهم. كتب إلى أبيه من الإسماعيلية فى ٢٣ من المحرم سنة ١٣٥٠ بعد أن ظهرت نتيجة الامتحانات بنجاح جمال، ورسوب عبدالباسط فى مادة واحدة هى اللغة الإنجليزية: «. . وبعد، فقد وصل خطابكم، وسررنا لجمال الدين، ونهنئه، أما عبدالباسط فنتيجته سارة كذلك، فإن الراسب فى علم كالناجح، فطمئنوه على نجاحه، وراقبوه فى هذه الأيام حتى ينتهى الأثر من نفسه».

### الضائقة المالية..

كان المرتب الشهرى للمدرس حسن البنا خمسة عشر جنيها، وكانت مصارف هذا المرتب أكثر وأوسع من قدرة هذا المبلغ، فلا عجب أن نجد

فى تضاعيف رسائله ما يشير إلى هذه الضائقة ويقف أمامها.

وبسبب هذه الضائقة كان يود أن يُنتدب للعمل فى لجان الامتحانات العامة التى تعقد آخر العام الدراسى وذلك يكون -كما هو معروف- بمقابل مالى إضافى. ويظهر أن أباه قد أرسل إليه خطابا يسأله فيه عن عدم ندبه وسببه، فجاءه رده فى رسالة طويلة، وهى تلك التى أرسلها من الإسماعيلية فى ٢٣ من المحرم سنة ١٣٥٠. وفيها يقول:

«أما سبب عدم الانتداب فى لجان الامتحان هذا العام فليس له من سبب إلا أنّ مدرستنا لم يُنتدب منها إلا ثلاثة: إبراهيم أفندى يوسف، وعيسى أفندى وريحان أفندى، ولم ينتدب الباقون إلا فى التصحيح فقط. فلا يكن لذلك أثر فى نفوسكم...».

وفى هذه الرسالة سجّل حسن البنا لأبيه -فى دقة عجيبة- مصارف مرتبه فى الشهور الثلاثة سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر، وهى فى مجموعها تفوق أرقام المرتب الحكومى، فعن شهر سبتمبر يقول «كان معى من هذا المبلغ كله ثمانون قرشا، منها أجرة القطار، ومن أين الباقى؟ سلفة طبعاً: من إبراهيم البنهاوى ١٥٠ قرشا، ومن الشيخ على ١٠٠ قرش...».

وبعد عرضه مصروفات شهر أكتوبر التى بلغت ثلاثة وعشرين جنيها، ومرتبه الشهرى خمسة عشر جنيها.. بعد هذا العرض يتساءل أيضا: «.. ولكن من أين أتيت بالباقى؟ أتيت به من الشيخ حامد الذى اقترضت منه سبعة جنيهات، واقترضت من مال الجمعية جنيها آخر...».

ويعرض مصروفات شهر نوفمبر فإذا بها تبلغ أحد عشر جنيها وخمسة وستين قرشا، وهذا يعنى أن يبقى من مرتبه ثلاثة جنيهات وخمسة

وثلاثون قرشا يذكر أنه أعطاها لفاطمة شقيقته -ربة البيت «على سبيل المصروف». ولكن تحدث مفاجأة يذكرها الإمام البنا فى رسالته وهى أن «الشيخ حامد طلب جزءا من نقوده، بل نقوده كلها فماذا أصنع له؟».

لا حلّ -كما يذكر فى خطابه- إلا ضغط المصروفات لتوفير جنيهين، واقتراض جنيهين من صديقين، وبذلك تصبح مصروفات الشهر كله جنيهين وخمسة وثلاثين قرشا لأسرة من أربعة أشخاص: هو وشقيقته فاطمة وأخواه عبدالباسط وجمال. وهذا لا يكفى «فلابد من الاعتماد على أن يكون الخبز لآخر الشهر، ولوازم البقالة من الشركة لآخر الشهر، وهذا ما كان».

ويبقى عليه من الديون -مع هذا التقشف الشديد - قرابة عشرة جنيهات، وهو مبلغ يعد كبيراً جداً فى ذلك الحين.

* * *

وظلت هذه الخليقة- خليقة البر بأهله وأقاربه والإحسان إليهم -تلازمه طيلة حياته. تقول ابنته الدكتورة هالة «كان كل واحد من أبنائه يشعر بأن والده يحبه أكثر من غيره، ولم يكن هذا مقصوراً على بيتنا فحسب، بل كان يهتم بالجد والجدة والأعمام والأخوال والأقارب، كان أحيانا يقول لوالدتى: «أنا اليوم اتصلت هاتفيا بعمتك فلانة وهى تسلم عليك كثيراً» كان عطاؤه بلا حدود شاملا أفراد العائلة جميعاً..»[1].

---

(١) مجلة المجتمع العدد ١١٧٢ (٢٩ من جمادى الأولى ١٤١٦- ٢٤ من أكتوبر ١٩٩٥) ص٦٠ من حوار مع الدكتورة هالة ابنة الإمام الشهيد حسن البنا.

وقد كتب الطالب حسن البنا فى السنة النهائية له بدار العلوم موضوع تعبير جاء فيه =

## رنة الحزن والأسى..

من رسائل الإمام الشهيد إلى والده رأينا كيف كان يعيش أزمة مالية فى مطلع حياته الوظيفية بالإسماعيلية على مدى أربع سنوات، وهو يعمل مدرسا هناك، كان مرتبه -كما عرفنا - خمسة عشر جنيها هى كل دخله المالى لمعيشته ومعه شقيقته وشقيقاه، كما كان عليه أن يقتطع من هذا المرتب كل شهر ثلاثة جنيهات يرسلها إلى والده بالقاهرة.

فلا عجب أن نستشعر أثر هذه الأزمة شعوراً حزينا ينساب فى أعطاف بعض عبارات رسائله الباكرة. يقول فى رسالة بعث بها إلى والده من الإسماعيلية فى الخامس من أكتوبر سنة ١٩٢٨.

«سيدى الوالد الجليل: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فيخيل إلى أن العالم كله أصبح بؤسا وشقاء، وأننا -على ما بنا- خير من كثير.

بين يدى الآن خطابات لأصدقاء إبراهيم البنهاوى، يرسلونها إليه تفيض بمر الشكوى والعوز، وتنضح بحميم الحاجة والفاقة، فحمدا لك اللهم حمدا. . . .»[(١)].

---

= «أعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التى ترى سعادتها فى إسعاد الناس وإرشادهم، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم، وذود المكروه عنهم. .» مذكرات الدعوة والداعية ٧٢.

(١) كانت مصر تعيش آنذاك فى أزمة اقتصادية ازدادت وطأتها مع «الأزمة الاقتصادية العالمية العظمى» والتى استمرت عشر سنوات (١٩٢٩- ١٩٣٩) فانتشر الفقر والتعطل، وهبطت قيمة التجارة العالمية إلى النصف. ومن عجب أن هذه الأزمة لم تنفرج إلا بقيام الحرب العالمية الثانية باستيعاب جميع العاطلين عن العمل بالتجنيد. [انظر =

وواضح أن هذا الأسى -على شدته- لم يشده إلى انهزامية واستسلام، بل ظل دافىء القلب بالإيمان والثقة بالله، فلا يأس ولا قنوط، أما الاستسلام والتسليم فلله فقط.. يقول فى ختام رسالته السابقة:

«.. تعب كلها الحياة -ياسيدى الوالد- فعلينا أن نتمسك بعروة الصبر، ونَمُتَّ إلى الرضا عن الله وبالله بسبب قوى «ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما»، تلك أزمات أظنها سوف لا تتجاوز هذا الشهر، والله الميسر والمعين».

وهو يلتمس المخرج فى مظانِّه: وينتهى به الأمر إلى التفاؤل والتسليم لله، فيكتب لأبيه فى رسالة أخرى:

«والذى ألاحظه أن وجود فاطمة سيخفض من المصروفات كثيراً، وأنه بعد هذا الشهر ستنفرج الأزمة، وتنحل العقدة، وإذا لم يَرُقْ فى نظركم كل هذا فالله نعم الكفيل، يكفل لى إقناعكم، وترضيتكم، وقد أصبحت أشعر من نفسى بخلق غريب هو التسليم لله -تبارك وتعالى- بحكم ما يريد..».

ونتيجة هذا «التسليم لله» فى صدق وإيمان -امتلاء النفس باليقين والرضا والأمل والتفاؤل، وهذا ما كتبه الإمام البنا فى الرسالة نفسها «أما حالتنا المنزلية فنحن سعداء مسرورون هانئون وادعون، ليس وراء ما نحن فيه شىء من السعادة، يشعر جميعنا بذلك».

* * *

= موسوعة المورد العربية ١/١٠٩ دار العلم للملايين ط (١) بيروت ١٩٩٠].

وهذا المنطق الإيمانى: منطق التسليم لله، والرضا بما قسم الله فى المنشط والمكره والسراء والضراء يمنح المؤمن قدرة على التكيف بالواقع الذى يعيشه مهما كانت مصاعبه ومتاعبه، وصدقت الحكمة التى تقول: «إن العاقل اللبيب هو ذلك الذى يحب ما يعمل، لا ذلك الذى يعمل ما يحب».

والمعروف أن صعيد مصر -وقنا بصفة خاصة- كان هو منفى المغضوب عليهم من موظفى شمال مصر -الوجه البحرى- وذلك لشدة الحرارة، وصعوبة التكيف مع مجتمع الصعيد بعاداته وتقاليده المعروفة.

ولكن الإمام البنا بهذا المنطق الإيمانى قصم هذه القاعدة، فبعد أن نُقل إلى قنا نقلاً تعسفياً كتب إلى أبيه رسالة مؤرخة بيوم ٢٩ من المحرم سنة ١٣٦٠ (٢٧ من فبراير ١٩٤١) يقول فى مطلعها:

«الحالة طيبة من كل نواحيها، ولولا بُعْدُ قنا، ولولا مشاغلنا بالقاهرة، ولولا ما يحيط بهذا النقل من ملابسات لفضلت البقاء فى قنا فعلاً، العمل مريح، والمدرسة لا بأس بها، والناظر والموظفون مهذبون، والإخوان هنا بخير، والحمد لله على كل حال».

وبعد ذلك يقول فى رسالة أخرى من قنا تاريخها ١٦ من ربيع الآخر ١٣٦٠:

«الحر هنا شديد حقا بدرجة يقول عنها الناس أنهم لم يشهدوا مثلها فى قنا من قبل، ولكنى مع هذا مستريح كل الراحة، والحمد لله، ولا أدرى

سر هذا! إلا أنه تفضل إلهى، فلله الحمد والمنّة. صحتى جيدة جداً، وأنام الليل والنهار مستريحاً، وأؤدى عملى فى هدوء وذلك من فضل الله، وألاحظ دهشة الإخوان من مزاولتى للعمل فى حرهم أنفسهم، وهم قناويون يكسلون فيه..».

## حب للعمل وإقبال عليه..

فى هذا الجو القائظ الخانق كان حسن البنا يقوم بأداء عمله معلما مربيا بهمة ونشاط وحماسة، زيادة على أداء واجبه الدعوى فى مدينة قنا وما يتبعها من قرى ونجوع، وكان إقباله على عمله بهذا الإخلاص وتلك الحماسة يدهش أهل البلد الذين يثقلهم ويقعدهم مثل هذا الحر.

فإذا وضعنا نصب عيوننا أن حسن البنا نقل إلى قنا ظلما لنشاطه الدعوى فى سبيل الله كان افتراض شعوره بالمرارة وقصده فى عمله دون إقباله عليه أو حماسته له يعد افتراضا مقبولا. ولكن الرجل أقبل على عمله فى قوة وهمة لا تعرف الكلالة أو الملالة.

وحبه لعمله، وقيامه به قاصداً وجه الله والنفع العام.. هذه السجيّة ليست جديدة طارئة عليه، بل هى متجذرة فيه طالبا ومعلما، فقبل رسالته السابقة بثلاثة عشر عاما، وبالتحديد سنة ١٩٢٨ يرسل إلى أبيه رسالة يقول فيها:

«فقد كان بودى إجابة مطلبكم بخصوص الحضور فى العيد لولا أن هناك عذراً شديداً يمنع من ذلك، أقوله لكم، والأمر بعد ذلك كما ترون:

الامتحان بعد الإجازة مباشرة، والإجازة طويلة أى عشرة أيام، ومعنى

ذلك أن التلاميذ سيحضرون (بعد الإجازة) وقد نسوا ما درس لهم، وخصوصا التمرن على الامتحان. فلذلك رأيت أنا وبعض المدرسين البقاء، وتكليف التلاميذ بالحضور كل يوم وقتا قصيراً نمرِّنُهم فيه على الامتحان لتحسن النتيجة، ولاسيما السنة الأولى التى أدرس بها».

فحبه للعمل وحماسته له والإخلاص فيه، وحرصه على مصلحة التلاميذ. . . كل أولئك كان وراء حرمانه نفسه من قضاء عطلة العيد بين أسرته فى القاهرة، ولم يكن وراءه أى هدف مادى لأنه عمل تطوعى بحت لا أجر مادياً عليه.

## المرونة والتسامح الدينى..

رسائل حسن البنا -بل سيرته كلها- تنطق بالمرونة، وحسن التصرف والتسامح الدينى، وقد رأينا فى رسالته إلى الأنبا يونس بطريرك الأقباط الأرثوذكس كيف كان يخاطبه بكل تجلة واحترام، مراعيا مقامه الدينى، فيحرص على مناداته بلقبه المشهور «صاحب الغبطة» ويقول إنه عهد فى غبطته أسمى عواطف الرحمة النبيلة، والبر بالإنسانية المعذبة.

ويقول له فى رسالته: «من أجل ذلك توجهنا إلى غبطتكم راجين أن تشملوا هؤلاء المجاهدين الأبطال (مجاهدى فلسطين) بعطفكم الأبوى. .»[1].

ولكن الأمر المؤسف أن بعض هواة الفتن حرصوا على إظهار حسن البنا وإخوانه فى مظهر المتزمتين المتعصبين ضد الأقباط، وبذلك يكون

(١) انظر الرسالة كلها فى «مذكرات الدعوة والداعية» ٢٨٢- ٢٨٣.

وجودهم خطراً على الاستقرار والأمن والسلام الاجتماعى. وهذه الدعاية السيئة التى تولى كِبْرها -عن سوء نية- بعض المحسوبين على الإسلام من أصحاب المصالح والأهواء جعلت الأقباط ينظرون إلى الإخوان نظرة خوف وريبة.

وقد نجح الإمام البنا فى نسف هذا الحاجز النفسى -فى لباقة وذكاء- حين دعا الأقباط إلى حفل كبير أقامه الإخوان فى قنا، ولنقرأ ما كتبه الإمام الشهيد فى رسالته التى بعث بها إلى أبيه من قنا فى ١٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ (١٤ من مايو ١٩٤٢):

«.. الجمعية -جمعية الإخوان- تسير بخطى موفقة، وكانت عندنا بالأمس حفلة كبيرة دعونا إليها كل الطائفة القبطية، وعلى رأسها المطران، وأقبلوا جميعا لم يتخلف منهم أحد، وكانت صفعة قوية لمنافقى المسلمين الذين يتزلفون إلى هؤلاء بالفتنة، ولقد كنت صريحا جداً فى لباقة فى بسط فكرة الإخوان بصورة حازت إعجاب الجميع، والحمد لله، وكل شىء على ما يرام..»[(١)].

## آخر الرسائل..

وكانت آخر الرسائل التى وجهها الإمام الشهيد إلى أبيه رسالة موجزة جداً تدور حول الأمير عبدالكريم الخطابى البطل المجاهد المغربى[(٢)]،

---

(١) دأب الإمام الشهيد -رحمه الله- فى خطبه ومقالاته ورسائله- على شرح موقف الإسلام- وما فيه من سماحة وعدل- من الأقليات وأصحاب الأديان الأخرى [انظر مثلا رسالة نحو النور ٨٣ وما بعدها من مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا].

(٢) عبدالكريم الخطابى (١٢٩٩- ١٣٨٢هـ) (١٨٨٢- ١٩٦٣م) مجاهد مغربى ولد بقرية =

وحرصه على الحصول على نسخة من كتاب الوالد «الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى» والرسالة مصدّرة من القاهرة فى الثانى عشر من أغسطس سنة ١٩٤٧ . ونصها:

«سيدى فضيلة الوالد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. جرى ذكر «الفتح الربانى» أمام الأمير عبدالكريم، فاشتاق إلى الحصول على نسخة منه، وظهر أن الرجل فاضل له إلمام بعلوم الحديث والفقه والدين، وقد اعتزم زيارتكم، وأكد فى معرفة العنوان، ولكن يحسن أن تزوره أنتم أولاً باعتباره ضيفا، ويحسن كذلك إهداؤه نسخة من الفتح باسمكم، وأجلدها على حسابى، فما رأيكم فى هذا الاقتراح، وماذا تم فى نسختى أنا؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

---

= أغادير، وبعد أن حفظ القرآن، وتعلم مبادىء الدين واللغة العربية وجهه والده إلى فاس ليتلقى تعليمه العالى بجامعة القرويين، وفيها تخرج، وعمل بالتدريس والصحافة ثم قاضيا للقضاة بمدينة «مليلة».

واصل مسيرة الجهاد ضد الأسبان المستعمرين بعد أبيه، واستطاع بألف مجاهد أن يقضى قضاء تاما مبرما على خمسة وعشرين ألفا من قوات الأسبان فى معركة (أنوال) التى استمرت ستة أيام (من ١٦ يونيو إلى ٢١ يونيو سنة ١٩٢١). وطارد الأسبان حتى تطوان وتقدم نحو المنطقة التى يحتلها الفرنسيون فى جنوب الريف. ولما وقع فى أسرهم سنة ١٩٢٦ نفوه إلى إحدى جزر المحيط الهادى. وفى سنة ١٩٤٧ تمكن من الفرار من سجانيه بينما كان يمر بقناة السويس فى طريقه إلى منفى جديد بفرنسا. وعاش لاجئا مكرما بمصر، وتوفى بالقاهرة.

[الموسوعة العربية العالمية ١٠/١٠٨- الرياض ١٩٩٦- والموسوعة العربية الميسرة ٢/١٢٢١- دار نهضة لبنان- بيروت ١٩٨١. وموسوعة السياسة: د. عبدالوهاب الكيالى وآخرون ١/ ٣٧٤- بيروت ط(٣) ١٩٩٠ وعباسى السيسى: فى قافلة الإخوان المسلمون ١/٩٦].

والرسالة -كما أشرت آنفا مـصَّدرة من القاهرة، وكان الإمام البنا يقيم بالقاهرة مع زوجـته وابنه وبناته، كمـا كان والده يقيم بأسـرته كذلك فى القـاهرة فى مسكن مـستـقل. فـهل أرسل الإمام هذه الرسـالة إلى والده بالقاهرة مع رسول سلمها إليه يداً بيد؟

أم كان الوالد فى زيارة طويلة للمـحمودية وأرسل الإمام الشـهيد هذه الرسالة إليه؟

الرسـالة- على أية حـال - تكشف لـنا عن حـرص الإمـام البنا على إشهـار كتـاب والده ونشـره، وعن حرص المرشـد على توثيق الصلة مع المجاهديـن من زعماء العـرب والمسلمين وخصـوصا الذين كـان يطاردهم الاستعمار وأذنابه ومواليه.

## قوة كاشفة...

وهذه الرسائل -على قلتـها- ودون الاستـعانة بغيرها مما كـتب الإمام حسن البنا أو مـا كتب عنه فى شبابه أو كـهولته -ترسم لنا صورة نفـسية أخلاقـية لصاحبـها الإمام الشهـيد، ومن أهم ملامح هذه الصورة -كـما ذكـرنا- بره بوالديه وأهله وإخوتـه وأقربائه إلى درجـة الإيثار. وكـذلك الصبر على الشدائد وشظف العيش، والصـمود للضائقات والمتاعب بطاقة إيمانية راضيـة بقدر الله وقضائه إلى درجـة التسليم، مع التفـاؤل والتفتح للحياة بضمير حى يدفعه إلى أداء عمله فى إقبال طيب، وحماسة ناشطة، وإخلاص منقطع النظيـر، وكذلك مرونة وقـدرة على التكيف بكل وضع جديد يؤول إليه، ومن أهم ملامح هذه الـصورة التسامح الدينى الكريم،

وهو تسامح لا يشوبه أثارة من تعصب أو انغلاق.

وبعد كل أولئك أعتقد أننى لم أسرف فى القول حينما ذكرت من قبل أن هذه الرسائل الشخصـية بضمها إلى مذكرات الإمام الشـهيد، ورسائله إلى الملوك ورؤساء الوزارات والوزراء وكبار الشخصيات يمكن أن تصنع لنا ترجمة ذاتية كاملة أو شبه كاملة للإمام الشهيد، وإن افتقرت إلى التسلسل الزمنى للوقـائع والأحداث، وهذا لا يعيـبهـا، لأنها تكون بهـذه الصورة «ترجمة ذاتية» تهتم - أول ما تهتم - بالصـورة النفسية والعقدية والفكرية للإمام الشهيد.

# ملحقات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصلت

العطف بسلامة الله بعد أن صليت الجمعة بدمنهور

وتغديت مع أخي [illegible] بتركهم

ومن جميع أهل العطف يهدونكم أزكى السلام

وقد [illegible] بمنازلهم غير [illegible] سيد (أ) [illegible] أفندي)

[illegible] المحفوظة [illegible] والذي يفتح لطلاب

دار العلوم الذي [illegible] .

ربما سافرت غدا (الأحد) إلى [illegible] للجهة

هنا اليوم فإني [illegible] بالمرور

[illegible] لم [illegible] مع أنه لم [illegible]

[illegible] ولا أدري ماذا [illegible] وسأعود

[illegible] إن شاء الله ودمتم

السبت ٢٠ يناير ٩٢٦

أول خطاب أرسله الإمام الشهيد إلى والده من العطف (المحمودية)

---

* أكرر شكري للأستاذ جمال البنا أصغر أشقاء الإمام الشهيد فلولاه ما عرفت هذه الرسائل طريقها إلينا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه وآله.

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته .. وبعد : فقد وصلني خطابكم اليوم
فقرأته . السبت ٦ شعبان ، وذلك لتغيبي عند الجوزية من يوم الأحد
الماضي وسأقرأ عليكم بعد حينها ذلك .. سررت كثيراً لتقدم صحة
فرزية بعد خوف واستفادة وسررت لجميع هذا الخبر ونسأل الله لها
تقدم الصحة وتمام الشفاء

تسلمت مع خطابكم خطاباً من مجلس مديرية البحيرة يدعوني فيه إلى الكشف
الطبي يوم الخميس ١١ شعبان ومعه داخل المظروف استمارة تثبت
خلوي من الخدمة ؛ وثانية تثبت الجنسية وحسن السير والسلوك يراد
ملؤها وإمضاء العمدة والمشايخ الأمر عليها ويطلب إليّ المجلس ما يفيد
أني استلمت الطلب وأنا الآن بين أن أذهب إلى الكشف وأملأ الاستمارتين
أم أؤخر الكشف يدفعني إلى الأول أني أريد تتميم الإجراءات الرسمية
بالمجلس هنا قبل حضوري إلى مصر حتى لا يستدعي الأمر عودتي ثانية على
فرض أن الوزارة استدعتني ويمنعني عن إنفاذه خوفي من غضب المجلس
إذا تممت الإجراءات إذ ربما أرسل إلى الوزارة [illegible] تتركني
وفي الغالب سأؤخر هذه الإجراءات الآن [illegible]
من الشيخ سليم المفتش وعبد الحميد [illegible]

صفحة من رسالة ذهب الزمن بباقيها

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسماعيلية في ٧ مارس سنة ١٩٢٩

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فمرسل لحضرتكم
مع هذا حوالة بمبلغ خمسين قرشا قيمة المطلوب [illegible]
وذكرت أولا أني أبعث بجنيه يوم عيد الفطر
لولا أني لم يبق معي إلا مصروفات الشهر، فقد دفعت
جنيهين من الأربعة المدخرة للتوفير قيمة اشتراكي
مع الإخوان في مصروفات المنزل عن مارس، وقد كلفته
أن يجعلها توفيرا للولد إن نقودهم فرغت، فدفعت
نصيبي منه لهم مقدما، وهذا الجنيه الآن الباقي لي
ولبقية مصروفات سفري قريبا
وتقبلوا تحياتي وشوقي وسلامي [illegible]
[illegible] ولا [illegible] عبده

من الإسماعيلية إلى والده بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فيخيل إلي أن العالم كله أصبح غير مستقر وأننا على ما بنا خير من كثير

بين يدي الآن مكاتبات لأصدقاء أرسلوها إلي تفيض بمر الشكوى والعوز وتنضح بألم الحاجة والفاقة فحمدا لك اللهم حمدا

لا أدري موقفكم إزاء إرسال الأولاد - وفي إرسالهم مصلحة لي فإنهم سيوفرون كثيرا من النفقات الذاهبة هباء منثورا ويستنظرون أوقاتي ويريحونني من عناء كبير - ومصلحة لهم هي تدريبهم وتهذيبهم وتربيتهم تربية أراها راقية جميلة تحرزهم عن أبناء الشوارع وتطلع السبل وإنه يكونوا بإزائهم من مصالح الترقية فلعلكم تقدرون ذلك وتصرفونهم إلى أحضاننا في أقرب وقت ممكن ولو بعد وصول هذا إليكم

تصعب كل الحياة يا سيدي الوالد فعلينا أن نتسلح بمروءة الصبر وننقطع إلى الرضا عليه وبالله بسبب قوي، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

تلك أزمات أظننا سنتجاوز هذا الشهر والله والمحبة

حسن

٥ أكتوبر سنة ١٩٢٨م

أرسلها من الإسماعيلية إلى والده في القاهرة
في ١٩٢٨/١٠/٥

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد ورد خطابكم الكريم على
صحتكم وسلامتكم [illegible] أما إخواني الذين [illegible] فهم بسرور كل السرور وقد
أدخلتهم مدرسة [illegible] فهم يتعلمون بها وجميع أساتذتها [illegible] جدا
وأما فاطمة فأنا أدخلتها في كلية الفرنسية [illegible] بالتهذيب [illegible]
[illegible] والكتابة [illegible] وعبد الباسط [illegible]
يتهذبون جدا. وبالجملة فآمل بعون الله تعالى أنه أوفق إلى إرشادهم
خير إرشاد إلى ما ينفعهم في العاجل والآجل. ولهم [illegible] في
الأسبوع بعد العشاء [illegible] الحديث ولكم يكون سروركم
عظيما إذا سمعتم إخوانكم [illegible] الأحاديث التي يحفظونها
بتجويد وإتقان [illegible] أسأل [illegible]
[illegible] وأحسنه [illegible]
[illegible] الله [illegible]
وأنا الآن لا أسهر في الخارج قطعا [illegible]
في الأسبوع أدرس فيها بعد العشاء [illegible] الساعة ٨
على الأكثر ثم أعود إلى المنزل
[illegible]
[illegible] ورأيه [illegible]
أن أهل البلد [illegible] وكلهم يحبونها و[illegible]
ويحترمونها [illegible] وبعيد [illegible]

رسالة من الرسائل [illegible]

كلامي مع محب الدين أفندي بشأنه موضوع الحجاز وقد حمل الأمر
مساكنا إلى الأسبوع الماضي حيث أتيت إلى محب الدين أفندي يخبرني
بأنه التقى بحافظ وهبه بمصر والأمر في دور العمل وسكت الأمر بعد
ذلك إلى اليوم بعد كتابي هذا حيث جاءني خطاب من جمعية
الشبان المسلمين بإمضاء محمود فضلي أفندي السكرتير الثاني يخبرني أنه
عبد الحميد بك سعيد يرغب في تقديم طلب إلى المعارف برغبتي
في التوظف بالمعهد السعودي بمكة عقب تسريحي مؤقتا من وزارة

المعارف المصرية في العلاوات والدرجة والوظيفة الخ
وسأرد عليه بأن هذا الطلب ليس قانونيا بل المعقول
أنه تخاطب حكومة الحجاز وزارة المعارف المصرية بأنهم
يريدون موظفا عندها فتخاطبني وزارة المعارف بأخذ
رأيي فأبدي رأيي [illegible] ويتم الموافقة بهذا الشكل
فقبل إرسال كتابي السابق ذهابي إلى الحجاز مع [illegible]
حتى هناك بمعنى أنني أكون موظفا بوزارة المعارف المصرية
منتدبا للعمل بالحكومة الحجازية أم ماذا ترونه
سوف لا أستمر في هذه الطلبات الآن حتى يوافيني
ردكم ورد فضلي أفندي والله يحفظكم لنا بخير [illegible]
كما هو [illegible] الأنثى [illegible] بشريته وتقبلوا فائق
احتراماتي وتحياتي

ليكن في العلم بأنه وجودي بالحجاز [illegible] بيني وبين مصر
في السعيد [illegible] مسافة [illegible] تعادل في إجازتي كل
عام تقريبا - [illegible] أنكم [illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فقد كان بودي إجابة طلبكم بخصوص الحضور في العيد لولا أن هناك عذرا شديدا يمنعني من ذلك أذكره لكم والأمر بعد ذلك كما تريدون

الامتحانات عقب الإجازات مباشرة والإجازات طويلة أي عشرة أيام ومعنى ذلك أن التلاميذ سيحضرون وقد نسوا ما درسناه لهم وخصوصا التمرين على الامتحانات فلذلك رأيت أنا وناظر المدرسة البقاء وتكليف التلاميذ الحضور كل يوم وقتا قصيرا نمرنهم فيه على الامتحانات لتحسن النتيجة ولا سيما السنة الأولى التي أدرس بها

ذلك إلى كون مصروفات الحضور وقرب نهاية العام جدا وذلك عند عبد الباسط وليس يعني ذلك الإنجليزي فقط بل كل العلوم وسأسلمه لهم وشغلا استكمالا لعدد سوال والاستيسر لذلك بمصر

تلك هي الموانع أدلي بها إليكم والأمر لكم وتذكروا قرب الإجازات وأوصيكم سيدي الوالد هذه الأسباب حتى تطمئنه بالها والسلام عليكم.

من الإسماعيلية إلى والده بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله.

الإسماعيلية في ١٥ جمادى الثانية ١٣٤٩

سيدي الوالد المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فقد ورد خطابكم الكريم
وبه السرور الذي استطعت فيه إرشاداتكم هذه أسعد أيامي حقا وعقيدتي أني
ما خلقت إلا لأرضيكم وليس لي مأمول فوق ما يقدرني الله على مقابلة أفضالكم
وذلك ما أعتقده وأقوله بإخلاص ويقين

والذي أريد فقط أن تغتبطوا بذلك وتعلموه وأن تخفف
سيدتي الوالدة من ألمها لعدم التوفيق فإن هذه ضرورة لا بد منها
ستنفرج عما قليل

والله إني لأقضي ساعات طوالا في ألم التألم والحرقة وفي التفكير
كيف أرضيها وكيف أسعدها، وكيف أجمع العائلة مغتبطة فهل
يوفقنا الله إلى الجهة الأمينة

خطر لي أن أزوركم كل شهر مرة للتشرف بلقائكم وأتشرف بتقبيل
يديكم ويدي الوالدة وأحظى بحظ صالح من دعواتكم لي وعسى أن يكون هذا
مرضيا للوالدة [illegible] الرضا

وسأبدأ بتنفيذ ذلك ربما غدا إن شاء الله (الأربعاء) فقد أحضر
مساء [illegible] الجمعة والسبت [illegible] وتفضلوا
بقبول فائق احترامي وحبي

حسن

من الإسماعيلية إلى والده بالقاهرة

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله"

الإسماعيلية في ٢٣ المحرم سنة ١٣٥٠ هـ

سيدي الوالد الجليل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد وصل خطابكم وسررنا كمال السرور بما فيه، أما عبد الباسط فنتيجته سارة كذلك نتيجة الراسب في علمكم كالناجح فطمئنوه على نجاحه وراقبوه في هذه الأيام حتى يستريح الأثر من نفسه

ثم أخذنا عبد الرحمن وأوصلناه من الإسماعيلية إلى القنطرة فالسكة الحديد لفلسطين

أما سبب عدم الاشتراك في لجنة الامتحان هذا العام فليس له سبب إلا أن مدرستنا لم ينتدب منها إلا ثلاثة: إبراهيم أفندي السيسي وعيسى أفندي وزكريا أفندي ولم ينتدب الباقون إلا في التصحيح فقط فلا أهمية لذلك أبداً، ثم نفيدكم

حالتنا هنا عادية وسنحضر إن شاء الله يوم الاثنين القادم بقطار الظهر الذي يقوم من الإسماعيلية الساعة الثانية ويصل ١٠٫٢٠ عندكم

بلغوا الجميع تحيتنا وشوقنا

حسن

من الإسماعيلية إلى الوالد بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

الأقصر في ١٧ رجب ١٣٠٨ هـ

سيدي الوالد الأجل حفظه الله

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

أرجو أن تكونوا جميعاً بكل خير وعافية

ووردني كتابكم الكريم والله أشكر لكم المعونة وجميل المساعدة ولشد ما [illegible]

ما يحيط بكم حماكم الله وبخاصة في هذه الأوقات العصيبة

وفي آخر هذا كلمة لجمال الدين ليعمل بها إن شاء الله

الرحلة [illegible] موفقة ودمشق والحمد لله [illegible] وكلنا [illegible]

لي [illegible] وأجد في دعواتكم المباركة خير معين على حمل [illegible]

ولكنه يسير على من يسره الله عليه فلا تحرموني صالح هذه الدعوات

والسلام عليكم والتحية للجميع ورحمة الله وبركاته وسلمى فاطمة [illegible]

وصحائح حبيبك [illegible] ولدكم

عزيزي جمال الدين

حبذا لو [illegible] الذي ذكرته لك [illegible]

[illegible] إذا لم تكن أرسلت النقود فإذا كنت قد أرسلتها فخذ هذا المبلغ من

[illegible] عندك [illegible] أو من [illegible] على خطاب [illegible] ١٥٠ [illegible] حتى أحضر

[illegible] عليك [illegible] أبيك

من الأقصر بصعيد مصر إلى الوالد بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوان المسلمون
المركز العام
[illegible] الحلمية الجديدة بالقاهرة
تليفون ٥١٢١٤

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الموضوع
الرقم
المرفقات
تحريراً في قنا ١٦ من ربيع الآخر ١٣٦٠ هـ

سيدي فضيلة الوالد الجليل أمده الله [illegible]

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته

ورد كتابكم الكريم وأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارككم بجميل الصبر والسلوة وصبر جميل والمستعان [illegible] إلى اليسر إن شاء الله وما نحن فيه نعمة كبيرة من الفضل والمنة

سررت كثيراً لشفاء فاطمة ولقد أقلقني أول الأمر [illegible] شديداً وطمأنني [illegible] [illegible] وكتابكم الكريم [illegible] والحمد لله على الشفاء والحمد لله إذ أخذ صاحب البشارة [illegible]

[illegible] شديد حقاً [illegible] لم أشهد مثله في قنا من قبل ولكن من هذا [illegible] كل الراحة [illegible] ولا أزال من هذا الأوان بفضل الله وله الحمد والمنة صحتي جيدة جداً وأنام بالليل [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] من فضل الله والإخوة هنا [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فيه

الجمعية تسير بحال موفقة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] القبطية [illegible] [illegible] وأقبلوا جميعاً لم يتخلف منهم أحد [illegible] قرية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في المباراة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم

من قنا - بصعيد مصر - إلى والده بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله

القاهرة في ١٢/١/١٩٤٧

سيدي فضيلة الوالد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حضر إليّ الشيخ الشاب [illegible] الأمير عبد الكريم [illegible]

راغبًا في الحصول على شيء منه وظهر أنه رجل فاضل له إلمام

بعلم الحديث والفقه والدين وقد اعتزم زيارتكم

والكون في [illegible] الشنواني ولكنه يحب أن تزودوه [illegible]

[illegible] بجنابكم ضيفًا ويحب كذلك الاطلاع على نسخة

من الشرح [illegible] وأحيلها على حسابي [illegible] في هذا

الأسبوع [illegible] في نسخة [illegible] والسلام عليكم ورحمة

الله وبركاته حسن البنا

آخر رسائل الإمام الشهيد إلى أبيه


الدكتور محمد حسين هيكل
مذكرات
في السياسة المصرية
الجزء الثاني
دار المعارف

مقاومة انتهت إلى تأليفه وزاراته الثلاثة الأخيرة . . . وكان فى المواقف كلها رجل كفاح وصراحة ونزاهة لا ترقى إليها ريبة ولا تعلق بها شائبة . من لمصر بمثل هذه المواهب والسجايا بيها صاحبها هبة سماح لخدمة وطنه وأمته ما وهبها محمد محمود خلال هذه السنوات الثلاثة والعشرين فى إقدام وجرأة ليس كمثلهما إقدام ولا جرأة .

ارتسمت أمام ذهنى صورة من هذا التاريخ الحافل لهذا الرجل الذى اختاره الله إلى جواره قبل أن يتم الرابعة والستين من سنه فحزنت إشفاقاً على مصر . فلما تنفس الصبح فكرت فى تشييع جنازة الرجل إلى مقره الأخير ، وكان قد تقرر أن تقوم فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

وإذ كنت وزير المعارف ، فقد رأى رجال التعليم فى أرجاء القاهرة جميعاً أن يشاركونى فى تشييعه ، كما شارك فيه من رجال الدولة ومن طبقات المثقفين جميعاً كل من كان يقدر للرجل مزاياه ومواقفه . وهؤلاء كانوا جلة أهل مصر ، خصومه وأنصاره على سواء . فقد كان الجميع يجلونه ويحترمونه وإن خالفوه فى الرأى . وسار حسين سرى ( باشا ) رئيس الوزارة فى الصف الأول للمشيعين . وصحبنا جثمان الفقيد إلى مقره الأخير . فلما ووري التراب ألقى سرى ( باشا ) كلمة فى تأبينه ، وألقيت كلمة وجيزة سكبت فيها كل عواطفى وكل ما كنت أكنه للرجل من مودة واحترام .

وتحدثنا فى ليالى المأتم عمن نختاره رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين خلفاً لمحمد ( باشا ) ، ثم اتجهنا جميعاً إلى اختيار عبد العزيز فهمى ( باشا ) . وتردد الرجل معتذراً بأنه اعتزل السياسة فى فترة ولايته القضاء رئيساً لمحكمة الاستئناف ثم رئيساً لمحكمة النقض بين سنة ١٩٢٨ وسنة ١٩٣٥ . وقد استعنا على تردده هذا بجلة أصدقائه فانتهى إلى الاقتناع وتولى رياسة الحزب للمرة الثانية ، بعد أن كان قد تولاها فى المرة الأولى فى سنة ١٩٢٥ ثم استقال منها فى سنة ١٩٢٦ .

• • •

. كان الإنجليز يومئذ شديدى الحساسية ، وبخاصة إزاء ما يبديه بعض ذوى الرأى من المصريين من ميلهم المحورية ، وإزاء بعض العناصر ذات النشاط بين سواد الشعب . وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد تألفت قبل ذلك بأعوام قليلة على أنها جماعة دينية تدعو للتخلق بالأخلاق الإسلامية وللأخذ بقواعد التشريع الإسلامى فى النظام المصرى . وكان الشيخ حسن البنا هو الذى دعا لتأليف هذه الجماعة فكان مرشدها العام . وكان الشيخ

حسن معلماً للغة العربية فى مدرسة المحمدية الابتدائية الأميرية . وقد أبلغت السلطات البريطانية رئيس الوزارة ، حسين سرى ( باشا ) ، أن هذا الرجل يعمل فى أوساط جماعته لحساب إيطاليا ورغبت إليه فى العمل على الحد من نشاطه . ورأى سرى ( باشا ) أن نقل الرجل من القاهرة إلى بلد ناء بالصعيد يكفل هذا الغرض ، فحدثنى فى الأمر وطلب إلىّ نقله إلى قنا . ولم أجد بأساً بإجابة طلبه ، فنقل مدرس فى مدرسة ابتدائية ليس أمراً ذا بال ، إذ يقع مثله خلال العام الدراسى فى كل سنة ولا يترتب عليه أى أثر .

لكن نقل الشيخ حسن البنا أدّى إلى ما لم يؤد إليه نقل مدرس غيره : فقد جاءنى غير واحد من النواب الدستوريين يخاطبنى فى إعادته إلى القاهرة ويرجونى فى ذلك بإلحاح . ولما لم أقبل هذا الرجاء ذهب هؤلاء النواب إلى رئيس الحزب ، عبد العزيز فهمى ( باشا ) ، وطلبوا إليه أن يخاطبنى فى الأمر . وخاطبنى الرجل فذكرت له أن حسين سرى ( باشا ) هو الذى طلب إلىّ نقل الشيخ حسن البنا بحجة أن له نشاطاً سياسياً ، وأن النشاط السياسى محرم على رجال التعليم كما أنه محرم على غيرهم من الموظفين ، وأننى لا مانع عندى من إعادة الرجل إلى مدرسة المحمدية كما كان إذا أبدى سرى ( باشا ) عدم اعتراضه على إعادته . وخاطب عبد العزيز ( باشا ) سرى ( باشا ) فى الأمر وذكر له إلحاح طائفة من النواب الدستوريين ذوى المكانة . ووعد سرى ( باشا ) بإعادة النظر فى الموضوع ثم أبدى لى أنه لا يرى مانعاً من إعادة الرجل إلى القاهرة فأعدته .

تُرى أأحسن سرى ( باشا ) فى تراجعه هذا أم أساء ؟ لعله خشى أن يزداد ضغط النواب جسامة ، وبخاصة حين رأى سؤالاً يقدم إلى البرلمان فى هذا الشأن ، فأراد اتقاء ما قد يجر إليه ذلك من نتائج . لكن الذى لا شبهة فيه أن تراجعه أشعر الشيخ حسن بأن له من القوة ما يسمح له بمضاعفة نشاطه من غير أن يخشى مغبة ذلك النشاط ، وأن هذا الشعور كان له أثره فى تطور جماعة الإخوان المسلمين من بعد .

وكما رغب الإنجليز فى الحد من نشاط الشيخ حسن البنا رغبوا كذلك إلى سرى ( باشا ) أن يعمل على الحد من نشاط على ماهر ( باشا ) . وذهبوا فى رغبتهم هذه إلى مثل ما ذهبوا إليه مع حسن صبرى ( باشا ) حين طلبوا اعتقال على ( باشا ) إذا اقتضى الأمر . ولم يطلع سرى ( باشا ) مجلس الوزراء ، ولا أحسبه أطلع أحداً من الوزراء على هذه الرغبة ؛ فأنا لم أعرف شيئاً عنها إلا حين رأيت مجلة روز اليوسف تنشر خطاباً من سرى ( باشا ) إلى على ماهر ( باشا ) يطلب إليه ألا يشتغل بالسياسة . وقد نشرت المجلة بعد ذلك رداً من على ( باشا )



# المصادر والمراجع

١ - **آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم**، د. جابر قميحة

٢ - **أساس البلاغة،الزمخشرى**: جار الله محمود بن عمر

٣ - **الاحتجاج الدينى والصراع الطبقى فى مصر**، د. رفيق حبيب

٤ - **الأحـزاب المصـرية من سـنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٥٣**، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - بالأهرام

٥ - **الإخوان المسلمون**، ريتشارد ب. مـيشيل. ترجمة د. مـحمود أبى السعود. وبهوامشه تعليقات للأستاذ صالح أبى رقيق

٦ - **الإخوان المسلمون**: أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم.

٧ - **الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين**، كامل الشريف.

٨ - **الإخوان المسلمون فى ميزان الحق**، محمد فريد عبد الخالق.

٩ - **الإخوان المسلمون والمجتمع المصرى**، محمد شوقى زكى.

١٠ - **الإخوان وأنا**، لواء حسن علام.

١١ - **أدب الرسائل فى صدر الإسلام**، د. جابر قميحة.

١٢ - **الأسلوب**، أحمد الشايب.

١٣ - **الأغانى**، أبو الفرج الأصفهانى.

١٤ - **التبشير والاستعمار فى البلاد العربية**، مصطفى الخالدى، وعمر فروخ.

١٥ - **التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا**، د. يوسف القرضاوى.

١٦ - **الترجمة الذاتية فى الأدب العربى**، د. يحيى إبراهيم.

١٧ - **١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية**، د. عبد العظيم المطعنى.

١٨ - **تقرير الحالة الدينية فى مصر**، مركز الدراسات السياسة والاستراتيجية بالأهرام.

١٩ - **حسن البنا الرجل القرآنى**، روبير جاكسون، ترجمة أنور الجندى.

٢٠ - **حقيقة التنظيم الخاص ودوره فى دعوة الإخوان المسلمين**، محمود الصباغ.

٢١ - **خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه**، جمال البنا.

٢٢ - **ذكريات لا مذكرات**، عمر التلمسانى.

٢٣ - **رياض الصالحين**، الإمام يحيى بن شرف النووى.

٢٤ - **الرحيق المختوم**، صفى الرحمن المباركفورى.

٢٥ - **الزعيم: العبقرية والزعامة السياسية**، محمد على الغتيت.

٢٦ - **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، د. عبد الفتاح الخالدى.

٢٧ - **سيد قطب الأديب الناقد**، عبد الله الخباص.

٢٨ - **شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزى**، أبو زكريا يحيى بن على.

٢٩ - **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضى عياض بن موسى اليحصبى الأندلسى.

٣٠ - **الشيخ حسن البنا ومدرسة الإخوان المسلمون**، د. رءوف شلبى.

٣١ - **العمدة (فى محاسن الشعر وآدابه ونقده)**، ابن رشيق: أبو على الحسن القيروانى الأزدى.

٣٢ - **فى آفاق التعاليم**، سعيد حوى.

٣٣ - **فى أعقاب الثورة المصرية**، عبد الرحمن الرافعى.

٣٤ - **فى قافلة الإخوان المسلمون**، عباس السيسى.

٣٥ - **فى مسيرة الحياة**، أبو الحسن الندوى.

٣٦ - **لسان العرب**، ابن منظور المصرى.

٣٧ - **لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا**، عبد المتعال الجبرى.

٣٨ - **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، حسن البنا.

٣٩ - **مختار الصحاح**، الرازى: محمد بن أبى بكر بن عبد القادر.

٤٠ - **مذكرات الدعوة والداعية**، حسن البنا.

٤١ - **مذكرات سائح فى الشرق العربى**، أبو الحسن الندوى.

٤٢ - **مذكرات فى السياسة المصرية**، د. محمد حسين هيكل.

٤٣ - **المصباح المنير**، الفيومى: أحمد بن محمد بن على.

٤٤ - **معجم البلاغة العربية**، د. بدوى طبانة.

٤٥ - **المعجم الدستورى**، أوليفيه دوهاميل - إيف مينى ترجمة منصور القاضى .

٤٦ - **معجم مصطلحات الأدب**، د. مجدى وهبه.

٤٧ - **المعجم المفصل فى الأدب**، د. محمد التونجى.

٤٨ - **الملهم الموهوب حسن البنا**، عمر التلمسانى.

٤٩ - **موسوعة السياسة**، د. عبد الوهاب الكيالى وآخرون.

٥٠ - **الموسوعة الشوقية، أحمد شوقى.**

٥١ - **الموسوعة العربية العالمية، إصدار الرياض.**

٥٢ - **الموسوعة العربية الميسرة.**

٥٣ - **موسوعة المورد العربية.**

٥٤ - **النظارات والوزارات فى مصر (من ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ إلى ١٨ يونيه ١٩٥٣)**، جمع وترتيب فؤاد كرم.

٥٥ - **النظريات السياسية الإسلامية**، د. محمد ضياء الدين الريس.

٥٦ - **النقط فوق الحروف: الإخوان المسلمون والنظام الخاص**، أحمد عادل كمال.

٥٧ - **نهج البلاغة، الإمام على بن أبى طالب.**

٥٨ - **وحى القلم، مصطفى صادق الرافعى.**

٥٩ - The American Heritage Dictionary

٦٠ - The Palestine Diary: Robert John-sami Hadawi.

٦١ - Zionism and Arabism in Palestine and Israel: Elie Kedourie and Sylvia G.Haim.

**الدوريات :**

١ - الأخبار (القاهرة - يومية).

٢ - الأدب الإسلامى (الرياض - فصلية).

٣ - الدعوة (القاهرة - أسبوعية).

٤ - المجتمع (الكويت - أسبوعية).

## الكاتب فى سطور

* من مواليد مدينة «المنزلة» بشمال دلتا النيل بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٣٤ .

*** حاصل - بتوفيق من الله - على «الورقات» الآتية:**

- ليسانس دار العلوم التربوى من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.
- ليسانس الحقوق - من كلية الحقوق بجامعة القاهرة .
- دبلوم عال فى الشريعة الإسلامية - من كلية الحقوق جامعة القاهرة.
- ماجستير فى الأدب العربى الحديث من جامعة الكويت.
- دكتوراه فى الأدب العربى الحديث - من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

*** عمل بالتدريس فى الكليات والجامعات الآتية:**

- كلية الألسن - جامعة عين شمس.
- جامعة (يل) YALE ، بولاية (كنكتكت) بالولايات المتحدة.
- الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان).
- (حاليا) جامعة الملك فهد للبترول والمعادن (قسم الدراسات الإسلامية والعربية) - الظهران المملكة العربية السعودية.

*** حضر كثيرا من المؤتمرات العالمية منها:**

- مؤتمر الشباب المسلم العربى بمدينة (سبرنج فيلد Spring Field ) بالولايات المتحدة.
- مؤتمر شباب الجامعات الإسلامية. بإسلام آباد.
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامى العالمية - باسطنبول - تركيا.
- مؤتمر «ظاهرة ضعف اللغة العربية فى التعليم الجامعى» جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض.
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية - بالدار البيضاء - المغرب

*** عضو فى:**

- اتحاد الكتاب المصريين.
- رابطة الأدب الإسلامى العالمية.
- النادى الأدبى بالمنطقة الشرقية بالدمام.

**الكتب المطبوعة :**

١ - منهج العقاد فى التراجم الأدبية.

٢ - أدب الخلفاء الراشدين.

٣ - أدب الرسائل فى صدر الإسلام.

٤ - التقليدية والدرامية فى مقامات الحريرى.

٥ - صوت الإسلام فى شعر حافظ إبراهيم.

٦ - الشاعر الفلسطينى الشهيد عبد الرحيم محمود أو: ملحمة الكلمة والدم.

٧ - التراث الإنسانى فى شعر أمل دنقل.

٨ - فى صحبة المصطفى.

٩ - المدخل إلى القيم الإسلامية.

١٠ - المعارضة فى الإسلام بين النظرية والتطبيق.

١١ - الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف.

١٢ - آثار التبشير والاستشراق فى الشباب المسلم.

١٣ - الزحف المدنس (ديوان شعر).

١٤ - لجهاد الأفغان أغنى (ديوان شعر).

١٥ - حديث عصرى إلى أبى أيوب الأنصارى (ديوان شعر).

١٦ - لله والحق وفلسطين (ديوان شعر).

١٧ - أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية فى اللغة العربية.

**البحوث المنشورة فى مجلات:**

عشرات من البحوث والمقالات نشرت فى المجالات الآتية:

١ - مجلة الدارة (سعودية فصلية محكمة).

٢ - مجلة الدراسات العربية (مصرية فصلية محكمة).

٣ - مجلة الدراسات الإسلامية (فصلية باكستانية محكمة).

٤ - مجلة الشعر (مصرية شهرية).

٥ - مجلة (الفيصل) (سعودية شهرية).

٦ - مجلة الحرس الوطنى (سعودية شهرية).

٧ - المجلة العربية (سعودية شهرية).

٨ - مجلة المنهل (سعودية شهرية).

٩ - مجلة الوعى الإسلامى (كويتية شهرية).

١٠ - مجلة المجتمع (كويتية أسبوعية).

١١ - مجلة المنتدى (تصدر فى دبى - شهرية).

١٢ - المسلمون (سعودية أسبوعية).

**والحمد لله رب العالمين.**

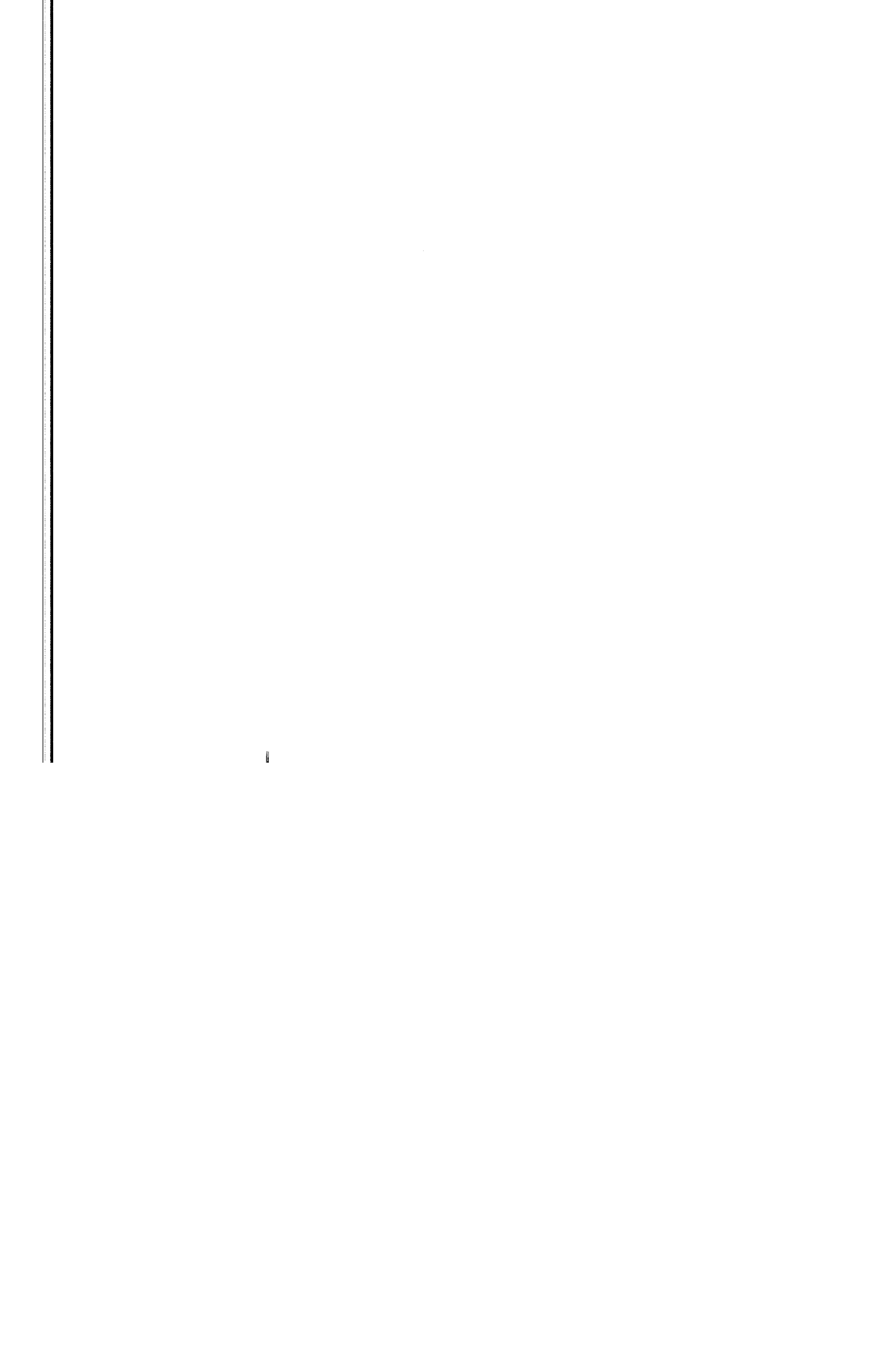

**عنوان المؤلف**

**جمهورية مصر العربية - الجيزة**

**بريد الأورمان ١٢٦١٢ (12612) - ص.ب ٢٤١.**

**البريد الالكترونى على شبكة «الأنتر نت».**

E-mail: dr. gaber Komeha@usa.net



# الفهرس

رقم الإيداع : ٧٩٠٣ / ١٩٩٨م

الترقيم الدولي
I.S.B.N. 977-265-212-9

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣